

الكاتب المصري

مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير: طه حسين

فهرس

٥٠٧	حول رسائل سيرون	طه حسين
٥٢٠	مشكلة تريستا والبحر الأدرياتي	محمد رفعت
٥٢٩	مرحلتان في تاريخ مصر العام	سليمان حزين
٥٣٩	ليل وصباح (قصيدة)	عبد الكريم بن ثابت
٥٤٣	البحث عن المطلق	ج. ب. سارتر
٥٥٤	على الشاطئ (قصيدة)	ابراهيم مجدغا
٥٥٦	السنائية	سلامة موسى
٥٦٤	سافونارولا	حسن محمود
٥٧٦	مكسيم غوركي	عقيل هاشم
٥٨٦	فن الكتابة	هيلدي زالوشر
٥٩٤	مسودات الشعراء	محمد عبده عزام
٥٩٩	الآراء التي تسيرنا	محمود محمود
٦١٠	شاعر فيلسوف	حمزة طاهر
٦١٦	تقاؤل (قصيدة)	حسن كامل الصيرفي
٦١٨	الدانيمرك أثناء الاحتلال الألماني وبعده	هنري بولين
٦٢٨	جولة مستطلع في المسرح	بشر فارس

من هنا وهناك (مير بصري — السيد فرخ — يوسف يعقوب حداد)
 شهرية الفن — شهرية السياسة الدولية — شهرية السينما
 من كتب الشرق والغرب — من وراء البحار — ظهر حديثا
 في مجلات الشرق — في مجلات الغرب



تصدرها دار الكاتب المصري

مشاركة مساهمة
 الملة

أنطون تشيكوف

قصة رجل مجهول

تعريب محمود الشبلي

٤ + ١٢٢ صفحة ، الثمن ١٠ قروش



أيض
وقلوت

ورث
جستلتنر

آلات نسخ الصور
طبع
تمت
يمكن الكتابة عليه

الوزعون: الكاتب المصري ش.م.م. القاهرة: ٥ شارع قصر النيل، ت ٤٢٧٣
الاسكندرية: ٨ شارع طلعت حرب باشا، ت ٢٣٨٩٩ - بورسعيد: شارع محمد محمود باشا، ت ٤٦٨

فرنسوا موريالك

عضو المجمع اللغوي الفرنسي

عقده الأفاعى

تعريب نزيه الحكيم



٨ + ٢٢٠ صفحة، الثمن ٢٠ قرشاً



ظهر حديثاً

پیشتر بتوا

عضو الجمع اللغوی الفرنسی

غانية اُطلنطا

ترجمة رمى طبل

لم تكن تبحث عن نشوة الحب فحسب،
بل كانت ترمى كذلك إلى أن تفتقم من الرجال،
فتقتلهم بحبها.

٢٩٦ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشاً



كتاب

البخلاء

للجاحظ

حقيق نصه وعلق عليه

طه الحاسبي

مدرس الادب العربي بجامعة فاروق الاول

٥١ + ٤٦٨ صفحة ، الثمن ١٠٠ قرشاً



ناتج قضائة الأندلس

ألفه

الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن
النباهي المالقي الأندلسي

وسماه

كتاب المرقبة العليا
فيمن يستحق القضاء والفتيا

نشر

إ. ليفي بروفسال

أستاذ اللغة والحضارة العربية بالسربون
مدير معهد الدراسات الإسلامية بجامعة باريس

٢٤ + ٢٤٨ صفحة ، الثمن ٧٥ قرشاً



عبد العزيز البشري

قطوف

مقدمة لطه حسين

هي الأدب كل الأدب ، وهي الفن كل الفن ،
وهي الكلام الذي يجمع إلى رصانة الأدب
القديم وجزالته خصب الأدب الحديث وثروته

طبعة في جزأين ، ثمن الجزء ٢٠ قرشاً



محمد الصادق حسين

البيت السبكي

بيت علم في دولتي الممالك

- « وأنا اليوم مجتهد الدنيا على الاطلاق »
- « لا يقدر أحد يرد على هذه الكلمة . »
- « الفلاح حر لا يد لأدنى عليه . »
- تاج الدين السبكي

٩٦ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشاً



سلامه موسى

تربية سلامه موسى

العالم طيب . . . إلى أبارك على الحياة .
رامبو

تاريخ حياة المؤلف باعتبار أن الحياة تربية
وتاريخ مصر في تطورها وانتقالها من
القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين

٢٩٢ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشاً



حَسَنٌ عِشْمَانٌ

سافونارولا

الراهب الشاعر

SAVONAROLA



٢٦٠ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشاً



هنري برجسون

الضحك

بحث في دلالة المضحك

تعريب سامي الدروبي و عبد الله عبد الرابم

كتاب وضعه الفيلسوف الفرنسي الكبير
هنري برجسون يدرس فيه الضحك
كظاهرة نفسية والمضحك وأنواعه المتعددة

١٣٦ صفحة ، الثمن ١٥ قرشاً



الكاتب المصري

مجلة أدبية شهرية

رئيس التحرير : طه حسين
سكرتير التحرير : حسن محمود

تصدر مجلة الكاتب المصري في أول كل شهر عن دار الكاتب المصري ، شركة مساهمة مصرية ، وتطبع بمطبعتها .

الاشتراك

٩٠٠ قرش في السنة لمصر والسودان ،
٩٣٠ قرشاً في السنة للخارج أو ما يماثلها .
يدفع الاشتراك مقدماً باسم دار الكاتب
المصري . لا تقبل الاشتراكات لأقل من
سنة كاملة .

نمن الممدد بمصر : ٩٠ قروش

مجلة الكاتب المصري تعنى بكل
ما يرد إليها من المقالات والرسائل
ولكنها لا تلزم نشرها ولا ردّها

إدارة الكاتب المصري

• شارع قنطرة الدكة بالقاهرة

تليفون التحرير : ٤٩٢٥٤

الإدارة : ٤٥٠٣٤-٤٧٨١٥-٤٢٧٧٣



AL KATEB EL MASRI

Monthly literary magazine published
by LE SCRIBE EGYPTIEN S.A.E.

5 Kantaret el Dekka Street

Cairo (Egypt)

Editor-in-chief : Taha Hussein

جميع الحقوق محفوظة لدار الكاتب المصري

الكتاب المصيري



مايو ١٩٤٨

جهدى الثانية ١٣٦٧

مجلد ٨ - عدد ٣٢

السنة الثالثة

حول رسائل سيسرون

لسب في حاجة إلى أن أعرف إليك سيسرون ، كما ينطق به الفرليسيون .
أو نششسيرون ، كما ينطق به الايطاليون ، أو كيكسرون ، كما ينطق به
اللاتينيون فيقال . فهو زعيم الخطابة اللاتينية غير منازع ، وهو الزعيم الثاني
للخطابة العالمية غير منازع أيضاً بعد ديموستين الخطيب اليوناني العظيم .
والعلم بمكانته في الخطابة ، وبمكانته في السياسة ، وبمكانته في الفلسفة ،
وبمركزه الممتاز في حياة الجمهورية الرومانية ، وحياده في الاحتفاظ بهذه
الجمهورية ، وبموته في هذا الجهاد ، من أوليات الثقافة التي تنقي إلى السباب
في مدارسهم الثانوية . ولكنني مع ذلك سأحدثك عن سيسرون لأعرض عليك
سنة صوره أول ما بوصف به أنها محافنه كل الخلة لما نوارت الأجيال من
أمره منذ عشرين قرناً .

ولسب أنا الذي أسكتشف هذه الصوره أو أسكرها ، فسب من هذا
كله في شيء ، وإنما الذي أسكتشف هذه الصوره وعرضها على الناس ، عالم
فرنسي عظيم ، هو الأستاذ جيروم كاركوينو عضو الجمع العلمي الفرنسي ومدير
مدرسة المعلمين العليا في باريس سابقاً ، ولدى استحق استحقاقاً فاسياً أثناء الحرب
الأخيرة ؛ لأنه تولى وزارة التربية الوطنية في حكومة المارشال بيتان ، فخرج
من هذا الامتحان نقيّاً رضىّاً . وهو يعرض علينا هذه الصوره في كتاب
ضخم يألف من مجلدين ، وتنفيف صفحاته على تسعمائة صفحه .

وقد ظهر هذا الكتاب في أوائل هذا العام . صفاه لنقاد أحسن لقاء ،
وقد سوه إلى القراء تديماً مختلفاً : فمنهم من قدّمه تديماً فيه شيء من دسائسه
وغش ، ومنهم من قدّمه تديماً فيه شيء من غضب وغبط . ولكن الكتاب
رُفِع مكانه من سبب العائنين . وغضب لغاضبين ، لأنه آت من آيات البحث
العلمي الرفيع ، أدق معاني هذه الكلمة وأعمقها وأوسعها في وقت واحد .

وأما الذين قدّموا الكتاب في شيء من دعاية ، فهم النقاد الأدباء الذين
ورثوا عن الأجدال هذه الصورة التقليدية لـ سيسرون ، وأفسدوا حياتهم بنفاقه
عليها ، وسعوا أثناء التعلم وانطلب بما كان الأساذ يحرصون عليهم من ترجمة
النصوص التي تركها هذا الكاتب العظيم . فهؤلاء قد نسبوا على أن سيسرون
هو لصورة انصافه لجهل الذي ليس بعده جد ، والحزم الذي ليس بعده
حزم ، والارتفاع عن صغائر الأسور ، والتمتره عما يشين رجل الصادق . وهو
الذي تولى منصب القضاء الأعلى في الجمهورية ، فكان أبرز القضاة وأعظمهم
وأكرمهم وأحرصهم على العدل وأسدهم بوحياً للنصاف . وتولى رئاسة
الجمهورية ، فكان حازماً صريحاً ، بعبد النظر نافذ البصيرة ، شديد الرأي ،
متفداً لبوطن من شر عظم . وتولى الحكم في أحد الأقاليم ، فكان مثلاً ممتازاً
للنزاهة والعدالة والصراحة ، والضرب على أيدي الذين يستغلون أهل
الأقاليم وسندونهم ويخذون أموالهم معونه بينهم ، كما كان عمر من الخطب
رحمه الله يقول . واستغل بين ذلك هذه باحتماله ، فكان أفصح النخاسين لساناً ،
وأرفعهم بياناً ، وأضخم حجّة ، وأبعدهم عما يجنب كرامة احترامه ، وأرحمهم
لمضعف ، وأرفهم بالمطلوب . وكان إلى هذا كله أساذاً ممتازاً من أساذة ابيان ،
وفيلسوفاً موثقاً ، وحكيماً مهندياً ، معدي الرأي ، معدل السيرة ، معدل
المزاج . وقد استحب الجمهور لرومايه بد كاتوريه فيصر . وضيق أنطون ،
واسيداد أوكتاف . فقام اند كاتورية وانطون والاسيداد بسبه ولسانه
وقلبه ، ولقى حتفه في هذه المناوشة حين اتصف الصاعثان أنطون وأوكتاف ،
وأهدرب بهذا الائتلاف دماء كثير من أعلام الجمهورية وأنصار لنظام
الموروث .

هذه هي الصورة التي نوارستها لأجدال عن سيسرون منذ ألفي عام . والتي
نسأ عيب الأدباء والمعلمين والمؤرخون . فلما ظهر هذا الكتاب ،

وحرص على أناس صوره مخالفة هذه الصورة كل مخالفه ، لم تمت بعض القاد
نسه ، فسعى الكتاب وقدمه إلى الناس في دعابة شديده أو شجته مداسيه .
ولسب الأستاذ إميل هيريو عضو الخيم الدعوى الفرنسي ، في جريدة «الموند»
تظهر شجته هذه المتكويه المداعه . بهذا الكذب لعظيم لدى أسقى الشباب
وما زال تستبهم بصحوصه العسيره . وأتى الناس وما زال يشتمهم يسيره
الناسيه بصارمه وحده المروع البسج . ثم هو يظهر الآن بفضل هذا الكتاب
رجلا من الناس ، فيه ما في الناس من ضعف . وفيه ما فهم من عيوب . وما
العلم والمؤرخون منهم خاصه . فقد ضلوا بهذه الصورة التي تغض من هذا
الرجل الذي يوارث الأجيال رفعة واساره . وكتب الأستاذ مارو في
جريدة «الموند» الأسبوعيه يقول : «إن ميسرون رجل مكذوب عليه» . والشيء
الذي لا أنك فيه ، هو أن الشامنين بميسرون والغاضبين له ، إنما أظهروا
ما أظهروا من السبهه والغضب ، لأنهم لم ينصروا في الكتاب إلا أيسر النظر
وأقله نعمتا واستقصاء . فالكتاب ، كما رأيت آنفا ، ضخيم بوسك صفحانه أن
تبلغ الألف ، وهو على ذلك كذب علم ، قد التزم صاحبه دفنق المنهج
الباريخي في عرض ما أراد عرضه من الحقائق . وحل ما أراد حله من
الاسكالات . وفراءه ليس يسيره ولا سهه . وهي تحتاج إلى كثير من الآباء
والصبر وحسن السأى . وحكمه له أو عليه لا ينبغي أن يصير إلا بعد هذه
الفراءه المستأخذة مستقصاة الصبره . انى لا تحتاج إلى الأيام وإنما تحتاج
إلى الأسابيع ، والتي لاكتفى بنفسه وإنما مكلف لفدى كثيراً من مراجعه
التقصوس وامتحان الأحكام انى أصدرها المؤلف بالرجوع إلى ما تستشهد
به من المصادر . وهذه المصادر كثيره مختلفه ، منها القديم والحديث ، ومنها
ما كتب باللاتينيه وما كتب باليونانيه ، وسب ما كتب في اللغات الحيه
على اختلافها . ولست أزم أنى قد نهضت بهذه الفراءه المستأخذة مستقصاه
ولكنى لسب أزعج كذلك أنى سأحكم هذا الكتاب أو أحكم عليه . فليست
أحسن هذا العلم ، وليس ينجح نفسى أن أحكم بين الخصمين فيه ، وإنما أن
رجل متواضع ، معدل بذهب رائى وسعاه ، لا أريد إلا إلى شىء يسير
جدا . هو أن أعرض على قراء اعرضه لونا من لوان البحث الذى يفرح
له بعض الناس فى أوربا وأمريكا . وشعرون فيه حاسمهم ، ويعلمون إن أُنصح هم

أن ينفقوا حياتهم فيه ، ويجدون بعد ذلك جماعة من أكفائهم يملقون ما يكتبون
بالقد والسحت فينكرون ويعرفون ، وجماعات أخرى من عامة المثقفين يتقنون
ما يكتبون على أنه غذاء للعقول والقلوب ، ومتاع يستريحون إليه مما يملأ
حياتهم من الهموم والخطوب . وأنا أرجو أن يكون في إظهار قرائنا على هذا
اللون من ألوان البحث ما يغري شبابنا بالدرس الهادي المستأنى الذي تخلص
النية فيه لعلم وحده ، والذي لا تلتبس به منفعة قريبة أو بعيدة ، ولا ينبغي
به شهرة واسعة أو ضيقة ، وإنما يقصد به إلى هذه المنفعة العليا . سعة المعرفة
الخالصة التي تكشف الحق وتصحح التاريخ .

وينبغي أن أعرض هذا الكتاب مبتدئاً من آخره لا من أوله ، ذلك
أجدر أن يجعل فهمه يسيراً ، والعلم به محبباً إلى النفوس .

فتنح في أواسط القرن الأول قبل المسيح حين لم يبق من هذا القرن
إلا ثلثه . وقد تم الائتلاف بين أوكتاف وانطون على الاستئثار بأسر الجمهورية
الرومانية وأقاربها ، وذهب في سبيل هذا الائتلاف كثير من أنصار
الجمهورية ، مات بعضهم في الحرب ومات بعضهم بأسر المؤتلفين ، الذي صدر
إما عن رغبة في الانتقام ، وإما عن رغبة في تثبيت النظام الجديد . وكان
سيسرون من الذين قاوموا النظام الجديد ، بل كان على رأس المدبرين لهذه
المقاومة في مجلس الشيوخ ، عن أمره كانت جيوش الجمهورية تصدر في مقدومتها
للطغاة والمستأثرين في البر والبحر وفي الشرق والغرب . فلما تم الائتلاف
وأتيح الانتصار للمؤتلفين ، أهدر دم سيسرون في أهدر من الدماء ، فقتل
سنة ثلاث وأربعين قبل المسيح . وكان لسيسرون صديق حميم ، أحبه منذ
عهد الصبا ، ودرس العلم معه أثناء الشباب ، ثم تفرقت بهما طرق الحياة ،
فمضى سيسرون في طريق السياسة ، ومضى صديقه أنيكوس في طريق المال .
وامتاز كل من الرجلين فيما اختار لنفسه من طريق ، فامتاز سيسرون في السياسة
حتى أصبح في بعض أوقاله رئيساً للجمهورية ، وظل في أكثر حياته زعيماً
للديمقراطية المعتدلة . وامتاز أنيكوس في المال حتى أصبح أغنى أهل روما
ثراءً وأوسعهم نفى ، وأعظمهم من أجل ذلك سلطاناً على الأغنياء والفقراء
جميعاً . ولكن الرجلين على هذا التفرق احتفظا بملوذه الخالصة والصادقة
الصافية ، واشتركا بحكم هذه المودة ، في حب العلم والأدب والفن . وهذا

أشرف الرفيع الذي يتصل بحياة العقول والقلوب . وقد ورث أنيكوس عن أسريد بروه فخدمه ، فلم يكدم يجوز طيور اطلب حتى فرغ لهذه البروه يدبرها وسمرها ونميتها ، وأقام بنه وبين السياسة سوراً كشفاً حرم على نفسه أن عبثه أو يتعدى به ، وحرم على السياسة أن تنفذ إليه مهما تحبب الأحباب ومهما تكن الخسوف . وهو من أجل ذلك يهجر مدنه روما حين تعصف بها الثورة السياسية في 'يام سولا' ، ويعبر البحر إلى بلاد اليونان ، فيقيم في ألبا وفي غيرها من المدن اليونانية ما شاء الله أن يقيم . حتى إذا هدأت الثورة واستقرت الأمور ، عاد إلى روما وبعده أضاف إلى ثرائه ثراء ، وإلى علمه علماً ، وقد استقر في نفوس السامع أنه ليس من السياسة في شيء ، وأنه لا يريد أن يكون منها في شيء ، وإنما هو رجل مال وعلم ، لا يريد أن يزيد على المال والعلم شيئاً . وهو من أجل ذلك صديق لسياسة جمعاً منهما تكن أحرابهم ، ومهما يحسبوا أو يسيئوا ، ومهما تخلف بهم الظروف . قد زهد في مناصب الحكم وتركها لهم ، وزهد في مجلس الشيوخ فتركه لهم ، وزهد في القبطنة الاستقراطية الممتازه فتركها للذين يسعون إليها من أصحاب الطمع والتمسح ، وفتح بأن يمشي برويه ، وينسى في روما وفي الأولم مصرفاً هو أعظم المصارف وأكثرها شعباً وأكثرها عملاء . فهو يقرض المحتاجين إلى أن يتفرضوا ، ويدبر لأصحاب الثراء ثراءهم ، ويحفظ على أصحاب الأموال أموالهم . يعتدل فيما يأخذ على القروض من فائدة ، ويسخوف فيما يرد على أصحاب الأموال من ربح . ويكمل بذلك لنفسه حب الموسرين والمعسرين جمعاً .

وقد سغف أسكوس بالفلسفة والأدب والفن ، فلم يلبث أن شغف بالكتب وجعل يجمعها وينسيء لنفسه خزائن كتب ممتازة ، ويسر له ذلك إقامته في بلاد اسونان وثروته الضخمة . فجعل يجمع المخطوطات القديمة ونقائس الآثار ما وجد إلى ذلك سبيلاً . وانتقل بهذا كله إلى روما ، ودعا الناس إلى درسه ، فأرو وفروا وأعجبوا ، وأحبوا أن يكون لهم مثل ما رأوا من آيات الأدب والفن والفلسفة . وما هي إلا أن أصبح أنيكوس خبيراً بسر على المنقذين والمترفين ، ثم وسعاً ستري فلم من الكتب والآثار وطرائف الفن ما يريدون . وعنده كتب كثيرة نادرة ليس من اليسر أن تعنى ، وهو لا يعير شيئاً من كتب ، فاسس بخيرون بين أن سمعوا إلى دأبه لينظروا في هذه الكتب ، وبين

أن يستنسخوا هذه الكتب إن أرادوا أن يملكوها . وإذا أنكس مؤلف
جمعه من الرقعي الشقيين ، منهم من أقرن بنظم خرابات الكتب والفصاحم
عليها . ومنهم من أقرن النسخ والمراجعة والمعارضه ، وإذا هو قد أنشأ داراً
للتنشر عظيمه الخطر في روما ، يعمل فيها النساخ والمراجعون ينسخون للأدباء
ما يحتاجون إلى استنساخه من الكتب ، ويسمقون إلى نسخ طائفة من الكتب
اليونانية واللاتينية سداً إليها حاجة اقراء . وما هي إلا أن يسرع در النشر
هذه ، فلا تكفى ينسخ القديم وإذا عته . وإما نضيف إلى ذلك نشر
الآثار التي يسنها المحدثون . وإذا هذه الدار قد أصبحت أشبه شيء بدور
النشر الحديثه التي نعرفها الآن ، لا يكاد الشاعر ينشئ ديواناً ولا يكاد
الكتب يؤلف كتاباً حتى يدفعه إلى أتيكوس ، فإذا هو ينسخ وينشر ،
لا في روما وحدها ، بل في إيطاليا ، ثم في الأقاليم الرومانية في الشرق والغرب .
وكذلك أصبح أتيكوس أكبر رجال المال في روما ، ويسر له ذلك الاتصال
برجال السياسة على اختلاف أحزابهم وبأكبر رجال النسر للقديم والحديث ،
ويسر له ذلك الاتصال برجال الثقافة على اختلاف أحزابهم أيضاً . وإذا كان
سيسرون من المنازعين في السياسة والثقافة جمعاً — وسنرى أنه كان من الممازين
في المال أيضاً — فقد اتصلت الأسباب الوثيقة اليومية بينه وبين أتيكوس . وقد
أشرب آتناً إلى أنهما كانا صديقين منذ أيام الشباب في عهد الصبا والشباب .
فقد زادت صداقتهما قوة وثوقاً على مر الأيام وبغائب الأحداث . ومن المحقق
أن أتيكوس كان أحد الناس بسيسرون صله ، وأدناهم منه مكانه ، وأعرفهم
بداخل أسر كلها . سواء منها ما يصل بالخاصه العامه وما يصل بالحياه
الخاصه في أدق خفائرها . وكان أسكوس قد أحب مذهب أبيقور واتخذ لنفسه
ديناً ، وتأثرت به حياته العقلية ، كما تأثرت به سيرته اليومية أشد التأثير
وأقواه . والقراء يعلمون أن أخص ما يمتاز به مذهب أسكور من نهاحية الخلقة .
هو أنه يجعل الله عبده العابد للإنسان ، ويرى أن هذه الله لا تخلص
ولا تستقيم لصلابها إلا إذا برئت من الألم ، فلم يعقده ولم يورط فيه . فالرجل
الحكيم في هذا المذهب حدى من كل شيء أن يجيب الألم ما وجد إلى
ذلك سبيلاً ، وأن يبتغي الله ما وجد إليه سبيلاً أيضاً . وإذا كانت الذات
في أكثر الأحيان مصادر للألم ودوافع إليه ، فالرجل الحكيم خلق أن

يتجنب الذات نفسها لينجنب ما تعقب من الألم . وخير للرجل الحكم أن يفرض على نفسه حياة خلقة ساذجة فيها شيء من سذاجة وقسوة ، من أن يفس على الحياة الهنة اللينة ويستجيب للغريات ، فيستمتع بلذات كثيرة يدفعه إلى آلام كثيرة . ومذهب أسفور يمتاز كذلك بأنه حرر الإنسان من خوف الموت وما يمكن أن يكون بعد الموت . فالأله لا يحملون بالإنسان ولا يسألونه عن عمله ، ولا يجزونه بالخير خيراً ولا بالشر شراً ، وإنما الإنسان مسئول عن نفسه أمام نفسه أثناء الحياة . فإذا أدركه الموت فقد عاد إلى العدم لدى خرج منه حين دخل الحياة . وإذن فيس للإنسان أن يفكر إلا في حياته هذه التي يحياها ، يلتمس فيها لنفسه الخير والمنفعة ، ويصرف فيها عن نفسه الشر والمضرة ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . والصدقة نفسها عرض من أغراض هذه الحياة ، لا يلتبس لنفسها ، وإنما تلتبس لما نبيح للإنسان من لذة ومنفعة . فالإنسان خليف أن يلتبسها ويستمتع بها ما أباحته لذة ومنفعة . وهو خلق أن يجنبها ويتخلص منها إن عرفته لشر أو ضر . وهو خلق ألا يحفل بها ولا يلتفت إليها إن لم تغن عنه شيئاً .

كذلك كانت الصداقة التي ادخرها أتيكوس لخليله الوفي الحميم سيسرون ، صداقة قوية متينة ما جلبت له نفعاً ولذة . وكان سيسرون مصدراً للذة والنفع جميعاً : مصدراً للنفع لمكانه من السياسة والسلطان ، ومصدراً للذة لمكانه من الثقافة العليا ، وما أساز به من رقة السائل وعذوبة الحديث ، وجمال المحضر والمغيب . ومن أجل ذلك كان الرجلان يلتقيان في كل يوم إن أتيح لهما اللقاء ، فإن حيل بينهما وسنه عما إلى الرسائل تغنيهما عن هذا اللقاء . ولم يتف الأمر بين الرجلين عند هذه الصداقة ، وإنما نساب بينهما صلوات المصاهرة ، فتزوج كننوس سيسرون أحوأديس لعظيم من بومونا أخت أتيكوس مالمبا العظيمة أيضاً . فليس من الغريب أن يلجأ سيسرون إلى صديقه وصاحب صبره في كل ما يتوهم من الأمر . فهو مدبر ترويه ومسئله في السياسة ، وناسر كذبه ومنصم مكيبه ، والداخل في الجدل والسر من أمره كله ، حتى يقتل سيسرون في أواخر سنة ثلاث وأربعين من المسيح .

وقد بسأل الناري ما حاجتنا إلى هذا التفصيل الضئيل ؟ فينتظر قلباً ، فمستطهر الحاجة إلى هذا التفصيل واضح كل الوضوح ، بعد أن نضيف لها

تفصيلاً آخر يصل بحياه أنكوس نفسه . فقد أشرب إلى تأثره بذهب أسفور ، واضطراره بحكم هذا المذهب إلى أن سجنب الانعس في البرف والدهه ، وقد دفعه ذلك إلى أن يعيش أحزب دهرأ من حياهه ، ثم احتار بسسه زوجاً ليستنتاره الصبقه ، وإتماهى من أسره ضئله فقيره ليست بدابخطر . وورق من هذا سراج طفله لم يمتحها من عناية إلا مفاراً معتدلاً . ولكن براهه وحاده وثقافه وامتناز مكانه في روما ، كل ذلك قرب منه أو كسب ، حين اسقامت له الأسور وأصبح مستأزراً مع أنطوان بالسلفان الرومانى ، وإذا هو صديق لأنكوس ، وإذا هو يتجاوز الصداقه إلى الصهر ، فيصح حفيده ختماً لأنكوس . وحفده هذا هو الذى سيجفف أوغسطس على عرش الامبراطوريه الرومانيه ، بعد موته ، ويسمى تييريوس .

هذه الصلات التى توقفت بين أوكتاف عظيم اسياسه الرومانيه ، وأنكوس عظيم المال الرومانى ، هى التى دفعت أيكوس إلى نشر الرسائل الخاصه التى كتبها سيسرون . والتى اتخذها الأساد جيروم كاركويينو موضوعاً لكتابه . واستخرج منها الصوره الجديده لسييسرون ، فأثار ما أثار من الرضا والسخط ومن الوفاق والخلاف . وافكره الأسبيه لهذا الكتاب . وهى التى لم يلفت اليها النقاد الأدباء لأنها معنى العلم أكثر من معنى الأدب . هى أولاً أن رسائل سيسرون إنما نشرت في عهد أوكتاف قبل أن ينفرد بالحكم ، وأنباء الترفس الشديد بينه وبين أنطوان ، وأنها نشرت بواسطه أيكوس ، وصدرت عن داره نبت التى أشرنا إليها منذ حين ، ونشرت على دفعين : إحداهما بين سنة خمس وثلاثين واثنين وثلاثين قبل المسيح . وهى تشمل على ارسائل الخاصه التى كتبها سيسرون لأنكوس . والثانيه سنة اثنين وثلاثين قبل المسيح . وهى تشمل على الرسائل الخاصه التى كتبها سيسرون إلى ابنه وأخيه وصديقه بروتيوس ونشر آخرين من الأصدقاء .

فأما جزء الأول من هذه الرسائل ، فقد نشر دفعاً عن أوكتاف وأنتون الذين قتلا سيسرون . وأما الجزء الثانى فقد نشر بعد في إداعه الدعوه لأوكتاف حين اسدب الخصومه والسفسة بينه وبين أنطوان . وكان سيسرون ضحية لنشر الجزأين جميعاً . فهو نشر قصد به إلى السماسه لا إلى الأدب ، وإلى الغرض من سيسرون لا إلى لتوييه بذكره والاحسان إليه . قصد بالجزء

الأول إلى إظهار ما أسلّات به حياة سيسرون من الاضطراب الشديد الذي يعطل بالسياسة ، ويتصل بالمال ، ويصل بالأخلاق ، ليهين الناس أن الذين قتلوا سيسرون لم يقتلوا فيلسوفاً مصلحاً عظيمًا ممتزاً في خلقه وسيرته ورأيه ، وإنما قتلوا سياسياً متقلباً مسرفاً في القلب ، أنفق حياته كلها ملتصقاً لمنفعته الخاصة القريبة الحثيرة ، مخادعاً للناس عن نفسه وعن آرائه وعن سيرته . فهو يزعم أنه أنقذ الجمهورية حين كان رئيساً لها من خطر الثورة ، مع أن كتبه الخاصة تعترف عليه بأنه كان صديقاً لكاتيلينا زعيم الثورة ، ولم يهاجمه إلا حين عجز عن أن ينتفع به . وهو يزعم أنه كان نصيراً للنظام الجمهوري حين ظهر يوليوس قيصر . ولكن كتبه الخاصة تعترف عليه بأنه تقرب إلى قيصر حتى ظفر منه بالعطف والعفو والأمن ، وظل يملكه ما استقامت له الأمور ، فلما قتل شمت بقتله ، وابتهج لموته ، وظاهر قلبه . وهو يزعم أنه نصير للنظام الجمهوري بعد مقتل قيصر ، ولكن كتبه الخاصة تعترف عليه بأنه تملق أنطوان ما وسعه التملق ، وتملق أوكتاف ما وجد إلى تملكه سبيلاً . فإذا كان أوكتاف وأنطوان قد قتلاه لأنه تنكر لهما قبل ائتلافهما ، فهما لم يزيدا على أن قتلا خصماً سياسياً كاد لهما وألب عليهما ، وجدّ في حربهما بعد أن كان لهما صديقاً يرغبى إلى موادتهما الوسائل . فحبه للنظام الجمهوري كذب إذن . لأنه لم يحب إلا نفسه ، ولم يبتغ إلا منفعته . وأخلاقه لم تكن ذات خطر ؛ فقد كان شرها إلى المال ، يعترف عليه كتبه بأنه ارتشى من قيصر أولاً ومن غير قيصر دنياً ، وبأنه ملك في روما وخارج روما ثمانى عشرة داراً ، من تلك الدور الفخمة التى كان الأغنياء الرومانيون يملكونها ، وأصاب قسمة تلك الدور نحو عشرين مليوناً من الدراخمت . وكان مسرفاً شديد الأسراف ، يدفعه الأسراف إلى الأعسار أحياناً ، ويدفعه الأعسار إلى التماس المال من غير وجهه . فهو يطلق امرأته التى عاشت معه خمسة وثلاثين عاماً وولدت له ابنه ماركوس وابنته ثوليا ، لسبب واحد وهى أن امرأته لم تتمكن من ثروتها حين احتاج إلى هذه الثروة ، فطلقها . ويتزوج وقد قارب السنين فماتة في العشرين من عمرها لا لنى إلا لثروتها . وهو يدفع ابنته إلى الزواج والطلاق ثلاث مرات بامال وللمال وحده ، حتى يموت البائسة حراً . ثم هو يزعم أنه محام نزيه ، حريص على كرامة المهنة ، ولكن نزاهته هذه

ظاهرة لا تثبت أمام الحب و تمنحصر . فقد كان قانون لحياته يحظر على
 المحبين أن يأخذوا من موكبيهم أجوراً . فنهضوا به من أعباء الدواعي عنهم
 أمام انقضاء . وكان سيسرون نفسه يخضع لبعض زملائه ، و يزعم أنهم سقاؤون
 هذه الأجور التي يحضرها الشئون . ولكنه هو نفسه كان يتقاضى أجره من
 موكله بطرق متنوعة لا يلائم النزاهة ولا الشرف . فكتبه نسبه عليه بأنه
 كان يتفق مع موكله مسافيد على أن يهدوا إليه الهدايا بعد أن يكسب
 هم قضاياهم . وكانت هذه الهدايا تحمل إليه ، ولم تكن سره ولا هيئته ،
 وإنما كانت ضخمة عظيمة تحضر . فهو مثلاً قد ترفع عن أهل حقيقة حين
 انهموا حاكمهم بالاسراف عليهم في المغى والصم ، فلم يرح لهم فضيلتهم أهدوا
 إليه سفن كثيرة قد شحنت قمحاً ، وكانت روما في حاجة إلى القمح ، وكان
 سيسرون يشرح نفسه للانتخاب في منصب من صاحب الدولة ، في هي إلا
 أن يوزع القمح على أهل روما ويشرح في الانتخاب . وترفع سره عن أحد
 موكله فأهدى إليه بعد أن ربح القضية خزائنه كتب دمه كان يملكها
 في بلاد اليونان . واحتاج نسلها وراء البحر إلى جهد ضخم وعناء كبير .
 ثم هو كان يزعم أنه رجل شريف في سره السياسي وفي كل ما ينصل
 بالانتخاب خاصة ، ولكن كتبه تشهد عليه بأن سياسته لم تكن إلا مداورة
 ومتاعفة ، وأنه كان يصنع من فساد الانتخاب ، برسوه الناخبين وأخذ
 أصواتهم بغير غش مره وبمرهيب مره أخرى ، ما كان يعطلعه غيره من
 المرشحين لمنصب الدولة .

وكان بعد هذا كله ، ينصح في كتبه وخفيه بالصدق والاستدال وإظهار
 الشفافية والخسونة . ولكن رسد تلك الخاصة نسبه عليه بأنه كان مرفاً مسرف
 في الشرف ، يعلو في حب المظاهر ، ولا يقطن إلا إذا مال من مظاهر الثروة
 والرفعة ما يلائم غروره الذي لا حد له . وكان عني هذا كله مجاعاً في القول
 جباناً في السيرة ، يخاف حتى من ضد ، ويشملو ربه في التقي وحقاً على
 حربه وإيثاراً لنفسه ، ثم يستخر من هذا كله في رسائله الخاصة ، لأنه لم يكن
 يراه إلا أن يحا ويستمع بالحياة . وكان يخضع احكام المرشحين ويعرضهم
 للنقص عليهم بالغرابات . ولكن كتبه تعرف عليه بأنه حين نرى احكامه في
 بعض الأدلة أظهر سره حسه ورفقاً بالمرء ، ولكنه أضمر سكراماً ومسو .

وسرعن مستخدم استغلالاً منكراً . كل هذه الخصال والآثار تسببها الرسائل احاطت التي أرسلها إلى صالبيد أبيكوس ، وقد ارتفعت بينهما الحكمة وراى بينهما اخرج ، فأقضى كل منهما إلى صاحبه بدات نفسه في غير تحفظ ولا احتياط . ووضح جدا أن نسر هذه الرسائل بأمر أو كفاف إن قصد به إلى شيء فانما يقصد به إلى اسكند لسيسرون بعد موته ، وإلى الاداعه التي تظهر من ثابته على قنصر وأوكتاف واطوان ما كان يخفى . ليعلم الجمهوريون أنه لم يكن زعيماً مخلصاً صادقاً ، وإنما كان طالب منفعة وصاحب رياء .

أما الجزء الثاني من رسائل سيسرون فقد استترك في نسره ماركووس بن سيسرون ونسرون مولاه ، وأشرف على عملهما أتيكوس نفسه . وهو يشتمل على رسائله إلى أعضاء أسرته ، وإلى بعض أصدقائه ، وإلى برونوس منهم خاصة . وفي هذه الكتب ذم أي ذم لأنطوان وتخريص عليه . وساء على قنصر وأوكتاف ، وإظهار لتلون سيسرون في السياسة من جهه ، ولضعفه وغفله من جهه أخرى . فواضح أن نسر هذه الرسائل يؤيد سياسة أوكتاف ويؤلب الناس على أنطوان . وقد نسر هذه الرسائل بانضبط في الوقت الذي كان الخصمان فيه يتيان للحرب التي انتصر فيها أوكتاف .

وهذه ندر مسائلتان خطيرتان : إحداهما نمصل بالتاريخ قبل كل شيء ، وهي إلى أي حد يمكن الاضمتان إلى هذه النظرية التي تجعل إذاعة هذه الرسائل مصير من مظاهر نسر الدعوة السياسية ؟ واخواب على هذا السؤال بسير وبكس رائح حقا . فقد أظهر الأساذ كاركوينو أن السياسة الدكورية في عهد قنصر وابنه أوكتاف ، لم تكن أقل مهاره ولا براعه ولا افساناً في نسر الدعوة من سياسة اندكتاتوريه في العصر الحديث . فقد ابتكر قنصر لأول مره في التاريخ ، إنشاء لصحفه اليومية التي تعلن في روما ونداع في إبتالما ، وترسل إلى احماء في الأقاليم ، ويقرأ الناس فيها الحوادث التي تحدث في كل يوم . وبهذه الطريقة ابتكر قنصر السيصره على العقول من طريق القراءه . ثم لم يقف الأمر عند هذا الحد ، وإنما ابتكر قنصر كذلك البلاغات الرسميه التي تعلن إلى الناس أنباء الحرب كما نحب الحكومة أن تعدها . فلم يتم ابتكر الرديه على ما يقرأ الناس من الكتب في المكاتب العامة ، فلم يكن يسمح لكتاب أن معرض للقراءه إلا إذا أقره السنن وأذن بقراءنه

ورضى عما فيه . وليس أدل على أن رسائل سيسرون إنما نسرت لاذاعة الدعوة من أن ردود أتيكوس عليها لم تنشر ، ومن أن أتيكوس قد ظفر بالخطوة كل الخطوة عند أوكتاف ، حتى أصبح صهراً للأسرة الامبراطورية ، ومن أن ماركوس بن سيسرون قد ظفر بالأمن بعد أن كان طريداً أهدر دمه ، ثم ظفر بالخطوة عند أوكتاف ، حتى بلغ المناصب الرفيعة في الدولة ، واستمع بحية لاهية مترفه كان يجب الفراخ لها أيام أبيه .

أما المسألة الثانية ، فهي إلى أي حد يمكن الاطمئنان إلى أن أتيكوس قد خان صديقه بعد موته على هذا النحو البشع . وإلى أن ماركوس قد خان أبيه بعد موته على هذا النحو البشع أيضاً ؟ فأما أتيكوس فقد رأيت أن مذهبه في الأخلاق كان يعفيه من إثم هذه الخيانة . فقد كان سيسرون صديقه حين كان حياً يرتجى نفعه ويتقى شره ، وأما بعد أن مات . فقد دخل في العدم المطلق الذي لا يرتجى من أهله خير ، ولا يتقى منهم شر . وليس على أتيكوس بأس أمام مذهبه الخلقى من أن يخون ميتاً ليعخدم حياً ، هو المستأمر بالسلطان الذي يملك النفع كل النفع والضر كل الضر ، ويحكم في حياة الأحياء . وأما ماركوس فقد كان منذ شبابه الأول صاحب مجون وطمو فراع ، فهو ضعيف الطبع قصير الهمة ، وهو بعد مدين بخيانه لأوكتاف . فكيف إذا أضف أوكتاف إلى حياته شيئاً غير قليل من السرف والترف والجاه ! والناس بعد ذلك هم اناس ، في أكثرهم الضعف والخور والتهالك والأثرة ، وغير هذا كله من الخصال التي تغرى بالمكر والفدر . وتدفع إلى الخيانة والام ، ويورط في أشياء كثيرة بأياها الأخلاق المكتوبة التي يقررها الفلاسفة ويدعو إليها المصلحون ، وتميزها السيرة العملية . تجاهر بها أحياناً ، وتخاف بها أحياناً أخرى . وتلتبس بها دائماً ما يقل وما لا يقبل من التعلات والمعاذير .

أما أنا فقد أنفقت في قراءة هذا الكتاب أسابيع . ووجدت في هذه القراءة فتوى من الأدب والسياسة والتاريخ وفلسفة الأخلاق . ولم تتر هذه القراءة في نفسي سيرة سيسرون ولا رحمة له ولا إشتافاً عليه . فما يضر الموتى أن يشمت بهم الشامتون . ولا ينفعهم أن يشقى عليهم الشققون . وقد كان سيسرون رجلاً من معاصريه ، فيه ما في معاصريه من خصال الخير والسر ، ولكنه

اساز من معاصريه بنفوق غنله وقلبه ولسانه ، وفرض من أجل ذلك نفسه على اللسانية كلها إلى آخر الدهر .

والمتفوقون يترعون أطرافاً من حياة قيصر وابنه أوكتاف ، ثم لا يلبثون أن ينسوا ما قرءوا . ولكن المدارس والجامعات ستكون غفول الصبية والسناب بأدب سيسرون . وليس انهم أن يكون سيسرون رجلاً خيراً أو شريراً ، وإنما المهم أن تكون سيسرون قد ترك من الآثار ما ينفع الناس . ثم إن فرائق لهذا الكتاب لم نتر في نفسى شيئاً من السخط قليلاً أو كثيراً ، على الذين خاصموا سيسرون في حياته ، أو خانوه بعد موته . فالتاس دائماً هم الناس ، فهم شر كثير وخير قليل . ولم يصلوا بعد ذلك إلى العصر الذهبي الذي يصبحون فيه أخيراً أطهرراً لا يجد الشر إليهم سبيلاً . وإنما الذي أَرْضاني كل الرضا ، وأمعنى كل الامتاع ، وعزّى نفسى عما تمنى به الحياة الواقعة اليومية ، هو التفكير في هذا الأستاذ الشيخ الذي لم تصرفه الأحداث الخطيرة التي يمحزن بها العالم منذ سنين ، والتي استعجن بها وطنه أعسر الامتحان وأفساه ، والتي امتحن بها هو في ذات نفسه امتحاناً أليماً — لم تصرفه هذه الأحداث عن أن يفرغ لرسائل سيسرون ، فيدرسها هذا الدرس ، ويخرج لنا هذا الكتاب الذي إن صور شيئاً فأنما يصور الشجاعه والصبر واجله والتجرد للعلم الخالص ، والفراغ لاستكشاف الحق من حيث هو حق ، مهما تكن الأحداث والخطوب والظروف . فأما ذمة البحث وحسن الاستقصاء وجوده الاستنباط ، فأنما هي خصال العلماء . وصاحب هذا الكتاب عالم ممتاز بين العلماء .

في أفق السياسة العالمية

مشكلة تريستا والبحر الأدرياتي

إذا وقعت عند أنترنو آخر موانئ إيطاليا في أفق الشرق من الجنوب وسرحت العرف في عرض المضيق المعروف باسم هذا الميناء والذي يفصل إيطاليا عن البلقان ، استبان لك من وراء الأفق البعيد ظلال الجبال المرتفعة الواقعة على الساحل البلقاني بألوانها الجذابة التي تختلط بالسحب فجعل منها لوحة فنية رائعة الجمال .

ومع أن المسافة التي يفصل جانبي المضيق لا تقل عن ٧٠ كم ولو منراً فإن السيطرة على هذا المضيق خير منها في جبل طارق . ذلك لأن مياه البحر في منطقتي البحر الأدرياتي أقل عمقاً ؛ فبينما تستطيع الغواصات اختراق مضيق جبل طارق بسهولة كما أثبتت تجارب الحريين العالميين ، فإن الغواصات المعادية لا تستطيع الإفلات من الشباك التي بوضع عند مدخل أنترنو .

وليس مضيق أنترنو أو لبحر الأدرياتي أهميته سياسية تذكر بالنظر إلى أهمية يوايتي البحر المتوسط الشرقي والغربي عند قيام لسيون وجبل طارق . ولكن تاريخ العصور الوسطى قد جعل لبحر الأدرياتي شأناً فاق به أهميته البحر المتوسط نفسه . فقد ظهرت مدينة البندقية المرفئة على البحر الأدرياتي من على واسع نفوذها وتوثقت الروابط التجارية بينها وبين بلاد الشرق منذ بعيد ؛ فكانت سفنها أول نسيء همل إلى أوروبا كنز الشرق من حرير وجواهر وأبسطة وحلوى وعطور ويوايت ، وكانت هذه السفن تنقل من البندقية إلى فينا وأجربرج وباريس ومنها إلى بلدان أوروبا المتمدنة . ومن البندقية قامت جماعات كثيرة من الصليبيين مزودة ببركات سبيلها ودعواته لتنزع البعثة المقدسة من أيدي المسلمين ، فكانت سفن البندقية محملة في البحر الأدرياتي وتغزو بهم مصيبي أنترنو ثم توجه بهم شرقاً إلى البلاد المتمدنة التي طامح أرغيفت في سلبها الدماء رخصة من أهل الشرق والعرب جمعاً . وكانت سفن البندقية

أنصاً هي التي تحمل من نجا منهم من الموت لنعود بهم إلى أوطانهم مخدولين فقراء إلا من رضا الله أو من رضا البابا ، وإلا من الذكريات والأحاديث عن الشرق وروائعه .

ولقد أفاد أدب جمهورية البندقية من هذه الرحلات الصليبية وما جرت إليه من معانج تجارية وقوائد كبيرة ، فجعلت تمد نفوذها على ساحل دلماسيا وجزر الأيونيان وفبرص وبحر إيجة ، حتى صار لها الزعامة في الملاحة والتجارة في البحر المتوسط . وكانت البندقية تقيم في كل عام مهرجاناً بحرياً مقدساً تحتفل فيه بفوقها على البحر ؛ فيقدم البابا «لادوف» رئيس حكومة البندقية خاتماً يباركه فيعذفه الدوى أثناء الحفل في البحر ليكون رمزاً لتوثيق الصلح بين المدينة والبحر . كما يكون حاتم الخطبة بين الزوجين ، كأنما خطب البندقية البحر لنفسها وارتبطت إليه بروابط الزواج المقدس !

وفي مستهل «عصور الحديثة زحف الأتراك غرباً وجعلوا يناهضون نفوذ البندقية . ثم جاءت الاستكشافات الحديثة في العلم الجديد ، وكان برنلميو دياز البرتغالي قد ساح حول رأس الرجاء الصالح ، وجاء فاسكو دا جاما بعده ووصل عن الطريق نفسه إلى الهند في نهاية القرن الخامس عشر . فتحول الاهتمام من ذلك الوقت عن البحر المتوسط إلى المحيط الأطلنطي والمحيط الهندي ، وبصاغت تبعاً لذلك أهمية جمهوريات الموانئ الإيطالية . وأخذ نفوذ الأتراك يقوى ويمتد في البلقان وفي البحر المتوسط ، حتى وقفت جيوشهم أمام أسوار فيينا ، وأصبح ساحل دلماسيا خاضعاً للنفوذ النمساوي والتركي .

ثم قامت الثورة الفرنسية وظهر نابليون بونابرت ؛ فقدت جيوشه لغزو إيطاليا فانهارت جمهورية البندقية ، وعقد نابليون مع النمسا صلح كامبو فورميو سنة ١٧٩٧ ، ومن شروط هذا الصلح انضمت نيات بونابرت وسياسته نحو الشرق ؛ فقد ترك البندقية للنمسا مقابل نزول النمسا لفرنسا عن الأراضي المنخفضة ، والاحتفاظ لفرنسا بجزر الأيونيان عند مدخل البحر الأدرياتي لتتخذ منها فرنسا قواعد تزحف منها نحو الشرق . ولم يكف نابليون ينزع فعلا من صلح كامبو فورميو حتى سارع بإعداد مشروعه العظيم لغزو مصر .

غير أن سلطان فرنسا لم يدم طويلاً لا في مصر ولا في جزر الأيونيان التي احتلها الإنجليز وقد لقرار مؤتمر فيينا ، تم نزعها عنها لجورج الأول ملك

اليونان سنة ١٨٦٣ . وبقي التفوق في البحر الأدرياتي لنمسا التي حلت محل جمهورية البندمية القديمة . وظلت الحال كذلك حتى قامت حركة الوحدة الإيطالية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . واحتدم النزاع بين يمدنت وإيطاليا الحديثة والنمسا . ولم تدخل البندمية في نطاق الوحدة إلا بعد هزيمة النمسا أمام بروسيا في سنة ١٨٦٦ فكان ضم البندمية إلى إيطاليا تمناً لحديثها في الحرب . ومنذ ذلك الوقت أصبح التفوق في البحر الأدرياتي مشتركاً بين النمسا وإيطاليا . وقد كانت إمبراطورية النمسا بالاتحاد مع المجر تمتك ساحل دلماسيا وسبب جزيرة أستريا بما في ذلك موانئ تريستا وبولا وقوسى وجزر البحر الأدرياتي . أما إيطاليا فكان لها الساحل الغربى للبحر الأدرياتي ، ولها في الشمال الغربى ميناء البندمية .

ونشبت الحرب العالمية الأولى ، فأعلنت إيطاليا حيلتها في أول الأمر رغم ارتباطها بدولتي الوسط بالتحالف الثلاثية ثم تحولت تدريجياً من الحيدة إلى مؤازرة الحلفاء الذين استلواها إلى جانبهم بما قدموا لها من مزايا إقليمية مغرية طالما تطلعت إيطاليا إلى تحقيقها . فقد أدن لها الحلفاء بمعاهدة لندن السرية في سنة ١٩١٥ في أن تضم إليها بعد كسب الحرب تريستا ونسبها جزيرة أستريا ودلماسيا بما في ذلك جزر البحر الأدرياتي ، كما فرزوا حيدة ألبانيا بعد الحرب على أن تمنحها إيطاليا أمام الدول الأجنبية ؛ وبذلك يصبح البحر الأدرياتي بحيرة إيطالية .

ولما انتهت الحرب بانتصار الحلفاء باتت إيطاليا ترقب تنفيذ المعاهدة بحذافيرها ، ولكن عاملاً هاماً جديداً كان قد ظهر في الأفق بدخول الولايات المتحدة الحرب في سنة ١٩١٧ وإعلان الرئيس ولسن مبادئه الأربعة عشر وحق الشعوب في تقرير مصيرها ، إذ قال : « إن الأقاليم والشعوب لا تنقل من يد إلى أخرى أو مملكة إلى أخرى كما لو كانت سلعة تساموم بشأنها الدول ، بل تقوم النسويات الإقليمية بين الدول على أساس خير السكان أنفسهم ووفق رغباتهم . » فلما انعقد مؤتمر الصلح في فرساي أقاموا على اقتض إمبراطورية النمسا دولاً جديدة ، منها يوغسلافيا التي جمعت بين الصرب وكرواتيا وأجبل الأسود واليوستة والمهرست والشعب السلوفنى جنوب المجر ؛ وبذلك أصبح لمملكة الجديدة ساحل دلماسيا شرق البحر الأدرياتي . وعبثاً طالبت إيطاليا

بتمتع شروط معاهدة لندن بضم دلماسيا إليها . واحتدم النزاع بين إيطاليا والحلفاء حتى غادر أرلندو المندوب الإيطالي مؤتمر الصلح غاضباً وعاد إلى بلاده . غير أن الحلفاء سرعان ما اسرخوا إيطاليا بضم إقليم فينيزيا جوليا إليها ؛ فأصبحت ترينس إيطالية بعد أن ظلت أكثر من خمسة قرون تابعة لأسرة هابسبرج ، وقد كانت للنمسا كالرئة للجسم ، فجعلت تهتم بشؤونها وتجارتها حتى غضت أهميتها على البندوبية وأصبحت سيده البحر الأدرياتي غير منازعة .

ثم نسا بين إيطاليا ويوغسلافيا خلاف شديد بشأن ميناء فيومي الذي كان تابعاً للمجر ؛ فقد قرر المؤتمر ضم إى يوغسلافيا ، ولكن دنيزيو الشاعر الإيطالي تقطوع على رأس حملة أهله لاحتلال فيومي وأقام فيها حكومة مؤقتة سنة ١٩١٩ ، مستهدماً إلى كثرة الصلح في الميناء . وظل النزاع قائماً بين الدولتين بشأنه إلى أن دلى الفاسيون الحكم ؛ فعقد مسؤولين مع يوغسلافيا اتفاق روما سنة ١٩٢٤ ، وبمقتضاه أصبحت فيومي وزارا تابعين لإيطاليا ، وأخذت يوغسلافيا ضاحكة سوماى القريبة من فيومي . وقد احتفظت إيطاليا بجزر البحر الأدرياتي واتخذتها قواعد تقرب منها أسطول يوغسلافيا وحركاته ، كما كانت فرنسا ترومب من جزيرة قورسقة حركات الأسطول الإيطالي . وعلى ذلك أصبحت السيادة فى البحر الأدرياتي بعد الحرب العالمية الأولى موزعة توزيعاً غير عادل بين إيطاليا ويوغسلافيا ؛ إذ كانت القوات اليوغسلافية أمام نفوذ إيطاليا محصورة فى البحر الأدرياتي ، كما كان الأسطول الإيطالي نفسه كالمحصور فى البحر المتوسط أمام بتقوى بريطانيا وفرنسا فيه .

ولقد حاولت إيطاليا فى أول الأمر أن تتقرب من دول البلقان لتسيطر على أسواقها وتزعم شعوبها ، وعقد مسؤولين لهذه الغاية معاهدات صداقة مع حكومات البلقان الخلفه ؛ غير أن السياسة التى سارت عليها تركيا واليونان والى أفضت إلى تكون ميثاق البلقان سنة ١٩٢٤ بين دوله الأربع تركيا واليونان ويوغسلافيا ورومانيا ، هذه السياسة قد أفسدت على إيطاليا خططها كما أفسدها أيضاً انحياز يوغسلافيا إلى جانب فرنسا واطراد العلاقات الاقتصادية بين ألمانيا ودول البلقان . لذلك تراجعت إيطاليا وعدلت سياستها نحو البلقان ، واكتفت بأن وسّقت علاقاتها بألبانيا حتى كادت تبتلعها ؛ ثم لم تبت أن ابتلعها فعلا قبل نشوب الحرب العالمية الثانية .

وكان مسوليني عظيم الاهتمام بسواحل البحر الأدرياتي ، ولم يكف بحصين ميناء دراج وجزيره ساتيز عند مدخل خليج فولونا بألبانيا . بل اهتم كذلك بالساحل الغربي وهو بطبيعته ساحل فحل فحل المواني . فحصى ميناء برنديزي وأنسا في باري جامعده خصصه لاستقبال الطلاب الفاضلين إليها من البلقان ومن بلاد المشرق ، وأقام فيها محطة للاذاعة جعلها مصدراً للدعاية الاضالية ضد بريطانيا في المشرق العربي . وكانت هذه الدعاية من العوازل التي أوغرت صدر بريطانيا على إيطاليا بعد الحرب العالمية الأخيرة . وقد بلغ من اهتمام مسوليني بهذه المنفعة أنه كان يعقد فيها كل عام مهرجاناً يعرض فيه كل ما يصل بشؤون المشرق ، وكان يخطب الناس في هذه المهرجانات ، وقال في أحدها مرة : إن باري هي الخاتم الذي يربط بين المشرق والغرب برباط الرواج المقدس . فكأنه بذلك كان يحدد ذكرى الحفل الذي كان تقيمه البندقية في أوج مجدها ويقذف فيه دوقها بالخاتم إلى البحر .

ولما اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية كانت إيطاليا تحكم في البحر الأدرياتي وكانت قد سطت قبل ذلك على ألبانيا في صبيحة الجمعة الأخيرة من عام ١٩٣٩ . فسردت عليها وحكومتها وضمت البلاد إلى تاج إيطاليا ، فتخذ منها مضطرها تعبر عليها جبهتها إلى بلاد اليونان . ولكن ذلك الشعب الأبي الصغير لم يلبث أن استرعى إعجاب العالم ببسالته واستقامته في رد فواج الطاغية ودحرها ، حتى اضطر هتلر إلى المبادرة لنجده حينئذ وإرسال قواته لاحتراق البلقان واحتلال اليونان وكريت وبحر إيجه .

ولما كانت قوات المحور في أول سنة الحرب متفوقة في الجو بحيث كانت تستطيع من قواعدها في سردينيا وصقلية ولبنيا وكريت أن تحكم في مياه البحر المتوسط وبلاحتة ، فقد اعبر البحر المتوسط مغلقاً دون الملاحه ، واضطر الحلفاء إلى السير منهم إلى المشرق عن طريق رأس الرجاء الصالح والمحيط الهندي أو البحر الأحمر . وقد استمر معلماً إلى قرب نهاية الحرب . على أن الأسطول البريطاني لم يقف عاجزاً أمام الأسطول الابيالي . ولكن الأسطول الأخير لم يكن ليجرؤ على الظهور خارج موانئه ؛ فكان الانجليز يستعمون بالسلاح الجوي في الاعتراض على السفن الابيالية الحربية في مخابها فيحطمونها تحطيماً ؛ وبذلك استطاع الانجليز أن يحملوا الايطاليين خسائر فادحة في موقعي ترنتو (نوفمبر سنة ١٩٤٠) جنوبي إيطاليا

ومابين غربي اليونان (مارس ١٩٤١) على أن هذه الانسحابات لم يؤد إلى فتح البحر المتوسط ويواجه للملاحه مادامت قوات المحور محتبطة بقواعدها الجوية في إيطاليا وجزر بحر إيجه .

ولما انتهت الحرب تغيرت الأوضاع على سواحل البحر الأدرياتي ، فقامت يوغسلافيا وفي ألبانيا حكومتان سرعان ما قضتا على نظام الملكية فيهما واستبدتا في حكمهما على العناصر التي كانت تقاوم ضد المحور والتي كانت نعتنى ابداً الشيوعية بمساعدة حكومه اتحاد السوفييت . وقد سارعت القوات اليوغسلافية بزعامة الجنرال تيتو إلى احتلال إقليم فنيزيا جوليا الذي كانت إيطاليا قد ضمنه في أعقاب الحرب العالمية الأولى . وفي مايو سنة ١٩٤٥ دخلت القوات البريطانية الأميركية ميناء تريستا ، وعلى أثرهم دخل اليوغسلافون وقد أناروا بدخولهم ضجة هائلة . وتوترت على أثرها العلاقات بين الحلفاء واليوغسلافين حتى خيف أن يشب الفصا بينهما فتعيد تريستا سيرة فيومي بعد الحرب العالميه الأولى ؛ ولكن الأزمة لم تلبث طويلا وخضع الميناء لأوامر الحلفاء .

ومن أهم العوامل التي تؤثر اليوم في ميناء تريستا أن سكانها وسكان المدن والموانئ في إقليم فنيزيا جوليا معظمهم من الطليان وأقله فيها من السلوفين على عكس الحال بين سكان القرى والريف . والطليان في هذه المنطفه هم أصحاب الأعمال والصاعات الكبرى ، ويتركزون مع أهل البلاد من اسلوفين والكروات في المذهب الكاثوليكي ، ولكنهم على رغم كبريتهم ومكانتهم الاقتصادية ليست لهم في المنطقه تقلد أو أصول راسخه ؛ فان معظمهم من النزحيين إليها في طلب الرزق . لذلك كان أكثرهم ممن يعتنقون ابداً الشيوعية الاشتراكية ويمقتون النظم النازية .

من ذلك ينضح أنه من حيث عدد السكان تعتبر تريستا إيطالية ؛ إذ أن مجموع سكان المنطقه ٣٢٠,٠٠٠ منهم ٢٦٦,٠٠٠ من الايطاليين . غير أنه يبدو أن حاجه يوغسلافيا الاقتصادية إليها أشد من حاجه الطليان الذين يملكون ميناء ابيدقيه على البحر الأدرياتي فضلا عن موانئ أخرى كبيرة على البحر المتوسط مثل جنوه وناپولي . ولكن الخلاف الايديولوجي كان في حقيقة الأمر هو سبب اشتداد الأزمة ؛ فمن وراء يوغسلافيا روسيا وألبانيا ، ومن

وراء إيطاليا وبريطانيا وأمريكا . من أجل ذلك لم أجمع مؤتمر وزراء الخارجية في العام الماضي وأعييتهم الخيل في حل هذا الشكّل ، رحبوا جميعاً باقتراح فرنسا وهو أن تصبح المنطقة دولية ، وقد حددوا مساحة المنطقة بثلاثين ميلاً طولاً في ١٨ ميلاً عرضاً .

وقد قرّرت معاهدة الصلح التي أبرمت في العام الماضي مع إيطاليا النظام الأساسي لمنطقة تريستا الحرة ونص هذا النظام على أن ينتخب مجلس الأمن

حاكم المنطقة الذي يستمد سلطته من مجلس الأمن رأساً ، فيكون مسؤولاً أمامه ، وأن يترك للحاكم أن يدعو الأهالي للانتخاب بعد مضي أربعة أشهر على قيامه بالعمل ، على أن يكون الانتخاب للبرلمان نسيباً ، حتى يستطيع تمثيل جميع الطوائف فيه . وحددت قوات الحلفاء بخمسة آلاف جندي لكل من بريطانيا والولايات المتحدة . ولحاكم أن يقرر بعد تسعين يوماً من تسلمه العمل الاستغناء عن قوات الحلفاء إذا أراد ، وله أن يعين أعضاء حكومته المؤقتة من بين أهالي المنطقة بعد التشاور بين الحكومتين الإيطالية واليوغسلافية .



منطقة تريستا

وقد نصت المادة الثامنة عشرة

القانون النظامي لتريستا بأن يختار

للميناء مدير أجنبي لا ينتسب إلى إيطاليا أو يوغسلافيا ، وأن يفضل أهل المنطقة الحرة في التعيين للوظائف الأخرى . وأن تؤلف لجهة دوله نشرف على المصالح العليا للميناء وتمثل فيها عدد الدول الأربع الكبرى إيطاليا ويوغسلافيا ومنطقتي تريستا وادرياتي ترتبط مصالحها بالميناء وهي تشكوسلوفاكيا وبولندا والنمسا والنمسا وسويسرا ، وتكون رياسة اللجنة لمندوب تريستا وأعضاؤها

سمعون بمزاج العنصر الأجنبي فلا نصبق عليهم قوانين البلاد . وقد أراد الحلفاء بذلك أن تصبح ترينستا مئة دولي محيداً تفيد منه جميع الدول التي تلامس سواحلها البحر الأدرياتي . أما يوغسلافيا فيكفيها ما ضمتها إليها في نهاية الحرب الأخيرة بالفوه من إيطاليا ، ومن ذلك شه حزيره أستريا ومنداي قموي ويولا وجزر البحر الأدرياتي ، وقد كانت جميعاً تابعة لإيطاليا . وقد انضى إلى الآن نحو عام والحكومتان الايطالية واليوغسلافية بتفاوضان بكنيف من مجلس الامم بشأن انتخاب حاكم عام للمنطقة ، فلم توفقا إلى شخص نوصاه إيطاليا من جهة ويحوز رضا الاتحاد السوفيتي من جهة أخرى . ولما أحضر المجلس باخفاق هذه المساعي افترحت الدول الغربية الثلاث بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا على روسيا أن ترد منطقة ترينستا الحرة إلى إيطاليا . وكن ذلك في نهاية شهر مارس الماضي . ومع أن يوغسلافيا لن تسكت على هذا الاقتراح فان روسيا ستحاول التوفيق بين مصالح صاحبتها يوغسلافيا وآمال الشيوعيين في إيطاليا وهم على أبواب المعركة الانتخابية التي سنشبه يوم ١٨ أبريل الجاري . وقد تحولت الانتخابات في إيطاليا أخيراً من ظاهرة وطنية محلية إلى ظاهرة عالمية مذهبية يقف فيها حزب الديمقراطيين المسيحيين وسعه أحزاب اليمين أمام جبهة الاستراكيين والشيوعيين . وكأنما المعركة قائمة في حقيقة الأمر بين الدول الديمقراطية الغربية والدول الشرقية الشيوعية . وليس في تطور الأمور على هذه الصورة شيئاً غريباً بعد ، ظهر من نشاط الأحزاب الشيوعية أخيراً في البحر ورومانيا ونشكوسلوفيا ، وبعد ما وضح من نيات الولايات المتحدة بشأن تنفيذ مشروع إنهاء أوروبا اقتصاديا وهو المعروف بمشروع مارشال الذي أقره الرئيس ترومان في أوائل شهر أبريل الحالي وأصبح قانوناً تفيد منه دول أوروبا الست عشره اقتصاديا وسياسيا بل وحريريا أيضاً . وكان من حسن طالع إيطاليا أو فل من سوء طالعها أن نفق إيطاليا بحكم موقعها الجغرافي على حافة الجسر بين الكتلتين السلافية والغربية ، وأن تكون ترينستا واسطة هذا الاتصال بين الشرق والغرب . ولذلك كان النضال بشأنها عظيما بين اتحاد السوفيت من جهة وبين الدول الغربية الكبرى من جهة أخرى . وكل اقتراب موعد الانتخابات الايطالية العامة حي التنافس بين الفريقين في سبيل كسب إيطالي . فلا عجب أن تنبه إيطاليا اليوم بدلاها على المحيين

من الكتلتين . وأن يأبى المدد سرباً من المعسكرين . فها هي ذى روسيا التي كانت تمتد نفسها عقب الحرب الأخيرة بالوصاية على إحدى مستعمرات إيطاليا القديمة في جزر الدوديكانيز أو في طراباس أو في إفريقية نعود اليوم وتؤيد إيطاليا في استرداد بعض مستعمراتها ، بل إنها لا ترضى عليها بتريستا نفسها مقابل شروط معينة لمصلحة يوغسلافيا أهمها النزول لها عن جورنزا وهي من النقط الاستراتيجية في شمال إيطاليا الشرقى . وها هي ذى الدول الغربية الثلاث تقترح على روسيا إعادة منطقته تريستا إلى إيطاليا دون شرط أو قيد مع أنه لم يرض على توقيع معاهدة الصلح سوى عام واحد . وها هو ذا وزير خارجيه فرنسا يسارع إلى توريين لمعاينة وزير الخارجية الايطالية ويوفعان معا على اتفاق جمركى وسياسى سيكون أثره حتماً أن يوثق الروابط بين البلدين اللاتينيين . ولن يمضى وقت طويل حتى ترى الدول الغربية تقترح قبول إيطاليا في هيئة الأمم المتحدة . وإذا عارضت روسيا في قبولها واستخدمت حقها للمرء الثالثة في نقض القرار أمام مجلس الأمن على الرغم مما ظهر من حذرها وعطفها أخيراً على مطالب إيطاليا ، فإن المجلس سيضطر إلى إحالة الموضوع على الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة في اجتماعها المقبل .

فاذا تحققت لإيطاليا هذه الغايات جميعاً ودخلت تريستا في حوزتها دائماً ، واستطاعت إيطاليا الجديدة أن تكسب صداقة الدول الغربية من جهة ورضا اتحاد السوفييت وصاحباته من جهة أخرى ، فإن إيطاليا ستمسك بميزان القوى بين الكنيلين ، وستقف عند تريستا كالديديان تحرس البوابة الكبرى بين الشرق والغرب ، وهي التي إن فتحت وجدت التسوية صريقها إلى الغرب والبحر المتوسط سرباً . فهل تثبت إيطاليا أم يغرقها الطوفان (١) !

محمد رفعت

(١) بين كتابة هذا المقال ونشره ظهرت نتيجة الانتخابات الإيطالية وهي تدل على فوز كبير للديمقراطيين المسيحيين الذين يناصرون قضية الدول الغربية . أما احتمالات الموقف فلا تزال قائمة .

مرحلتان في تاريخ مصر العام

مصر تاريخ طويل يخلف المؤرخون في محاسبته . فيجعلها بعضهم في
لألف الخامسة قبل الميلاد ويحسبها بعضهم الآخر في الألف الرابعة وفي القرن
الثالث واشتلاين بالذات ، وتميل كتبهم الآن إلى أن تعتمد التاريخ الأخير .
ومع ذلك فمن المسلم به من اجمع أن هذه الأسره الأولى وظهور الكتابه
وبدايه التاريخ المكتوب لا تمثل أول التاريخ في مصر ، وإنما هي نهايه لعهد
طويل من التطور أرسيت خلاله أسس احياه الماديه والاختراع في مصر ،
وانتقلت من الحده ، مقوماتها ومطهرها التي حفظت عليها طابعها المصري خلال
الأعصر اللاحقه . وقد يكون من الحق علينا الآن أن نتحدث عن حجر المدينه
المستقره في مصر بدلاً من أن نتحدث عن أول التاريخ المكتوب . فالكتابه
التي تصطبغ الناس على أن يبدأ تاريخ بظهورها لم تكن إلا عرماً أضاف
إلى الحياه ولكنه لم يغير من أسسها ولم يحوّر من مقوماتها . بل إن الحياه
الماديه في العهد الفرعوني لدى عرف المصريون فيه كيف يسجلون تاريخهم
لم تكن في أصوها وأسبابها وطرائقها وعماياتها إلا استمراراً لحياه شعب مصر
الذي استقر في لوادي منذ عرف الناس الزراعة وفلاحه الأرض واستئناس
الحيوان ورعيه ، أي منذ لعصر الحجري الحديث . كذلك لم تكن حياه
المصريين العمليه والروحيه ونزعائهم في الدؤى والتفكير إلا استمراراً وتجديداً
من آذان من حياه أسلافهم في عهد ما قبل الأسرات . بل إن الاتصالات
المصريين بالخارج وبنادهم ألوان الثقافه والفكر مع غيرهم في الشرق والغرب
والجنوب والسهل قد بدأت كلها في أدوار مختلفه قبل أن يبدأ التاريخ المكتوب .
وإذا نحن نظرنا إلى مصر عند قيام الأسره الأولى فانه نجد أن المجتمع فيها
كان مكتمل الحياه والطور في كثير من الوجوه . فالأسس الاقتصاديه
والماديه قد بلغت حدّاً كبيراً من الاستقرار والتعمد ؛ وحياه الناس ومصالحهم

قد رابضت وبشاكب . فجمع بين شخص احرف ونكاليها . والمصم
 الاحتمعى قد تصور فنمى طبقات السكان . كما اتسع حتى شمل الوصن منه ؛
 فهو قد بلغ غايته . أو أدنى يبلغها . في تعمق والاسراع . واحياه
 الاجتماع والدنية لمصريين كانت قد تجاوزت حد الحسن والمحسوباء إلى
 عالم المعى والمعنويات وما يحصل بها من ثقافة الروح والوجدان . وكذلك
 الحياه الفنية والشاعرية العامة لأبناء وادى لنيل الأدنى قد بلغت عدده رفيعه
 مكتب للفن وثقافة الذوق والنفس من أن يكون جميعا في خدمة الروح
 والدين . بل كذلك الحياه الادارية والسياسة للمصريين قد بلغت حدا
 استطاع به الفرد أن يلائم بين العصبية العلميه وروح الوحدة القوميه .
 وذلك منتهى ما ترمى إليه الحياه في أمة من الأمم . والمصريون جميعا قد صار
 لهم طابع عام مميز . جعلهم يحسون كيانهم الخاص الذى يفرق بينهم وبين
 غيرهم من شعوب الشرق القديم . لذلك كله كان من الحق علينا ألا ننفك
 عنه ما اصطلاح المؤرخون على أن يسموه أول التاريخ المكتوب : بل نرجع
 للوراء حتى فجر الحياه المستقره المتحضره في مصر . أى إلى أواخر الألف
 السادس قبل الميلاد . وإذا نحن فعلنا ذلك فاننا نجد أن تاريخ شعب مصر
 يمتد إلى نحو سبعة آلاف من السنين .

وهذا التاريخ الطويل يمكن أن نسميه إلى مرحلتين كبيرتين . ونحن
 إذ نفعل ذلك نتجاوز عن كثير من التفاصيل التاريخيه التى يعنى بها المؤرخون
 أسد العمايه أحيانا . ولكنها مع ذلك قد تطعى على العالم الكبرى فلا
 تسمح لغير المؤرخ أن يخرج بصورة واضحة من الاتجاهات الكبرى في تاريخ
 مصر . ومع ذلك فنحن سنعالج الموضوع من وجهة نظر ما نسميه بالجغرافيا
 التاريخيه ؛ وهى تلك التى تدرس الصلة المتصورة بين الشعب والبيئة التى
 يعيش فيها . والعلاقة الدائمة بين الحوادث التاريخيه الجارية والظروف الصبيغيه
 التى تساعد على تشكيل تلك الحوادث .

والناظر إلى تاريخ مصر العام يجد أن شعب مصر قد تأثر في حياته
 وتاريخه بعوامل كثيرة : أولا ظروف البيئة المحلية ، ومنها النيل والريه
 والمناخ وموارد الطبيعة في أشكالها وصورها المتعدده . ولولا هذه البيئة الغنية
 المستخيه ، والتى يتجدد عنها وتتعدد مظاهر سخائها في كل عام ، ما استطاع

مجتمع مصر أن يحفظ على نفسه حياته المزدهرة خلال أعصر التاريخ الطويل . بل إن البيئة المصرية بصفتها التي يدرسها الجغرافيون إنما هي إلى حد كبير ، سر ما امتازت به حضارة مصر من القدم والازدهار .

ومدرس جغرافي آخر هو موقع مصر بالنسبة لبلدان المجاورة في الشرق الغربي وشرق البحر المتوسط وفي سهل إفريقيا وسورها . وقد بدأت اتصالات مصر بحد البلدان جميعاً منذ أقدم العصور ؛ بل منذ بدء عهد المعدن على وجه التحديد . فكانت مصر على اتصال بالشرق والغرب والجنوب والشمال . وقد أخذت عن تلك الأقطار جميعاً كما أعطتها من عناصر المدنية ومعلم الثقافة . ومع ذلك فقد امتازت صلاب مصر بالعلم البحري بأنها لم تكن صلات طغيان ، لا من جانب مصر ولا من جانب ذلك العالم البحري . والدليل على ذلك أن مصر حين توسعت كان توسعها قائماً على أساس الاحتكاك وببديل المنفعة ؛ فلم تحاول مصر أن تفرض نظم حياتها ولا حتى معاد دينها وثقافتها المدنية أو اللغوية على غيرها من البلدان ؛ وإن كانت أثرت فيها كلها وبأثر بها . وكذلك الحال في أصاب مصر من الغزوات التي أتت من بعض هذه البلاد المجاورة ؛ فإن تلك الغزوات لم تنصع على أرض انتيل سبيل الحاد ، ولم تطمس معالم المدينة في مصر بلداً . بل لم تغير اتجاه التاريخ العام فيها بغيراً من أسس الحاد وبتموتها الأولية ، كما حدث في بعض البلدان الأخرى ذات المدينة العريقة ، والتي جاءت غزوات من الخارج في بعض العهود فذلك معالم تاريخها دكا ، كما حدث في بلاد كالعراق القديم ، بل كما حدث في حالة بعض الامبراطوريات القديمة ومنها إمبراطورية روما على سبيل المثال . وغاية ما حدث في حالة مصر أن الغزوات القديمة والحديثة التي أتتها من البلدان المجاورة لها لم يمسها ، كسبل بلاد العرب أو جرانيون أو شواطئ ليبيا ، قد أضافت عناصر جديدة إلى حياة المصريين ، والحياة الثقافية بنوع خاص ؛ وكانت هذه الأضافه مما نوّع الحياة في مصر وزاد في ألوانها زياده حداثه تاريخ الحضاره والثقافه في مصر من جهة ، وجعلت من أرض مصر موطن حضارة وإيمان لبعض الألوان الأجنبية من الثقافة ، كالفكر الأغريقي والفكر العربي الاسلامي ، من جهة أخرى .

ثم عامل جغرافي ثالث أثر في حياة مصر وتاريخها العام ، هو موقع مصر

بالنسبة للعالم كله ، عند ذلك تاربت ثلاث عبي آسيا وإفريقية وأورب . وعند
سرى بحرين قديمين هما البحر الأبيض المتوسط سدى يمتد متباعدة في سحر
ابردة في الشمال ، والبحر الأحمر الذى تمتد حتى يصل بالسحر لافئته
ومنطلقها في الجنوب . وهذا الموقع الجغرافى كادب له فبمه لشكبرى ؛ لأنه
جعل من مصر قلب العالم القديم ، وجعلها في صريقى الاتصال بين السرى
والغرب وبين الشمال والجنوب . ومع ذلك فإن فمه هذا اعادى الخفراى
الحسم في تاريخ مصر لم يبدأ إلا بعد أن اتصلت أجزاء العالم بعضهم بعض ،
وبعد أن عرف السرى الغرب ، وعرف الشمال الجنوب . والسبب الذى لا يخلو
من دلالة أن هذا المعارف الواسع الذى يحدث في صورة مباشره إلا في
عهد الاسكندر الأكبر لذى كانت حروب ومخاطر له ففمه تحول خصر في
تاريخ العالم القديم . بل ربما كانت تلك الحروب أخصر ما حدث في حياة
الانسانيه القديمه ، من حيث إنه عاصرها وترب عليها احتكاك غرب بقرب
السرى احكاماً عسكرياً مباشراً ؛ أصاب العربيين والسريين عمومياً بصدمه
عنيفه مباشره ، هزت مشاعر الناس جميعاً في ذلك العهد ، وبرزت أوجها
الدائم والعميق في قصص لغرب والسرى على السواء ثم ترب على ذلك
معارف الذى أطمع الغرب في سرى حيتاً ، وأصبح السرى في الغرب حيتاً
اخر ؛ والذى أقل ما يقال فيه إنه جرى بالصلاب والأسباب . وبهذا السبب
إلى أن فصل التجارة والمواصلات البريه والبحريه المباشره بين مناطق لعالم
المختلفه ، مما ترتب عليه آخر الأمر أن برزت قيمه موقع مصر كحلقة اتصال
بين الشرق والغرب . . .

قد لا نعالى كثيراً إذا قلت إن حروب الاسكندر وما تلاها من احكامك
وتعارف واتصال بين جهات العالم ، بل ما تلاها وترب عليها من إبراز
قيمه موقع مصر الجغرافى ، كانت السبب الأساسى والمباشر في نهضة من
اختلاف واضح بين مرحلتين كبيرتين من مراحل تاريخ مصر العام ؛ هما العهد
الفرعونى وما سبقه من تصور طويل يمتد إلى العصر الحجري الحديث ، ثم
العهد اللاحق لغزوات الاسكندر في القرن الرابع قبل الميلاد ، والذى يمتد
خلال تاريخنا الاعرفى الرومانى والعربى الاسلامى . بل يمتد إلى وقتنا الحاضر .
ففي المرحله الأولى كانت مصر سيده تاريخها ؛ لم تتأثر في حياتها إلا بالعوامل

الجغرافية الخلية وصروف البيئة التي يجد احساء والتاريخ ، وإلا بصروف موقعها
اجغرافي من حيث اتصالها بالعالم المجاورها مباشرة ؛ فقصي عليه ويعرؤه في
بعض الأحيان كما حدث في عهود توسع الامبراطورية المصرية الحديد إلى
بلاد الشام ؛ أو يتصمى عليها ويغزوها أحياناً ، ويقطع حياتها السياسية القومية
خلال فترة قد تقصر أو تطول . أما في المرحلة الثانية ، أي بعد عهد الاسكندر
الأكبر ، فقد تغيرت الحال ، وبرر إلى الوجود ذلك العامل الجغرافي الثالث ،
وهو موقع مصر في طريق المواصلات العالمية . وهذا العامل الثالث أدخل
في حساب التاريخ المصري فوه العام كله . وربط تاريخ مصر وحضارتها بظهور
فكره « العالم » ، وبالقوى المختلفة التي تسعى إلى السيطرة على اتصال
الشرق والغرب ، والتي قد يكون مصدر بعضها قريباً من مصر كما حدث أيام
الامبراطورية الرومانية وامبراطورية العرب ؛ وقد يكون بعضها بعيداً عن مصر
كما حدث أيام الحملة الفرنسية وأيام لامبراطورية البريطانية وفي هذا العهد
الذي نعبر فيه أو الذي نحاول جاهدين أن نتخلص من أعقابه .

١ يمكن ذلك لاختلاف لظاهر الكبير بين هاتين المرحلتين الكبيرتين
من تاريخ مصر العام نتيجة مصادفه أو محض اتفاق . بل إنه لا يمكن مرسياً
على ضعف في الحياة المصرية أو انحلال في تكوين شعب مصر ، كما كان
يعمال إلى عهد قريب . فأرض مصر هي هي الآن كما كانت أيام قدماء
المصريين ، وخصبها في العهد الروماني أو العربي أو في العهد الحديث لا يقل
كثيراً عن خصبها أيام قدماء المصريين . بل نستطيع أن نقول إن استغلال
الأرض في مصر في بعض الأعصر اللاحقة بل في العصر الحديث الذي أدخل
فيه الري الدائم واكتسوبات الحديث إنما هو في الحقيقة أعلى مرتبة من استغلال
تربة مصر ومواردها الزراعيه الخلية أيام قدماء المصريين ؛ سواء أكان ذلك
من ناحية غلة الأرض أم من ناحية تنوع المحاصيل . كذلك الحال في شعب
مصر ، فقد أضفت إليه في العهود الاغريقية والعربية والحديثة عناصر جديدة
من الخارج ، جددت دمائه وأضاف إلى تنوع المواهب والملكات فيه ؛ فهي
لم تضعفه ولم تنه إلى شيء من الانحلال الذي قد يتحدث عنه بعض الكاسين .
وشعب مصر في تكوينه الحالي لا يقل قدره ولا استعداداً عن شعبها أيام
الفرعنة ، بل إنه قد يكون أقوى في تكوينه الحديث من بعض أوجوه .

ولكن الذي حدث في بعض العهود الحديثة هو أن انقوى العالميد أصبحت من الضخامة وشده البأس بحيث لا يستطع مصر أن يسطرها بقومها المحلية . ولذلك فإن عامل الموقع الجغرافي العالمي أصبح أعز تأثراً في توجيه تاريخنا العام من عامل القوة المحلية المصرية . وبذلك أولت زمام التاريخ من مصر ، ووقع في يده أجنبيته تسعى إليها وتستغل موقعها وتوجهها فيما ييسر الاتصال العالم عن طريق ذلك الموقع . دون أن يفهم مصر من ذلك الاتصال غير بعض الفائدة العارضة .

ولكننا نخصي : إذ نتصور أن هذا العمل لم يصل بموقع مصر الجغرافي كان العمل الوحيد أو الغالب على لدوام في تاريخ مصر منذ عهد لأسكندر . إذ الواقع أن حماد مصر وباريحتها في هذه المرحلة كانا متأثرين بالعوامل الثلاثة التي أشرنا إليها : سوارذ البيئة المحلية ، والموقع الجغرافي المحلي ، والموقع الجغرافي العام . وفي كثير من الأحيان كانت تلك العوامل مدخله وسنشايفه الأثر . ففي بعض العهود التي عرفت مصر فيها كيف تستغل مواردها المحلية وتوجهها وجهه التفع والخير ، ازدهرت فيها الحياة وردت قوتها المحلية . فأصبحت من القوة بحيث تستطيع على العام وتجاور أول الأمر . ثم تتحكم في المواصلات العالمية وتنفذ من موقعها الجغرافي العام تبعاً لذلك . ومثل هذا حدث أيام البطالمة ؛ وهم قد توسعوا في استصلاح الأرض وزراعتها وبنويع محصولاتها وغلاتها ، كما توسعوا في تجاره مصر الخارجية وسيطروا على طرق البحرين الأبيض والأحمر ؛ وعرفت مصر إذ ذك وبعد ذاك كيف تسد من موقعها جغرافي في التجارة العالمية ، حتى أصبحت مركز الاتصال بين الشرق والعرب . لا في التجارة وحدها . بل كذلك في الفكر والثقافة ؛ فورثت مجد لاغريق وثقافتهم ، وصارت الإسكندرية بحق منار العلم والمعرفة في العالم القديم . كذلك حدث مثل هذا في بعض الأعهد العربية ؛ فاستغل صلاح الدين مثلاً موارد مصر وموقعها الجغرافي ، فتوسع في الأفطار المجاوره من قاعدته الغنية القوية . كما استطاعت مصر أيام المملوك أن تستغل موقعها الجغرافي وأن تفيد منه بحيث أصبحت سيده التجارة بين الشرق والغرب . وتجددت مثل هذه الحال أو كادت تجدد في عهد محمد علي ؛ فهو قد بدأ باستغلال سوارذ البيئة المحلية ومجديده ثروة مصر في الررعة والصناعة والتجارة . وحاولت

مصر في وقت من الأوقات أن تستعصر على طريق لسرى والغرب ؛ ولكنها — مع الأسف — فقدت بالتدريج قوتها المحلية ، بعد أن تألب عليها العالم الخارجي وقص أجنحتها ، واضطرها إلى أن تنضوي على نفسها ، بعد أن كان يجد على قد اتخذ منها قاعده سعى منها إلى الأقطار المجاورة . وهكذا انتهى العهد الحديث إلى أن سمعت مصر بالنسبة للقوى العالمية الخارجية ، فطغى لعامل الثالث على أثر العاملين الأولين .

بل هكذا نستطيع أن نستخلص أن تاريخ مصر إذا نظر إليه في جهته . فنت نجد أن المرحلة الفرعونية امتازت بأن تاريخ مصر وازدهارها وقوتها كانت متوقفة إلى حد كبير على حسن استغلال المصريين لظروف بيئتهم المحلية . كما كانت متوقفة على مبلغ توفيقهم في الاستجابة لظروف بيئتهم ودوافعها الظاهرة والخفية ؛ وهي بيئة تستلزم . كما رأينا في كثير من أحداثنا السابقة ، تماسك المجتمع ووحده في دفع خطر الفيضان المشترك واستمرار منفعة الري المشترك أيضاً ؛ بل هي بيئة تستدعى العمل الدائب المنظم والتضامن والتكافل بين فئات المجتمع . ولذلك فانه حتى في العهد الفرعوني كان معيار تقدم المجتمع وازدهار الحضارة والمدنية مرتبطاً بمبلغ استمساك المصريين بما تقتضيه بيئتهم من الوحدة ولنظام والعمل الدائب . ففي الأدوار التي استمسك المصريون فيها بوحدةهم واستغلال موارد بيئتهم في داخل أرض الوادي وفي الصحاري المجاورة ؛ وكذلك في الأدوار التي عرف المصريون كيف يفيدون من موقعهم الجغرافي المحلي . وكيف يوجهون صلاتهم بالعالم الخارجي وجهه الخير والمنفعة ... في مثل هذه الأدوار ازدهرت حياة مصر واشتد بأسها واستد سلطانها ونفوذها ؛ كما حدث في بعض أطوار التاريخ الفرعوني المعروف . وفي الفترات التي ضعف فيها المجتمع وأهمل فلاحه الأرض ، وأعرض عن الاستمساك بالوحدة الطبيعية الشاملة التي تقتضيها ظروف البيئة ، اضمحلت الحضارة والمجتمع وساد الاقطاع وتناوبت الأقاليم ، فضعت مصر ، وأطمع ذلك فيها الغزاة الغربيين ، فطغوا عليها ، كما حدث في الفترة بين الدولة القديمة والوسطى أو في فترة غزوة الهكسوس .

فأما بعد عهد الاسكندر وإلى عهدنا الحديث فقد تعقد تاريخ مصر ، وظهر فيه العامل الثالث ؛ وهو عامل قد لا نكون لمصر فيه يد . ولكنه

زاد في التزاماتها نحو نفسها من جهة . ونحو العام من جهة أخرى . وقد حاولت مصر في كثير من عهودها أن تلائم بين ما تقتضيه مصلحتها الخاصة وبين ما يفرضه عليها موقعها الجغرافي في وسط العام . ولكنها لم تكن في كل أدوارها من القوة بحيث تستطيع أن تحقق ذلك التلازم على وجهها الشافع السليم . ولذلك فهي قد تعثرت في تاريخها أثناء هذه المرحلة اللاحقة ، ولم يوفق إلا في فترات قليلة منها . بل إن أدوارها في بعض لعهود اللاحقة . كانت أبلع أرباً مما حدث أثناء سنواتها في العهد الفرعوني . فقديمًا كانت مصر بضعف ؛ ولكن مفتاح النهضة كان بيدها هي دون غيرها . أما في المرحلة اللاحقة لفنوح الأسكندر فإن مصر لم تكن على الدوام سدة نفسها ؛ حتى في بعض الحوادث التي حاولت فيها أن تخرج بنفسها من الضيقة إلى النور ومن الضعف إلى القوة ، لم بطاوعها العالم الخارجي إلى ذلك ، ولم تكن هي أن تتخذ نفسها طريق النهضة ؛ لأن قوى أخرى أعظم منها أوجدت أمامها ذلك الطريق .

وعلى ذلك فقد ينبغي لنا في نحن بسببه الآن من نهضة نحاول أن نخرج بها مما أصابنا به موقعت الجغرافي من بلاء في عهدنا الحديث أن نعرض لحالها على وجهها الصحيح . وأن نصبر أنفسنا بما قد يكون فيها من عيوب . وبما قد يفوق من حولنا من قوى عالمية جبارة لا تناظرها ولا تمت دائما أن نوجهها وجهة الخبر . وذلك كله أساسي إن نحن أردنا أن نعرف قدرنا كـ هو في عالمنا الحديث .

نحن أمه غلبه الموارد سخية البيئة . وقد حاولنا خلال هذه الأجيال الثلاثة أو الأربعة المنقصة ، أي منذ عهد محمد علي . أن نجدد مواردنا وطرائق استغلالها ؛ فأدخلنا الري الدائم ، ونوعت محصول الأرض وغلاتها ؛ وبدلت بضاعت ثروتنا الزراعية . ومع ذلك فقد بضاعت عدد سكاننا بم يقوى بضاعت الموارد . ولذلك فإن غنانا في الوف الحاضر ظاهريا أكثر منه فعليا . بل نحن قد نكون في فقر نسبي إذا قارنا حالتنا الآن بما كانت عليه أيام فدياء المصريين ؛ خصوصا إذا راعينا أن اتجاه اقتصادنا القومي في العهد الحديث قد سار نحو التوسع الزراعي ولم يلتفت القائمون بأمره نحو استغلال البروة المعدنية والصناعية الشافاً جذب . إلا في الجيل الأخير . فضلا عن أننا لم نفرط بهذه

الساحل الأخير . وإنما نزلت في عذراء ورءوس أموال أجنبية ؛ وذلك كما لم يكن له وجود أيام قدماء المصريين . كذلك نحن نعجب من كثرة الدماء وتنوع بين أفرادها الصدقات والمكاتب ؛ فنحن من حيث الاستعداد قد لا نفل عن غيرنا . ومع ذلك فنحن نعجب من كثرة المشاكل الاجتماعية وتعليمه واتصفيه ، وهي مشكلات أتت بها العهد الحديث ، وه يمكن لبعضها وجود في بعض أعصر الخاسه ، وهي إلى ذلك تضيف حملاً ثقيلًا يتوء به الشعب وينشئ في سبيل معالجته جهداً قد كان يمكن أن ينفق في عو آخر يرتفع بالحياه فوق مستواها الحالي . كذلك لمصر في الوقت الحاضر موقع جغرافي وارتباطات فويه بالبلدان المجاوره ؛ ولكها مع ذلك لا تستطيع — أو هي لم تكن تستطيع حتى هذه السنوات الأخيره — أن توطد صلاتها بهذا العالم المجاور إلى الحد الذي ينبغي منه ويستفيد . وتنتفع وتنتفع . وهي حتى في جنوب الوادي لا تمت أن تسير صعبة الأسباب وتم وحدتها وتكمل كتابها في الحسود التي رسمها الطبيعة لوادي النيل . ثم إن لمصر موقعاً جغرافياً عالمياً فريداً ، ولكها من الضعف والارباك السياسي بحيث لا تستطيع أن تتحكم في موقعها بسببها ، ولا أن تكون سده الاتصال بين أسرى والغرب كما كانت في بعض أعصرها الماضية . وإنما هناك قوى عامه جباره لا تمت مصر إلا أن تعترف بوجودها ، وإلا أن تحاول أن تخلص من ثقلها الثقيل بقدر الامكان .

حالت وحل العام سوم إذن غير حاش وحل العام في بعض أعصر تاريخنا القديم . وخير لنا إن نحن أردنا أن نسيين الطريق هذه الأمه الباهضة في عى منبه عليه من أيام ... خير لنا أن ننظر إلى الماضي نظره مجوز نضهر والسطحيات إلى الأسس والقوام في حياه هذا الشعب وتاريخه الحقل القوي . ونحن إن فعلنا ذلك فسرى أن ظروف البيئه والموقع الجغرافي ، وكذلك جهاد هذا الشعب في استغلال تلك الظروف ، قد كان لها جميعاً أثره الكبير في تحديد الاتجاهات الكبرى في تاريخنا العام . وسرى بصفه خاصه أن عملاً ختيراً ، هو موقعنا الجغرافي العالمى . لم يكن فبمنه قد تجلب بعداً في أيام أجدادنا الفراعنه الأجداد ، وأن هذا العمل إنما ظهرت تدره كاسله في المرحله املاحته لمينوح الاسكندر ، عمنه غدا ذلك الموقع سلاحاً ذا حدين . ففي الأدوار التي سرفت مصر فيها كيف تستغل مواردها المحليه في انبثه السيله

و لصحراوييه ، و كيف توجه مصادر القوة في سكوبيه الشعبي الموضع السلاسه
 و المواهب و الملكات ، و كيف نفيد من موقعها الجغرافي نحى أو الاكسبي في
 نوسطه صلاتها ببحرائها في الشرق القريب و توجيه تلك اتصالات وجهه البحر
 و سائده التي نعم الجميع . . . في مثل هذه الأدوار اسممك مصر بأسبب
 وحدتها و قوتها ، فترغم الشرق القريب في لتجاره و انتفاعه ، و صارت نحو
 سنده تاريخها و المشرقة على اتصالات العلم ، و في الأدوار التي أهملت فيها
 مصر مواردها الخفية في الميثه الطبيعيه و مكن من اتقوه في نكوبيه الشعبي ،
 ولم نعرف كيف نفيد من موقعها لنهى يربط بينها وبين أمم الشرق القريب بأوثق
 الأسباب . . . في هذه الأدوار جاء العامل الجغرافي الثابت ، وهو موقعها
 العالمى ، وبالأعلى عليها ، فلم نعرف كيف نفيد منه ، بل طغى عليها العلم
 الخارجى ، وضاعت مكانتها في العالم ، وغدت طريقاً ومراً لقوى سلبية جبرده
 ليس لمصر الضعيفة إلى مناظرتها أو إلى قهرها من سبيل .

أىكون لنا في مستقبلنا من القوة ما يفتح أمامنا السبيل إلى أن نوحده
 موقعنا الجغرافى في وسط العالم وجهه الخير ، فنسعيد بعض ما كان لنا من
 ماضى في بعض أدوار التاريخ ؟ عمل الشرط الأول لذلك كله أن نعرف
 قدر بلادنا وقدر أنفسنا ، بل قدر هذا الموضع ليريد اندى سبقتنا إلى إدراك
 قيمته الخطيرة غيرنا من الناس !

ملحاحه مزيج

ليل وصباح ...

سهرت وكان سماع القمر ينام ويحلم فوق الغصون
وت أشاهد ظل الشجر كأني أشاهد بعض الظنون
ونام الأنام وحل السهر لمن أتلفته سيل الفنون
ومن بات يشكو الأسى والفجر ومن قاده الحب نحو الفتون
ومن ظل يطلب خير البشر ومن ألبسوه رداء الجنون

وناديت يا نفس هل تعلمين

لماذا وكيف أقضى السنين ؟

فباعت بصمت عميق رهيب وفاضت دموعي وهل تنفع ؟

تطلعت أنظر نور السماء وسحر الجيوم التي لمع
تسير مدللة في الفضاء كدل العرائس إذ تدع
يجودُ عليها ببعض السناء عليك ودبع الضياء أروع
كريم يفيض بصفو الضياء وروح الخلود وما تقنع
وصحت أسائل هذا السناء سلاما وزوحا وما يسمع

وناديت يا نفس هل تعلمين

لماذا وكيف أقضى السنين ؟

فباعت بصمت عميق رهيب وفاضت دموعي وهل تنفع ؟

تلفتُ فارتاع بين الضلوع فؤادى الحزين بفرط النجيب
ومن حولى القوم بعض هجوع ويعض حبيب يناجى الحبيب
وبعض يصلى صلاه الخشوع إلى الله يرجو ثواب المنيب
يظل إلى الصبح بين الركوع وبين السجود وما من مجيب
وبعض يكذب ليفنى الجموع ويحصدهم بالسلاح الغريب
وناديت يا نفس هل تعلمين

لماذا وكيف أقضى السنين ؟

فباعت بصمت عميق رهيب وفاضت دموعى وهل تنفع ؟
رجعت لنفسى وقلت لها مثالك يا نفس ما أعظمه
مثال قوى لا تسب عن الفتك والظلم ما أكرمه
تقدس عن كل ما يشتهى عليم وما ضل من علمه
تقى الضمير قوى التوہى سليم التبصر ما أحكمه
فخابت ظنوني لما لها مثالى وأطفا لى أنجمه
وناديت يا نفس هل تعلمين

لماذا وكيف أقضى السنين ؟

فباعت بصمت عميق رهيب وفاضت دموعى وهل تنفع ؟
نجوم ويدر ورقص الشعاع على الماء ينساب بين الهضاب
وخضر الروج وجرى البقاع تبسم للبدر بين السحاب
وماء الجداول بين الضياع تلاءا مثل لجين مذايب

جمال تخاذل عند الصراع جمال سيدلف نحو الخراب
سنتى وسى لاسا الصراع وحزن عميق لهذا المصاب
وناديت يا نفس هل تعلمين
لماذا وكيف أفضى السنين ؟

قباءت بصمت عميق رهيب وفاضت دموعى وهل تنفع ؟

هبات سبخ وفور جميل لقد مات ربّاهـ موت اللثيم
هناك صر ودع جمال يعذب مثل الشقى الأثيم
وحب سريف ومحب يمين إلى الخير يشقى بنار الجحيم
وغتر عنف وروح ذليل وضع يلاقى حظوظ العظيم
حياه قد مزجج بالعدير من الحق مثل استراج القويم
وناديت يا نفس هل تعلمين

لماذا وكيف أفضى السنين ؟

قباءت بصمت عميق رهيب وفاضت دموعى وهل تنفع ؟

وبات خيالى وراء الوهاد بصوف سكنت هـ الوجود
وسرّ الحياة ومعنى الجماد ومعنى الفناء وسر الخلود
ودنيا الجنون وكنه الرشاد وأصل الوفاء ودنيا الجحود
وفى القلب نار وما من رماد لديها وما أججت بالوقود
وفى الفكر نور ينير السواد قريباً ولا يتعدى الحدود

وناديت يا نفس هل تعلمين

لماذا وكيف أفضى السنين ؟

فبأهات بصمت عميق رهيب وفاضت دموعي وهل تنفع ؟

وبعد زمان أطل الصباح كطفل على مهده يبسم

كعذراء بين مروج البطاح تتيسه وترقص أو تحلم

كثغر الورود كخد الأقاح على حزن ضاحك ينعم

ونادى المنادى الكفاح الكفاح وداووا به يأسكم لستموا

فما من سلام وما من نجاح بغير الجهاد فلا تساموا

وناديت يا نفس هل تعلمين

لماذا وكيف أفضى الستين ؟

قالت لأجل الخلود الحبيب تعيش وتخلق ما ينفع

ينير دياجي هذا الأجل

جهاد وحب وصدق الأمل

عبد الكريم بن ثابت

LA RECHERCHE DE L'ABSOLU

JEAN-PAUL SARTRE

البحث عن المطلق

ليس ث من حاحه لأن نصبل النظر في وجهه جيا كومتى الدائى لتبين منه
تبريه ورغبته في أن يعتبر نفسه كأنه في يدسه العالم . فهو يستخر
من سقاه وهزأ بالتقدم ، ويتقدم الفنون الجميلة على وجه خاص . ولا يعتبر
نفسه أ ثر ارتقاء من معاصريه المخارين ، رجل إييزيس l'homme des Eyzies
ورجل ألسميرا l'homme d'Altamira : ففي تلك الأيام الأولى النفس من
الحيطة والبسره . . . يمكن للجمال أو اندماجه وجود بعد ، كما أن الذوق وأهل
الذوق ، والنقد أحباً ، أسور كانت ماتزال مجهولة :

ولمعه الأولى تخطر لاسان فكره تحت إنسان في كتله من الصخر . ذاك
هو النموذج : إنه الانسان . وهو ليس دكتورا أو فناناً أو عملاق ، إنه
لا يسمع بعد بيت النغم الرفعة وبت الرخارف الى سوف يجذب المثالين
في المستقبل . وما كان الانسان إلا خلا مبهما غامضاً سرى في الأفق .
ولكنه يبدو من حركته أنه يحايف الأشياء : فحركته صادرة عنه كبداهة
أولى ، وهي ترسم في الفضاء مستقبلاً حقيقياً : ولابد أن تدركها لا بأسبابها
وسببها بل بأعراضها وغاياتها . فمن التقاط حبة إلى تنجبه سودة . لانفس
الحركات بعضها عن بعض ابته كما أنها لا تتركز في مكان واحد ؛ فأنا أستطيع
أن أعزل عن الشجرة ذلك القصص المتأيل ، أما عن الانسان فليس في إمكانى
أن أعزل ذراعاً ترتفع . . . أو يضد تنقبض . الانسان يرفع ذراعه ويقبض
راحه يده ، الانسان هو الواحد الى لا تنقسم وهو لمصدر المنطق لحركته .
ولى جانب ذلك هو ساحر باصطناعه الرموز : نبين لرموز في شعر رأسه ،
وبرق في عينه . وتوفض بين سفيه ، وتحط على أطراف أصابعه ، وهو يكلم

بكل جسده : إنه إذا جرى سلكه ، وإذا دوف سلكه ، وإذا سفا كان يومه
 كلامه . أما الآن فهذه هي لاده : صخره من الصخور ، مجرد وقعه من
 الفضاء . ومن فضاه لابد لجبا كوستي أن تصنع إنساناً : ولابد أن يسجل
 الحرّدة في الجمود اتنام ، وأن يسجل الوحدة في التعدد غير المساهي ،
 والمتعلق في النسبية الخالصه ، والمستقبل في الحاضر الأبدى ، وبربره الرسور
 في مسكون الأسماء الدائم منح . وبين المادة ولأتمودج تقوم فراغ من العسر
 سلوه . ومع ذلك لم يوجد هذا الفراغ إلا لأن جسا كوستي نفسه على نفسه .
 ولست أدري أمن الختم أن نرى فيه رجلاً يريد أن يفرض ختم رجل على
 الفضاء ، أو أن يفرض صخرة بحلم حلم البشر ، أو أن يكون هذا وذلك ،
 وهو اوسيط بين هذا وذاك . إن غرام هذا المثال أن يجعل نفسه كلها
 مسافة حتى يستطيع أن يخرج من هذه المسافة تمثالا بشريا تاما . إن أفكاراً
 صخرية ملازمة دائماً . وفي ذات مره بولاه الملح من الفراغ ، ففسي شهوراً
 طوبيه يروح ويغدو وإلى جانبه هو هو هي الفضاء ، وقد بدأ يدرك في نفسه
 عقمه الموثس . وفي مرة أخرى خيل إليه أن الأسماء المنفردة البون واخفاء
 لم بعد سمس الأرض ، فعاش في عالم طاف ، وقد أفتح نفسه على حساب
 جسده محتملا أسد العذاب ، أن لا وجود له نسبه أعلى وأستل في الفضاء ،
 ولا حقيقه لأى اتصال واقعي بين الأسماء : غير أنه في الوقت نفسه كان يعلم
 أن مهمه المثال أن ينحب في شبه اجزيره ذاك غير المساهي ، الصوره
 الكليلة للكائن الواحد الذي يستطيع أن يؤثر في الكائنات الأخرى . ولست
 أعرف شخصاً أكثر منه بأراً بسحر لوحه وحركات الأيدي . فهو ينظر إليها
 برغبة وسف ، كما لو كان من ملكه غير هذه . ولكنه حاول أحداً ،
 وقد تملكه اليأس والملل . أن يحول أبناء جسده أجساما معدسه . فكان
 يرى الجماهير مقدم نحوه وقد غشيها العمى ، تتدحرج على الطرق كالخجازه
 المنهاره . وهكذا بظل كل ملاحظه من ملاحظاته ، عملاً أو تجريره أو طريقه
 لاختبار الفضاء . وقد نقول : « إنه يحبون حقاً ! هاهي ذى ثلاثه آلاف عام
 القصب والنس ينحنون - سنجين أطيب إنتاج - من غير ما حاجة إلى كل
 ذلك القصص . لماذا لا يجهل في إسماء دار خاله من العيب ، طفا لتفرق
 انفيه التجربه بدلا من أن ينطاهر بانكار من سيقوه ؟ » ذلك أنهم لا ينحنون

منذ ثلاثة آلاف عام إلا جئنا . ويقولون عنها أحساناً إنها رافده فعمدونها فوق
 انهار ، وأحساناً يقعدونها على مقاعد من عاج ، أو يرتكبونها ظهور خيل .
 وسكن ورماً ميباً فوق جواد ميت ، لا يكاد يسوى نصف رجل حي . إنهم
 لكادون أولئك الأشخاص الذين يسكنون المناحف ، وهم خاسدون لا حراك
 لهم . بأعينهم اسبض . بك الأدرع . دعى الحرّكة ولكنها تقفوسسندة من
 أعلاها وأسفلها إلى مضبان من حديد . إن تلك الأسكال الثابتة الجامدة لا تكاد
 تقوى على ما يبدو فيها من نسيب لاهيئ . إنها تحمله الناظر ، وهم حدها
 نسانه خلو من كل دقة ، هي التي تميز الحرّكة والحرارة والحيث على هزال
 الددة لأمدى . لا بد إذن من الاستداء بادی ذی بادی . ولعمد ثلاثة آلاف
 عام ، ليست مهمه جيا كوستي والمثلين المعاصرين مل . لتناحف بآثار جديده
 ولكن إدمه الدليل على أن فن النحت فن ممكن أن يكون . وإنبت ذلك
 بالنحت هو في ذاته برهان على وجود الحرّكة ، كما أثبتنا ديوجين بلسي .
 وإثبات ذلك سوجه ضد آراء ديمستيد وزيون تماماً كما حاول ديوجين بضاً .
 ولا بد من الوصول إلى النهاية ومعرفته ما في الامكان فعله . فإذا أخفق
 المحاوله ، أصبح مستحسلاً ، مع أحسن الخروض ، أن نحكم أمعنى ذلك إخفاق
 المثال أم إخفاق النحت ، فيأتى آخرون ويبدؤون المحاوله من جديد . وجيا كوستي
 نفسه لا يقتصع البتة عن معاوده محاولاته . ليست المسأله مع ذلك مسأله
 موالية لانهائية ؛ بل يوحد حده ثابت لاند من بلوغه ، ومسأله واحده لا بد
 من حلها : كيف يصنع من الحجر إنساناً غير منحجر ؟ ذلك هو المطلوب ؛ فان
 بلغه كله كان وإلا فلا شيء . وإذا توصلنا إلى حل المسأله كان أمر العدد
 في التماثيل غير ذی أهميه . ويقول جيا كوستي : « أريد أن أعرف كيف أصنع
 واحداً فقط ، وأكفيل بعد ذلك أن أصنع أمناً . فلا تماثيل مطلقاً ما دام لم
 ينفع ، وإنما مجرد محاولات لاهم أمرها جيا كوستي إلا بتقدير ما نساعد على
 الدنو من غايته . وهو محط كل ماصنع لبدءاً من جديد . ومن وقت لآخر
 يفلح بعض الأصدفاء في إنقاذ رأس أو فناء أو فني قبل أن يناله التحطيم .
 وجيا كوستي لا يمانع وإنما يعود لبواصل سعيه . لم يغم لنفسه معرضاً خلال
 خمسة عشر عاماً . أما ذلك المعرض فقد اضطر إليه اضطراراً إذ لا بد
 له من العيش ، ولكنه متأثر فنى . وهو يكتب معدراً : « لقد

يؤلى اندغر من البؤس وحوف من لسنه ؛ لمثت بوجوده تاتى التماثيل على هذه احوال (أى من البرونز ومصوره فوسجرافيا) وليكنى غير وائى منها تماماً . وقد كانت على أية حال شيئاً مما كنت أبتغى ؛ لا تكاد ... إن الأمر الذى صادفه هو أن رسوماً غير مسفرة ، دائماً فى منتصف الطريق بين لعدم الوجود ، صغير دائماً للنحنس بم لقدم وعد من جلد ، إن تلك الرسوم ، أخذت فى الحياة وحدها بالمعنى الصحيح ، وبسبب لعدمه عنه سبيلها فى التجميع . لسوف ينسج ، ون الوحدة العجيبة التى تتميز بها تلك الحياة تنحصر فى التمسك التام بالبحث عن المطلق .

إن هذا العمل التشييط المبر العبد لا يجب الحجر له يديه من مقوده محد من نشاطه وسرعة حركاته . لقد اختار لنفسه مادة لأوزن لها ، ومن أكر المواد قابله للطرق ، وكسرها استعداداً للفناء ، وكسرها روحه : الجبس . لا يكاد يشعر به فى أطراف أصابعه ، وهو يمثل ساحبه الصهريد من حركته ، التى لا يمكن سبها . إن أول مناره فى مصنعه كدمى غريبه الشكل كالعزاعب التى تقف بها الطيور ، مصنوعة من قشور بيضاء تتجمد حول خطوط طويده حمراء . وتدنظ معمارانه وآراؤه ورغباته وأحلامه حطط على الأسطح الجبسية فتعطيها شكلاً ثم تذهب ويذهب الشكر معها . وتأن كل حواسه من سب الغمائم الدائمة المحول صوره حياه جما كومتى نفسها مترجمه فى لغة أخرى . إن تماثيل ما بول يؤذى العين صراحه بديمومتها النفيلة غير أن ديمومه الحجر معناها الجمود وعدم الحرته : إنها حاضر ثابت مقيم على الدوام . وجب كومتى لا يتحدث عن الديمومه ولا يفكر فيها البتة . وقد استحسنت منه يوماً قوله عن بعض تماثيل كان قد حطمتها : « كسب راضياً عنها وركبها لم يصنع إلا رسوم بضع ساعات . » بضع ساعات : كأنها فجر ، كأنها حزن ، كأنها حلم . ولما كانت حصصه مقصياً عليها أن تموت فى الليلة نفسها التى ولدت فيها ، فهى حقيقة وحدها ، بين كل آثر النحت التى أعرفها ، تحفظ بالجمال الفريد لدى بيدو على كل ما قضى عليه بالفناء . ولم يكن المادة يوماً أقل إشعاراً بالخلود منها عند جب كومتى ، أو أكثر ضعفاً أو أشد ميلاً إلى أن يكون إنسانيه . إن مادته جما كومتى ، ذلك الطحين الغريب المذرور ، يعمر شيئاً وشيئاً مصنعه ، ويمسب نحت أطرافه وفى تجاعيد وجهه العميقة ، إنه تراب من الفضاء .

ولكن الفضاء وإن كان أجرد عارياً ، هو بعد فضاء وغزارة . إن حياً كومتى ينفر من الانهائية . ليس من اللانهاية التي تحدث بسكال عنها ، أى العظمة الانهائية . بل توجد لانهائية أخرى ، أسد مداراه وأكثر اختفاء ، لانهائية تجرى تحت الأصابع وتحت الأقدام . لانهائية لم يقو أخيلوس على اجتيازها ، وهى اللانهائية التجزيئية . يقول حيا كومتى : « يوجد فى الفضاء زيد trop . » وهذا الزيد هو مجرد الموجود المشترك بين أجزاء متراسة بعضها إلى جانب بعض . وقد خدع بذلك معظم المثاليين ؛ فقد خلطوا بين سهولة الفضاء وظنفة وبين السخاء والكرم ، فأضافوا الزيد إلى آثارهم ، ووجدوا منعة فى الاستدرة السمينة لجانب رخاسى ، فبسطوا وكوروا ونفخوا حرلة الانسان . ويعرف حياً كومتى أن ليس فى الانسان شيء زائد ؛ لأن لكل شيء فيه وظيفة ؛ ويعرف أن الفضاء هو سرطان الكائن ، يفرض كل شيء . فالتحت فى نظره هو عملية كحت لازالة السمنة عن الفضاء ، وغايته عصر الفضاء عصراً يصفى منه كل ما علو بخارجه . وقد يبدو أن لا أمل يرجى من تلك المحاولة . وأعتقد أن حياً كومتى كاد يستسلم لئاس مرتين أو ثلاثاً . وإذا كان لابد للسحب من التفصيل والخطاطة فى مادة جامده لاضغط ، فمعنى ذلك أن التحت أمر مستحيل . قال حيا كومتى : « ومع ذلك إذا بدأت تمثالى كما يبدأ غيرى ، من أرنه الألف ، فليس كثيراً أن أفضى فترة من الزمن غير متناهية لأصل إلى المتحر . » وحينئذ أتم استكشافه .

هاهو ذا جاينميد على قاعدته . إذا سألتنى عن المسافة التى يبعد بها عنى ، أجبتك أنى لا أدرك عن أى شيء تتحدث . هل معنى بجاينميد الفتى الذى خطفه النسر جويتر ؟ فى هذه الحالة أقول لك ليس بينى وبينه أية علاقة مسافية حقيقية ؛ لأنه (أى الفتى) غير موجود . أم أنت تشير بالعكس إلى كتله الرخام التى خرطها النحل على صورته الغلام ؟ فى هذه الحالة يكون المتصود شيئاً حقيقياً ، ومعنا موجوداً ، وفى استطاعتنا عندئذ أن نقيس الأبعاد . فهم الرسامون ذلك منذ زمن طويل ؛ إذ أن استحالة وجود البعد الثالث فى اللوحات يؤدى حتماً إلى استحالة وجود البعدين الآخرين . وهكذا نكون المسافة التى تفصل الشخصيات عن عيني مسافة وهمية . وأنا إذا اقتربت إنما أقرب من رقعة اللوحة لامن الشخصيات أنفسها . وحتى إذا لمست اللوحة

بأنى . وسأطّل أراها على بعد عشر من خطوه منى . فهى موجوده وسوف
يوجد دائماً على بعد عشرين خطوه . وهكذا يتخلص لصور من سكوك
زينون : فلو قسم إلى اثنين المسافه لى لفصل قدم العدراء عن قدم
القديس يوسف . ثم انقسم كل نصف إلى نصفين آخرين . وهلم جرا حتى
اللانهايه . سكنت بعملى هذا ما قسم جزءاً من طول ارفعها لا الأرض
التي تقف عليها العدراء والقديس . ما يعرف المتلون سب الحقائق الأولية :
لأنهم كانوا يعملون فى فضاء دى أبعاد ثلاثة . وفى كتلة حقيقة من الرخام .
ومهما كانت نتيجة فهم عبارة عن إنسان وهمى . كانوا يعمدون أنهم ينسبون
فى فضاء حقيقى . وكان الخلط للفضاء من هذا نتائج عجيبة : أوها أنهم عندما
كانوا سحنون ناقلين عن الصيعة . كانوا بدلاً من أن يصوروا به برون - أى
أتمودجا على بعد عشر خطوات . يصورون فى الصين الأتمودج باعتبار
ما هو . ولما كانوا يرغبون فعلاً فى أن تكون التماثل على اسطر التوافق إلى بعد
عشر خطوات منه . التأثير نفسه الذى كانوا يشعرون به أراه الأتمودج .
كان يبدو لهم مستقيماً أن ينسبوا شكلاً يكون بالسمة المتطرفة . كان
الأتمودج بالنسبة لهم . ولم يكن ذلك ممكناً إلا إذا كان الرخام هنا كما كان
لأتمودج هناك . ما هو إذن معنى باعتبار ما هو و هالك ؟ على بعد
عشر خطوات أرى هذه المرأة على صورة ما : فإذا ذنوب منها وتطرب من
كذب . لم أعرفها : فهذه التماثلات وهذه التجويدات وهذه السطور . وبيت
الحشائش السوداء الخشبه . والمعبد الذهبى . وكل تلك المصادر عمرية .
لا يمكن بأية حال أن تكون الجسد الناعم الطرى الذى كتب أعجب به وأ
على بعد منها . هل ذلك هو إذن . يجب على المثال أن يفعله ؟ إنه لا يستطيع
أن ينتهى منه أبداً . ثم . منهم كان قرصاً من ذلك الوجه . يمكنه أن يعرب
منه كسر وأكسر . وعلى ذلك نرى شبه التمثال حقيقة الأتمودج منه
ولا نأبراه المثال : وسوف يصنع طبقاً لقلوب معروفه لا تخفى من السافض .
ويظهر فيه بعض تفاصيل لا يمكن رؤيتها على هذا البعد . بحجة أنها موجودة .
وبالعكس نعمل بعض تفاصيل هى أيضاً موجودة بحجة أنها لا ترى . وهى
لذلك معنى غير أن المثال يعمل على عين النظر سكون شكل مقبول .
ولكن علاقته فى هذه الحالة بغيره بغير حسب موضعي : إذا اقترب

تدسمت بتدصيل تلك أجنحتها عن بعد . وهذا نحن أولاء مسوفون إلى هذه المبيد . وهي أن لي صلاح حقيقه بوجه من لأوهده : أو فل إذا سئت إن بعدى الحقيقى عن كذله ارحده احسلطت بعدى الوهمى من حاييمه . ويلتج من ذلك أن حصائص القضاء الحقيقى بعضى وبحجب خصائص القضاء الوهمى : وبوجه الخصوص أن مبيد الرخده الحقيقه للانقسام نهدم عدم قابله لتخصسه له . وهكذا يتصرا حجر ويتصر زيون بالنالى . والمثال التقليدى يعتمد أنه يستطيع أن يعصى نظره الخاص وأن ينحت فى الانسان الطبيعه الانسانيه مجردة من الناس : ولكن الواقع أنه لا يدرك ماذا يصنع : إذ أنه لا يفعل ما يرى . وهو فى مجته عن حقيقه إنما يقع فى التقليد . ولا كان فى آخر الأمر يعتمد على عن النظر فى إحياء هذه التمثيل الجيده ، ولأمر ينهى به وهو الهجب عن المصلو بأن يجعل أثره متوقفاً على نسبه وحده النظر التى ستكون عنه . أما الناظر فأخذ الوهمى بالحقيقى والحقيقى بالوهمى ، وهو يبحث عن غير المنقسم فيلتقى أين نظر بالانقسام .

وقد رد جيا كوسنى إلى التمثيل قضاء وهميا خليا من التجزئه ، بفضل معارضته لمذهب التقليدى . وهو بقبوله النسبيه دفعه واحده ، قد عثر على المطلق . لأنه كان أول من فكر فى نحت الانسان كما يرى . أى على بعد . وهو يعبر شخوصاته الجيسية مسافه مطلقه كما يعبر ارساء شخوصات لوحده . فيسمى 'الشكل على «عشر خطوط» أو «عشرين خطوه» ، والشكل ناق على هذا البعد مهما فعلت . وبذلك يفتز الشكل إلى منصفه الوهم بما أن علاقه بينه وبينك لم بعد سوف على علاقتك بكنة الجيس : ويكون الفن حينئذ قد اسرد حريته . إن التمثال التقليدى لابد من دراسته : قد تقترب منه وفى كل لحظه يكشف تفاصيل جديده ؛ ننعزل الأجزاء فيه ثم أجزاء الأجزاء ، إلى أن يضل الناظر فيها . لا يمكنك أن تقترب من تمثال لجيا كوسنى . ولا يمكنك أن بأسل أن هذا الصدر سيفتح بك إذا دنوب منه ؛ إنه لن ينغير بل يعنريك وأنت تسير نحوه شعور غريب بأنك رسوم أطراف هذه الأنداء ، إنه عس بها ونحزرها . بل ها نحن أولاء نكاد نراها . فلتقترب بعد خطوه ثم خطوتين : إنسا ما زلت نحس بها : ثم لندن خطوه أخرى وإذا بكل شئ يختفى : ولا يبقى إلا انشاءات الجيس : إنك لا تستطيع أن

ترى تلك التماثل إلا إذا وقف على مسافة مختصرة منها . وكل شيء مع ذلك موجود هنا : بياض صدر ناضج ، واستدارته وارتفاعه اسطوط . كل شيء ما عدا المادة : نظن أننا نرى ونحن على بعد عشرين خضوه . ولكل لا نرى سطح الأنسجة الدهنية الممل ، إنما يكفي الفنان بالأسره إليه والتمسح به ، والتعبير عنه من غير إظهاره . ونحن ندرك ، لأن بأنه وسيله سطح جيا كوسى أن يضغض الفضاء ، ولا توجد غير وسيله واحده وهى مسافة ؛ فهو يضع المسافه فى متناول يده . إنه يدفع أمام أنظارنا أسراه بعيدة ، وسنظل بعيدة . ومع ذلك نحن نلمسها بأطراف أصابعنا . إن هذا الصدر الذى تتيينه ونرجوه لن يتحسر أبداً : إنه مجرد أمل . إن هذه الأجسام لا تحمل من المادة إلا بمقدار ما نوحى إليك الأمل . وقد يقول قائل : « إن ذلك مستحيل : فليس فى الأمكان أن يرى الشيء نفسه عن كثب وعن بعد فى الوقت نفسه . » ومن قال إنه الشيء نفسه ؟ إن كتلة الرخام هى العريضة ، أما البعيدة فهى الشخصية المتخله . « إذن لا بد على الأقل للمسافة أن تضغط الأبعاد الثلاثة . ولكن العرض والعمق وحدهما يتأثران ، أما الارتفاع فلا . » ذلك أمر حقيقى ، ولكن من الحقيقة أنصاً أن للإنسان فى نظر غيره أبعاداً مطلقة ؛ فهو إذا ابتعد لا يصغر ، وإنما صفاته تتركز ، و « عتده » هى التى تبقى ؛ وإذا اقترب لا يكبر ، وإنما صفاته تنطلق . ولكن لابد من القول بأن نساء جيا كوسى ورجالها أسد قراءاً منا من حيب الارتفاع منهم من حيب العرض ، كما لو كانت قامتهم بتقديمهم ونسبتهم . غير أن جيا كوسى قد مدهم لغرض فى نفسه . لابد أن ندرك فعلاً أن هذه الشخصيات التى هى يكملها كما هى ، لا تقسح لك مجالاً لأن تدرسها أو تلاحظها . فبمجرد أن أراها ، أعرفها . إنها تندفق إلى مجال البصر عندى كما تندفق الفكرة فى ذهنى . إن الفكرة وحدها هى التى تتميز بتلك الشفافية المباشرة ؛ إن الفكرة وحدها هى التى تكون فى دفعة واحدة كل ما هى عليه . وهكذا وجد جيا كوسى بطريقته حلاً لمسألة الوحدة فى التعدد ؛ فقد اكتفى بأن حذف التعدد . إن الحبس والبروتوزوا هما المذان يقبلان الانقسام ، ولكن هذه المראה التى نسير لا تقبل الانقسام شأنها شأن الفكرة أو الشعور ؛ ليست بها أجزاء لأنها تسلم نفسها كلها لك مرة واحدة . وفى سبيل إيجاد تعبير حساس لذلك

الوجود النقي . وذلك المسلم بالنفس ، وذلك الاندفاع الفجائي ، يلجأ جيا كومتى إلى التطويل . إن احراءه الأصلية في الخليقة ، هذه الحركات المحيية عبر الجزأة ، التي تصورها أحسن تصوير السيقان الطويلة الرعدة ، تحترق بث الأجسام ذات المظهر اليوناني ، وترتفع بها نحو السماء . وإني لأجد فيها أحسن ما أجد في عملاق بركنسين ، الانسان ، 'ببدي' الأول والمصدر المطلق بدحركه . عرف جيا كومتى كيف يضاف على مادته الوحدة الانسانية الوحيدة الحقيقية : وحدة الفعل .

ذلك فيما أضن هو نوع الانقلاب الذي حاول جيا كومتى أن يدخله على فن النحت . كان يعتقد الدين سبوه أنهم ينحنون الكائن إطلافا ، غير أن هذا المنطق كان ينقسم إلى متضاه لانهايه ها . أما جيا كومتى فقد اخنار أن يحث المصور النراهن ، ثم اوضح له أنه بوسطه يمكنه بلوغ المطلق . إنه يعرض لما رجلا ونساء سبق أن رأتهم العين . ولكن ليس عينه هو فحسب . إن تلك الأسكل سبق أن رأها العين . كلغه الأجبية التي نحاول أن نعلمها سبق أن تحملها الألسن . وكل شكل منها يكسف لنا عن الانسان كما يرى ، كما يبدو لأدس آخرين ، كما يظهر في وسط من البشر . ولا كما ذكرت في أول مقالى للبسيط ، على بعد عسر خطوات أو عشرين ، بل على بعد إنسان . وكل شكل منها يدنا على هذه الحقيقة وهي أن الانسان لا يجعل أولا وقبل كل شيء لأن يحمل غيره على رؤيته ، بل الانسان هو الكائن الذي من جوهره أن يوجد من أجل غيره . عند ما أشاهد تلك المراه المصنوعة من الجيس ، إنما أدبل عليها نظرى أنا القاتر . من هنا ينتج ما أحس من ضيق لدى رؤيتها . أجد نفسى مضطرا مدفوعا إلى شيء لست أدري ما هو وست أدري من الذي يضطرنى ويدفعنى ، إلى أن أسكشف أنى مضطر إلى النظر ، وأى أنا الذي أضطر نفسى إليه .

وقد يزيد جيا كومتى أحيانا حيرنا ، وهو بسشعر لذه في ذلك ، بوضعه مثلا رأسا بعيداً على جسم قريب ، بحيث لاندري أين يجب أن نقف أو بمعنى أدق لاندري كيف نوفى بين الاثنين . ولكن تلك الصور المبهمة تحيرنا حتى من غير ذلك : إذ أنها تتعارض مع أعز ما اعتادته أعيننا . فمن زمن ونحن معتادون أن نرى مخلوقات ناعمة صامتة ، صنعت لتشقينا من داء الجسد :

إن تلك الشخصيات البتية قد راقبت الأعجب طفولت : وهي في الحدائق
تشهد على أن العالم حصن أسن ليس به أحجار ، وأن أحداً من نصبيه شيء .
وبالفعل لم نصيبها شيء ، إلا أنها ماتت عند مولدها . ولكن هذه الأجسام
قد أصابها شيء : أي صادرة عن مرآة مغفرة أم خارجة من أحد يديع
السبوتيه أو من أحدها معسكرات المعتندين ؟ ويغفل إلينا من أول نظره أن
أسماء ضحايا يونشولد لهزولين . ولكن لانبت أن يعبر رأساً : إن هذه
الأسكال الرقيقة المطلقة ترفع إلى السماء ، وإذا ما أمام مشهد أسسه بصعود
السيد المسح أو يستقل العذراء إلى السماء ، وهي رفض ، بل إنها هي
الرفض بنفسه ، إنها مصنوعة من نفس المادة الرفرافة المرهفة التي صنعت منها
هذه الأجسام الخفيفة التي يراى إخراجها لنا . وفي الوقت الذي نكون فيه
عند مرحلة التأمل في تلك الاندفاعات التصوفية ، إذا هذه الأجسام السجينة
تويع فلا يعود أمام أعيننا إلا أزهار أرضية . لم تكن هذه السجينة إلا امرأة .
ولكنها امرأة تماماً كالتي نكاد نلمحها فتتماها حلسه . ثم يبعد وتمر في حياء
مضحكه . كأوث القتيات اللاتي يعتقدن أن هن سائن وينعلن بهارهن
متداعيات مشكلات على كعوب حدائهن المرتفعة ، ما بين مخادعهن وغرف
الزينة . أو تمر بالفضاعة المروعة التي تمر بها ضحايا حريق قذوب البر الحومهن ،
أو ضحايا جوع . هي امرأة قد أسلمت ثم أعرضت ، نخاضا قريبه ونخاضا بعده ،
سمتها اللذيذة المنهية مهددة بنخاض خفيه ، واسحفة البسعة تراودها سمة
مبعة . هي امرأة معرضة لمخطر على وجه الأرض وإن كاد لا تكون على
وجه الأرض . وهي تعيش وتروى لنا قصة الجسد العجيب أي قصتها نحن
إذ أنه كتب لها أن تولد كما كتب لنا .

ولكن جيا كومتى مع ذلك غير راض . وهو يستصعب أن يعلن انصره
في الحال : فما عليه إلا أن يعزم على ذلك . ولكنه هيأت أن يعزم . وهو
يؤجل قراره من سنة إلى سنة ومن يوم إلى يوم . وهو يوشك أحياناً في
بعض الليالي أثناء انهماكه في العمل ، أن يصيح ياموز . ولكن ما يكاد
الصبح ينبلع حتى يحطم كل شيء . هل يخشى الضيق الذي ينتظره من الجانب
الآخر للنصر . هذا الضيق الذي أعني هيجل عند ما أتم نظريته بغير حذر ؟
أو ربما كانت هي المادة التي تنتقم ، أو ربما كان هذا الانقسام اللانهائي الذي طرده

من أثره، يعود نأينه ويغف بيته ومن غابته . إن الهدف هناك . ولا بد ببلوغه من الايقان اسم . فيها هو ذا قد أُنْجِرَ شيئاً . علمه الآن أن يحسنه بعض السي . ثم أن يحسنه أيضاً شيئاً بسيطاً . إن أخيل هذا لن يبلغ السحفاء أبداً ؛ ولا بد أن يكون النحات على أنه حال الصحبة اختاره للمسافة ؛ وإن لم يكن في أثره فليكن إذن في حسبه . ولكن هناك قارباً في الوضع بينه وبين على وجه الخصوص . إنه يدرك ماذا كان يريد أن يصنع ونحن لا ندركه . ولكننا لانعرف ماذا صنع وهو لا يعرفه . إن هذه التماثيل ما زال أثر من نصفها جراً من جسده . فهو لا يستطيع أن يراها . إنه لم يكده ينتهي منها حتى هام يحلم في لواء أسد نحافه وأمعن طولاً وأكثر خفه . وهو ينضل أثره يدرك المثل الأعلى الذي من أجله يرى ذلك الأثر بافصاً . إنه لن ينتهي منه ؛ ذلك لأن الرجل سرد دائماً بعداً عما يفعل . ويقول جياكومسي : « سيدنا انتهى سوف أكسب وأرسم وأتمتع بوقتي . ولكنني سوف بأنني حتىه قبل أن يهجر حبه . من منا على حق أهو أم نحن ؟ هو أولاً إذ أن النمان ، كما يقول فنسني ، لا ينبغي أن نكون راضياً . ونحن أيضاً وفي آخر الأمر . كان كفكاً يريد أن تحرق كتبه عند موته ، وكان دستونفسي في آخر أيامه يفكر في إتمام كازارمازوف . وربما مات كلاهما حائفاً : الأول لظنه أنه لا يصنع شيئاً مقبلاً . والآخر لظنه أنه سيبعد عن العالم من غير أن يحدسه . ومع ذلك فقد انتصر كل من هذين السكابين ، بالرغم من تفكيرهما . وكذلك جياكومسي وهو يعرف ذلك تماماً . وهو سنببت عتاً بتمائله كالبحل يتشبث بذهبه . وهو يحاول عبثاً الاحتمال على كسب شيء من الوفاء ؛ فسوف يدخل إلى مصنعه أناس فسحونه عن طريقهم . ثم يخرجون حامدين كل آثاره ، حتى الجبس نفسه الذي يغطي الأرض . إنه يعرف ذلك ؛ فهو دائماً الحذر كالطارد . إنه يعلم أنه انتصر وأنه لنا بالرغم منه .

ج . ب . ب . مائة

نقلها عن الفرنسية الياس نعمان حكيم

من وحي الاسكندرية

على الشاطئ

أتراها علمت أني أسيرُ فوق هذا الشط وحدي مُتَّعِبًا
أرسل الآهات من قلب كسير ليس يدري من جواه مَهْزَبًا
وأنادى الموج في البحر الكبير أين يا موج حبيبي ذهبًا
فينوح الموج كالعاني الأسير مغرقًا في شجوه مضطربًا
أنا من حزني ومن يأسى الرير ما رآني الموج إلا انتحيا

أتراها علمت أني هنا ولقد كنت بعيدا منذ حين
عدت للشاطئ مشبوب المنى ناثو الأشواق ، قياض الحنين
فبكى قلبي لما أن دنا منه ، وانسابت إلى قلبي الشجون
وتذكرت الذي طاف بنا حينًا كنا هنا منذ سنين
لو تلاقينا لطابت موطنا كل دار ، وشدا القلب الحزين

أنت يا أحلام قلبي النائية يا ضياء القلب في دنيا الظلام
اسمعي الحان قلبي الباكية فهني شوق وحنين وهيام
أنت يا أختاه ليلى الثانية وأنا قيس ، وقلبي مستهام
لست أنسى كلمات حاتيه في رسالتك أملاها الغرام
إنما أبكى على أيامه إذ أراها تهاوى كالخطام

حبرى هل تلتقيت الكتابا
أنت قد أورثت أيامى اضطرابا
وملأت القلب ياسا واكتسابا
فدعى الصمت ؛ فقد ولت سرايا
واكتفى ما شئت : لوماً أو عتابا
كل لفظ منك فى قلبى صداه
كل أحلام فؤادى فى هواه
وهو لا يشكو ! وهل تجدى الشكاه
وعلام الصمت يا روح الحياه

يا منى الروح سلاما فى التناسل
لم يزل يذكر أيام اللقاء
كان يلمسك هنا كل مساء
ونجوم الليل غُيرى فى السماء
آه لو تحملنى أيدى الخفاء
من محب هاجه الشوق إليك
وهو نشوان الموى بين يديك
والدجى يحنو عليه وعليك
من نجوم أشرقت فى مقلتيك
فأزاني - أينما كنت - لديك

اسألى الموج ؛ فعند الموج سرى
واسألى الليل الذى يعرف أسرى
أنا لن أنساك مهما طال عمرى
فاجعلى قلبك مشغولا بذكرى
واقرنى يا ربة الالهام شعرى
واسمعى فى همسه لحن شكاتى
فلكم أرسلت فيه رسراتى
كيف أنسى منبنى ... بل أنساى
إننا نحب معاً فى الذكريات
نعرفى أسرار قلبى وحياتى

ابراهيم محمد نجما

السيائية

المنطق اللغوي الجديد

من يفت على حصره ولئلا أسبح في البعد العريضة مناب الكلمات
الاغريقية التي اتخذت مكانه صميمه حتى لا نكاد ندين أصلها الأجنبي . وصي
أن دوله بدمر ، دولة رينب أو ايرباء ، هي الأصل من المفعول لاغريبي في
لغتنا ؛ لأنها كانت دولة عربية إغريقية .

ونحن نسعمل في مصر كلمتين : إحداهما بلبس الالباس العربي الصمم وهي
سبي أو سبياء ، حتى لنقول عليه سبي الوفار وبأننا ننطق بلاماً عربياً فصيحاً .
والمعنى هنا علامة لوفار . وسنعمل كلمة أخرى بلبس الاسم الأجنبي الصريح
فنقول السيف فور للنصب العالي الذي ينتهي بعلامة لفطراب على اسكك
الحديدية ، والمعنى هو حامل العلامة .

والمعاجم العربية نقول السبي هي لعلامة ، وقد دلت قول المعاجم الاغريقية .
فالأصل إغريقي لا شك في ذلك .

وقد ظهر علم جديد في أوروبا يسمى السيائية أي علم بعلامات ، وهو
علم الكلمات أي العلامات للمعاني من حيث دونه منلوها المنطقي أو الاجتماعي
أو من حيث تصور المعنى ، وما يتصور كل هذا من اضطراب المعنى أو سداده .
وكان ميسيل بريال اللغوي الفرنسي أول من نبه إلى هذا الموضوع وألف
فيه قبيل نهاية القرن التاسع عشر ، وهو لدى استق الاسم .

وأول ما نلفت إليه في هذا الموضوع ونسب به أن لكل كلمة مناخاً
نشأ وعشت فيه ؛ لأن معناها كان مأثوماً في مجتمع معين يحتاج إلى هذا المعنى
ويطلبه في وسائل عيشه وعاداه الاجتماعية . فإذا تغير هذا المجتمع فان معنى
الكلمة يضطرب ؛ لأن الحاجات القديمة التي كان يطلبها المجتمع القديم من

هذه الكلمة لم تعد المجتمع الجديد بحسبها ؛ فتحدث من ذلك السياسات
وانتقدت لغويته لا يؤدي إلى انهم اصحح . وهذا هو ما يحدث عند ما
نقرأ سوابق قديم في اللغة العربية مضمي على تأييد ألف سنة أو نحو ذلك .
فإننا نجد المؤيد مثلاً يستحسن نكتة أدبية لا نرى مغزاها ؛ لأننا بعد ألف
سنة قد فقدنا جوهر الأدب الذي كان يحيط بهذه النكتة . أو نجد كلمات غريبة
أو فلسفية يسوق طلب فهمها . ومن هنا كانت الصعوبة في قراءة ابن رشد أو
الفارابي ؛ فإن كلا منهما يعالج مشكلات كانت تسفل بمجتمعيهما . وقد زال
هذا المجتمع في أغلبيه ؛ فنحن نأخذ أواخر الصلة بيننا وبين معانيه . بل إننا حين
نقرأ ديوان شعر لبخري أو أبي تمام نجد من معنى المديح مثلاً ما لا ينير
في غورنا حماساً أو إعجاباً ؛ لأن المعاني القديمة قد زالت بزوال المجتمع القديم .
فأختلفت القيم والأوزان للمديح والثناء باختلاف المجتمعات . ولكن هذه
الاشكالات يسيرها في حسب ما رتب من كلمات تضطر إلى سماعها لأننا لانجد
غيرها ؛ مع أنها من حيث بنيتها الأولى كانت تعني أشياء لم يعد وئمة في
مجتمع . وكل جيل مضطر إلى أن يستعمل الكلمات التي كان يستعملها
جيل أسبق مع ما قد يكون بين اثنين من اختلاف اجتماعي أو اقتصادي
يحتاج إلى معان جديدة . ثم سوء الحال أكثر وأكثر عند ما يضطر جيل
يعيش سلباً في بيئته صناعية متحركة بالآلات الانتاج إلى استعمال كلمات نشأت
قبل ألف عام في بيئة زراعية جامدة .

اعتبر الكلمات التي نعرفها عن العلاقات بين المالكين الزراعيين وحقوقهم
وواجباتهم من حيث البيع والشراء والإيجار والحدود والحقوق الارتفاقية
والعينة والاستراخ في المصنوع ونحو ذلك . ثم انقل هذه الكلمات للتعبير
عن العلاقات بين المالكين المساهمين في شركة ؛ فانت واجد أن الحقوق
وواجبات قد اختلفت ، وأن كثيراً من المعاني القديمة لم يعد بأنفس مع هذا
النظام الساهمي . وكذلك الشأن عند ما ننقل من سرعة إلى مصنع
عصري ؛ فانت كثيراً ما تستخدم بالكلمات ، وتأخذ تلك الكلمات التي ألفتها
في المزرعة عن الادخار والتوفير والاجتهاد ، ونحن نأمل الامتلاك بهذه
الفصائل أو التوسع في تمتك بزيادته في المساحة أو زيادته في رقيه الانتاج ،
ثم ننقل هذه المعاني إلى المصنع ، وننقل مع هذه المعاني عواطف قد أحدثتها

لنا هذه الكلمات بالتريية السابقة ، لا نجد ما يلائمها في البائنة المصغية الجديدة .

وكل كلمة تحمل معنى . وهذا المعنى هو بمثابة العادة الذهنية التي تلابسها صوال حياتنا ، دام هذا المعنى قائماً . وعلى أنه قد يزول أحسان المجتمع الذي أحدث هذا المعنى واستعمل كلمته ، ولكن لعادة الذهنية سبي وتآمر ، عاطفة لها قوة لتحريك الفرد أو المجتمع إما للخير وإما للشر ، بل تبقى الكلمة وتحيى حياة ضعيفة برواسب قديمة من معناها السابق .

فمنذ ١٩١٩ نهضت المرأة في مصر وسرت وعملت طامح في المدرسة أو الجامعة واستعملت في المصالح والمصانع . وعنده حال اجتماعه بعض بلاسك المجتمع القديم الذي سبق ١٩١٩ . ولكن الكلمات النافية من المجتمع القديم لا تزال حية ، وهي تحث المرأة وتكر استقلاها وحريةا ومساواةها بالرجل . وهي لذلك سوف في اضطرابات وارباك دهنية خطيرة . ولست في حاجة إلى ذكر هذه الكلمات لأنها كثيرة مستفيضة .

ومن هنا نفهم أن شيئاً كثيراً من صعوبات لفهم والنفاهم لبس ذهنية وإنما هو لغوى . أى إن هذه الصعوبات لا تعود إلى ذهن ضعيف ينقصه الفهم ، وإنما تعود إلى كلمات سبته قد خرجت من بيئتها القديمة ودخلت في بيئة جديدة . وهذا هو ما نحس عند ما نعجز عن فهم الفارابي أو ابن رشد . وهذا هو ما نحس عند ما نتحدث المناقشة بيننا بشأن المرأة وهل يحق لها أن تسبح على السواطى أم لا ؛ بل هذا هو ما يحدث عند ما نمارس حرية معية في الصحافة أو الخطابة أو العمل في مجمع جديد نحن نسوره على هذه الحروب جميعاً ، ولكنه استبقى كواب الاسبيداد السابقة وما رافقها من عواصف في ضمير الشعب والتسلط عليه وضرورة إرغامه على الخضوع .

ومن هنا أيضاً نفهم أن الكلمات قد تزيد الذكاء أو تنقصه . أو بتعبير أصبح نقول إنها قد تحدد الذكاء أو تبلده . وهي ، أى الكلمات ، قد تكون سبباً للجريمة أو سبباً للمرض .

هناك كلمات تثير العقل الراكم وتنبيه الذكاء الخمد ، مثل كلمات المروءة ، الشرف ، المحجد ، الاستقامة ، الحق ، العدل . فان لبلبل الذي انحصرت

أفقه منه هذه الكلمات ونفس آفقه بها . وهو ينتقل بها من شؤون الحرفية المحدودة إلى شؤون إنسانية عالية . وهو يرتفع بها من ذاته الشخصية الأناثة إلى رتب الاجتماعية العامة . وهناك كلمات أخرى ببلد الدهن ونفس به إلى درجه الحيوانية كما نجد في كلمة شانه ، أو كما نجد في الكلمات الجنسية النسفي التي يصادرها العامة . فإن معنى هذه الكلمات تحدث عواطف تلابسها . ثم هذه العواطف تعين طرازاً سنياً من اسسلوك اجنسي بين الزوج وزوجته خاصة وبين الرجل والمرأة عامة .

وهناك كلمات سمع على الجريمة ؛ كما نجد في لكلمات عرض ودم وثأر عند القرويين والبدو في جرجا وقتنا ؛ فإن هذه الكلمات تشير في الصبيان قبل الشبان خيال الجريمة ثم عاطفة الجريمة . ومما تجب ملاحظته أن هذه الكلمات الثلاث مع ما لكل منها من جولغوى قديم لا يمكن أن تترجم إلى اللغة الانجليزية . وقد يقال هنا إن هذه الكلمات تعبر عن معان قائمة في نفوس القرويين والبدو في جرجا وقتنا . وأن هذه الكلمات نتيجة سبب . لهذه الكلمات . ولو أننا سلمنا بهذا القول لوجب أن نسلم بأن القرويين والبدو في جرجا وقتنا يختلفون بصعوتهم وغرائزهم عن الانجيز أو عن سكان المنتوره أو طنطا . إنما الحقيقة أن هذه الجرائم هي نتيجة هذه الكلمات الفاسية في هادين المدينتين . وهي كلمات سببب بأنغام عاطفية مثيرة ، وهي تعين طرازاً من السلوك يلزم الحياة . بل هناك كلمات تبعث على المرض . وتعنى المرض انفسى . فأننا نعبّر مثلاً عن سن التضج والايناع في المرأة ، حين تسرع في الارتفاع من الانثوية إلى الانسانية ، بسن اليأس . واليأس هنا كلمة تبعث على القلق والتقلقل . وهي جديره باحداث المرض . كما أن كلمات المزاحمة الاقتصادية : هذا برى ، هذا مالت ، هذا وجيه ، وهذا فقير ، مسكين ، معدم سي' الحظ . كل هذه الكلمات تبعث عواطف كريمة من الحسد والبغض ونحوهم مما يحدث أسراضاً نفسه بدأ بالهم والقلق وقد تنتهي بالجنون .

لكن أعظم ما يحدث لنا اضطراب الفهم وإرباك المعاني أن الكلمات التي نستعملها إما أن تكون موضوعية لها حقيقة ووجود خارج أنفسنا ، وإما أن تكون دنية ليس لها حقيقة أو وجود إلا في أنفسنا . ونحن نتفق بسهولة على

الكلمات الموضوعية ؟ إذ ليس منها من يختلف على المعنى من هذه الكلمات
التالية : حيوان ، نبات ، إنسان ، أرض ، هواة الخ .

ولكننا نختلف كثيراً على المعاني التي يؤذيها الكلمات الدائرية . مثل جميل ،
قييح ، سافل ، عظيم ، عالم ، مثقف ، فاضل الخ .

واللغة ، وكذلك الفهم ، يرقبان بالانتقال من المعنى الذاتي المضطرب إلى
المعنى الموضوعي الدقيق ، كما يحدث مثلاً عند ما أقول : هذا الرجل بى . فإن
الراء هنا كلمة ذاتية تختلف كلنا على معناها . فإن الفلاح الأجير يعتقد أن الثراء
هو امتلاك بقره وحمار ونحو عشره جنهات ناجزه . والعامل الأجير فى مصنع
يعتقد أن الثراء هو امتلاك أتومبيل . ولذلك كانت كلمة بى هنا كلمة مضطربة ،
كلمة ذاتية . ولكنى أستطيع أن أقل هذه الداسة إلى الموضوعية بأن أقول : هذا
الرجل يملك عشرة آلاف جنيهه بسعر ارتفع ثلاثه دولارات لكل جنيهه .
ومن هنا نفهم أن الأرقام تنقلنا من ادائيه إلى الموضوعية . وعلى ذلك
لعمد العلم أى اللغة الدقيقة التى يحتاج إليها العلم . وبكل ما حارطه نفسه
لعالم الذى يرسم لنا بصوره ذاتية تلاسبها عواطف مختلفة . وإنما بفضل
أحدنا الآخر بمقدار ما ينقل هذه الصورة من الذاتية إلى الموضوعية ، أى من
العاطفة إلى الوجدان والتعقل .

كذلك اللغات تتفاضل بمقدار اعتمادها على كلمات موضوعية دقيقة أو
كلمات ذاتية مضطربة . ولذلك نجد رجلاً مثل واطسون داعيه استيعوجيه
السلوكية يقطع هذه الكلمات : عقل ، نفس ، غريزة ، وجدان ، كاسته ،
لأنه يجد أنها كلمات ذاتية . وهو يحاول أن ينقل منها إلى كلمات موضوعية
تؤدى بالأرقام على قدر الإسكان .

قد شرحنا إلى هنا مرمى هذا العلم الجديد : السيائية . وهو أن نفق
على أخطاء التفكير التى يعمها أخطاء التعبير باستعمال كلمات فقدت متاهتها
الاجتماعية الذى نشأت فيه . أو باستعمال كلمات سنه تمت على الجرمه . أو
باستعمال كلمات ذاتية تضطرب بها المعاني .

السمات علامات . والسمافور هو حامل العلامة الذى يوجد الفصوات
بالاشارات أو الايماءات .

وسمائية التفسيرية هي التي تدلنا على اختيار العلامات ، الكلمات ، التي نرسم بها ونوجه ، بحيث نزيد الدكاء حده ، و نرفع العاطفه ، ونعين الأهداف . ولا يكون متعقبن فقط بل سكلوجيين أيضاً نحاول أن نختر من الكلمات ، يجبك الأفكار كما يجبك القفاز اليد ، فلا نكون الكلمة مرجحة لها حواش وأذئاب من المعاني .

وهذا بالطبع ليس مجهود الفرد فص سواء أكان من رجال الأدب أم من رجال العلم ، ولكنه مجهود القرون . ونحن بهذا المجهود نتقل من البلاغه القرويه لتي تعلمناها ، إلى البلاغه السيائية التي يجب أن ندرسها ونمارسها في مجتمع القرن العشرين .

فيل نحو سترسنه أخرج ماكس مولر اللغوى العظيم كتاباً صغيراً قال فيه : إننا لا نستطيع أن نفكر بلا كلمات أو على الأقل إيماءات كما يفعل الآخرس . وللكمة إيماءة أو علامه . وقد أثار هذا الكتاب مناقشات وقتئذ كان مدارها على التفكير هل هو ثمرة الكلمات أم لكلمات ثمرة التفكير . وقد بنيت هذه المشكله بعيدة عن الحل الحاسم إلى أن جاء واطسون داعية المذهب السلوكى في السيكلوجيه . وهو مذهب ينتهى إلى أن التفكير إنما هو كلمات غير منطوقه أو حديث صامت . أى إن التفكير لايجرى إلا مع حركات صائنه أو صامتة في عضلات الحجرة . وإننا بدون هذه الحركات لا نستطيع أن نفكر . وهذا يستصعب القارى أن يتأمل موقفه العاطفى من السرور أو الخوف . وأن يسأل : هل نحن نسرّ لأننا نضحك أى نحرك عضلات الصدر أم نحن نضحك لأننا نسرّ ؟ وهل نحن نفكرّ لأننا نخاف أو نخاف لأننا نفكرّ ؟ وهل كنا نخاف لو أننا لم نعر ؟ وأخيراً هل نحن نفكر لأننا نتكلم بصوت مجهور أو مهموس أم العكس هو الذى يحدث أى إننا نتكلم لأننا نفكر ؟

الظن الأكبر ، وما زالت في مقام الظن ، أن جميع عواطفنا نحتاج إلى حركات في أعضاء الجسم الداخلية أو الخارجية . ولما كان كل تفكير مهما رى في ظاهره يحتاج إلى عاطفه تبعث عليه وتحرك له بعض الأعضاء ، فإننا لا نستطيع التفكير بدون لكلمات . وإذن يجب أن نستنتج أن ما نحسبه تفكيراً صامتاً إنما هو في صميمه كلمات مهموسه لا نسمعها . ولما يدل على هذا أننا عند ما

تفكر في موضوع يثير العاطفة نجد أننا ننكم وقد يرتفع صوتنا حتى نسمعه .
وإذن يجب أيضاً أن ننهي إلى القول بأن التفكير السديد يحتاج إلى
كلمات سديده ، كلمات تحبك المعنى كما يحبك انقراز اليد لا تضيق ولا تسع
ولا تطول ولا تقصر . وإذن كل أعمال لكلمات إنما هو إهمال للتفكير . وكل
تجديد في التفكير يحتاج إلى تجديد في الكلمات . وأيضاً كل تجديد في اللغة هو
تجديد للتفكير .

الحركة السبائية هي ثمرة الروح العلمي . فان البيئه الصناعيه الجديده
احتجت إلى العلوم واستغلتها كي تزيد إنتاجها ، وأخذ الروح العلمي يطفئ على
التفكير البشري في مراتبه العالمه وبعير قواعد ويرتب أصولاً لدقه في السحب .
ولا وجد العلميون أن التراث الغوى يحفل بملات سر جرجة مسييه غير متيده
بحدود محبوكة ، عمدوا إلى اللعتين الاغريقيه واللاتينية لسك كلمات جديده تؤدي
المعاني العلميه الدقيقه .

وهنا يثب القارى سائلاً : ألسن الآن نعترف بأنهم ، أى العلميين ، قد
فكروا ثم اختاروا وسكوا الكلمات التى تؤدي المعاني ؟ ألا يثبت هذا القول
أن المعنى قد سبق الكلمة ؟

ولكن الاجابة على هذا السؤال هى سؤال آخر هو : ما الذى أرشدهم
إلى المعنى الجديد سوى الكلمات القديمة التى فكروا فيها ثم وجدوها غير وافية
بتفكيرهم ؟

وهذا الروح العلمي هو الذى يبعث المفكرين على بحث الكلمات من
حيث قيمها وأوزانها المنطقية والاجتماعية والسيكلوجية حتى نستطيع استخدامها
في التفكير السليم وفي التوجيه الاجتماعى والمعالجة السيكلوجية .
وعباره « التوجيه الاجتماعى » تحملنا على ذكر الدعاية والشأن العظيم
الذى كان لها فى جميع الأمم المتحاربة فى الحرب الكبرى الماضية . فان الدعاية هى
فى النهاية استخدام القوة الاغرائيه التى للكلمات . وهنا مكان جديد للبلاغه
السيائية ، وإن لم يكن أسمى أمكنتها ، ستعنى به الحكومات .

ويجب أن يعرف القارى أولاً أننا بهذا الذى قلناه عن السيائية إنما قد
خدشنا السطح فقط ولم نتعمق الموضوع . والموضوع فى صميمه سيكلوجى غايته

الفهم السليم . أو قل الفهم الموضوعي . ويجب أن يعرف الثارئ نانياً أن لكل لغة سماتها ، كما أن لكل لغة نحوها الذي يتميز من استحوذ في أية لغة أخرى . ذلك أن كل لغة قد نشأت بسبب وترعرعت وأحياناً شاخت في مناخ معين لم تعلق فيه أية لغة أخرى . وهذا المناخ الطبيعي واجتماعي . وهو بهذه الشبه قد أحدث كلمات وعين أسلوباً للكلام هو في النهاية أسلوب لتفكير . ثم هذا الأسلوب في التفكير قد عين طرازاً للاخلاق والعيس ، إما للخير وإما للسر . وليس من السطط أن نقول إن الصينيين مثلاً رجعون لأنهم يتكلمون اللغة الصينية ، كلمات ورثوها منذ ألفي سنة تحمل معاني رجعية وتعين سلوكاً رجعياً في الحياه . كما أن الفرنسيين مثلاً عصريون لأنهم يتكلمون اللغة الفرنسية ، كلمات جددوها تحمل معاني عصرية وتعين سلوكاً عصرياً في الحياه . وقس على هذا لغتنا ولغات الأمم الأخرى .

سلام موسى

سافو نارولا

من المظاهر العجيبة التي بدأ بها النهضة ، وبدأ بها استيقاظ الشعوب ، ظهور رجال في مختلف مساحي احياء ، في فترة معلومة ، لا يكون هؤلاء الرجال بالطبيعة من فكر واحد ومن مسرب واحد ، ولو كانوا يستغلون يقن أو علم واحد ، وإنما تجمعهم وبلاطم آرائهم ونظرياتهم هو الذي يخلف أثراً في الحياة ويوجد نشاطاً تهب منه النهضة . والمتتبع لتاريخ النهضة يجد هذا المظهر واضحاً بدياً . فالنهضة الأوربية التي عمت إيطاليا في القرن الخامس عشر وانتقلت منها إلى البلاد الأوربية الأخرى تميزت بظهور مثل هؤلاء الرجال الأفداد . كما تميزت أزمان الثورة الفرنسية . وكان هؤلاء الرجال نمووا من لأرض الايطالية . وظهروا فجأة في جميع المدن التي كانت عندئذ عواصم لدويلاتها العديدة المتنافرة ، كما تنمو الأشجار من باطن الأرض .

لقد قيل إن النهضة الأوربية الحديثة ، وهي وليده تلك النهضة التي عرفها إيطالي في القرن الخامس عشر ، قد نشأت عن أسباب أهمها سقوط القسطنطينية في يد الأتراك المسلمين ، وقرار عليها بما كان بين أيديهم من آثار الفكر اليوناني إلى البلاد الايطالية . قد يكون هذا القول صحيحاً في جانب منه ، ولكن المبالغه فيه قد لا تكون صحيحة . وقد فر حقيقة علماء من مدينه القسطنطينية ، وفروا بخزائن كتبهم وعلمهم الذي تلمنوه عن اليونان . ولكن هل كانوا يحدثون نهضة لو لم تكن العقول في البلاد الانصالية سهيئة لاستقبال ما يأتون به من علم وفن ؟ الواقع أن التفكير في الماضي الجيد لم ينقطع من أرض إيطاليا . وكان هناك رجال يتألمون لمحدد الزائل ويعملون للاحتفاظ بالتراث القديم . ولكنهم كانوا متناثرين في مختلف البلاد ، فلا يكاد يظهر لمجهودهم أثر لأن البلاد كانت قد نوزعت وأصبحت نهياً في أيدي الطامعين . غير أن الأرض الايطالية صارت فجأة حصبة بالرجال قبل عصر

مهمه بقرن أو قرنين ، أى قبل فرار علماء من المصطنع فيه ؟ ان رز جمع من الرجال المستارين في القرن الثالث عشر . وهل نحتاج لتبديل على صحة هذا الغول إلى ذكر دانتى الشاعر الايطالى الذى نسا وعاش في مدينه فيورنسا في القرن الثالث عشر وصار ساعراً لجميع الأزمان التالية ؟ وهل بدكر بطلا خيالياً لنقولاً دى رينزو ذلك الذى أراد في القرن الرابع عشر أن يعود بروما ويأبىها إلى سالف مجدها في عصر الرومان ، وقد استطاع أن يحقق حلمه ولو لمدة قصيره ؟ هل يذكر كبار الفنانين من مصورين ومثالين عرفتهم إبطال في القرنين الثالث عشر والرابع عشر من أمثال جيوتو وبيزانو ؟ يكفي أن نقول إن أرض إيطاليا أخذت تنبئ الرجال في مختلف المدن والدويلات من النوع الذى يترك ذكرى مرسومة على وجه الأرض ، ثم يتابع هؤلاء الرجال وتشعبت آراؤهم وتلاطمت مجهوداتهم فكانت النهضة .

ضل حفظ لأبطال بيرى من مجدها السالف . بعد انهيار الامبراطورية الرومانية . هبئنا : إحداهما حقيقة والأخرى حذل . فالأولى وهى الحقيقة ، عى الكنيسة الكاثوليكية التى تتمثل في البابا وكرادته وسيطرته الدينيوه والدينيه . واسانية وهى الخيال ، هى سلطة الامبراطور الرومانى الذى أوجدته الكنيسة ، وهو لا يمت إلى أرض إيطاليا بسى ، بل هو في الحقيقة عاهل ألماني تعرف له الكنيسة بسيطرة اسمية على إيطاليا فجرد قوته وبقوه في الأداء الحرية التى كانت معروفة عندئذ .

وقد مضت على إيطاليا دهور وفرون في النزاع بين هاتين السلطتين : سلطه البابويه الحقيقيه في إيطاليا بصفة خاصة وتمتد روحاني إلى جميع البلاد المسيحية ، وسلطه الامبراطور التى يمنحها إياه البابا أو يضطر إلى منحها . ولا يؤيدها في الحقيقة غير القوة وليس لها من سند قانوني إلا الخيال .

وكان تطاحن هذين السلطتين عاده على أرض إيطاليا ، وكاب الغبه سداول بين الفريقين ؛ ولكن النصر في اعتقد كان يرجح دائماً كفه السلطه الثبته الباقيه وهى سلطه البابويه . على أنه كان من نتيجة هذا التطاحن ضعف السلطتين وخروج كثيرين من الأقوياء ومن المفكرين حليهما . وانتهى الأمر إلى ما أسلفنا من انقسام إيطاليا إلى تلك الدويلات الصغيره المختلفه المتناحرة

ومن بزوغ التفكير الحر الذي لا يقيّد كثيراً بأوامر إمبراطور أو كنيسة .
ومما لا ريب فيه أن روما في ذلك معصور حتى أسرنا ، لم يبق واثق
أخذت تظهر فيها بشائر النهضة كانت مطلع أنظار العالم ؛ بيد أن لا نستطيع
أن نقول إنها البلد الذي قامت فيه نهضة إيطاليا ، بل ربما كانت روما بمركزها
العتيد بوصفها مقراً لحكم البابا ، أقرب إلى المحافظة على القديم من غيرها من
الدويلات الأبصلية . ولا تمثل النهضة الإيطالية في مدينته البندقية مع بعدها
كل البعد عن بلاط روما ، واتصال أبنائها بجهاب العالم أجمع ، وما كان لها من
أسطول تجارى واسع ومعاملات مع مختلف الأقطار ؛ فإن البندقية كانت تنهم
بالتجارة والمعاملات التي تدر مائلاً أكثر من اهتمامها بالنزعات الفكرية ؛ فهي
تضع المال في المرتبة الأولى ونتاج الفكر في المرتبة الثانية . وإنما تشمل النهضة
حقاً بأجلى مظاهرها في بلد صغير في وسط إيطاليا كان مركزاً لدويله صغيره
ولكنه دويله قوية بنظامها ورجالها الذين نبغوا في مختلف العلوم والفنون ،
وهذا البلد هو مدينة فلورنسا .

كانت مدينة فلورنسا بنظامها قابله لأن تكون مركزاً للنهضة . فنظامها
فيه شئ كبير من الحرية ، وأبنائها غير عبي مجدها يحبون أن تكون مدينتهم
خير المدن في العالم . ولستأ نريد أن نعرض لوصف نظام الحكم في فلورنسا ؛ فانك
تجد له شرحاً وافياً في الكتاب الذي أثار موضوع هذا المقال وظهر حديثاً في
عالم المطبوعات العربية (١) ، ولكن يكفي أن نقول إن هذا النظام الجمهورى كان
يديعاً إذا لا حظنا العصر الذي وجد فيه . وكانت الأسر في مدينته فلورنسا
تتنافس في تشجيع الفنون والآداب وهي بثرانها كانت تستطيع أن تفعل كثيراً .
وكانت أبرز أسره في ذلك العصر أسرة مديتشى ، وهى أسرة عريقة استطاعت
في قرون أن تكون ها الصدارة على الأسر الأخرى بثرانها ؛ إذ كانت تعمل
في التجارة وتمتهن الأعمال المصرفية ، واستطاع زعيمها في أواخر القرن الرابع عشر
أن يكون المسيطر على الأمور في مدينته فلورنسا ، إلا أنه كان بعيد النظر حكماً
فأبى أن يمس النظام الجمهورى واتخذ وسيلة للحكم ، فكان الحاكم المتصرف في

(١) «سافونارولا» تأليف الدكتور حسن عثمان ، أصدرته دار الكاتب المصرى ،
في مارس ١٩٤٨ .

يوب الرعيم الذى ليس له من الأمر شئ . وعندما توفي كوزيمودى مدينشى حاول خصومه من رعماء لأسر الأخرى أن ينحوا أبناءه ، ولكن لورنزو استطاع أن يجعل محل أبيه فى الزعامة ، وهو الرجل الذى ترك اسم مخلصاً فى مجال الآداب والفنون ، وجعل من فلورنسا قبلة يقصدها كل من يريد الانصال بالحياة الفكرية . وكان لورنزو حر التفكير ، أميل على تراث اليونانى والرومانى فى فهم ، حتى أنهم فى دينه وحتى طنت به الظنون وهو لا يزال ؛ فكانت حياته أقرب إلى الحياة التى كان يحباها المتفوقون فى عصر اليونان والرومان فى الأزمان الوثنية . وكان يبذل النفس فى سبيل قنناء الكتب القديمة ، ويشجع على الترجمة والنقل . وقد وجد العلماء الذين فروا من القسطنطينية منه ترحيباً ، وصار قصره بمثابة أكاديمية تلقى فيها المحاضرات فى شتى العلوم القديمة ويحضرها الشبان والرجال ويناقشون ما جاء فى هذه المحاضرات من آراء جديدة .

ولا تريد أن نستمرسل فى وصف عصر لورنزو دى مدينشى ؛ فهو عصر يشار إليه كلما تكلمنا عن النهضة الأوربية .

ومع ذلك ظل لورنزو محتفظاً بخضوعه الظاهر لتعظيم الكنيسة وكان يخشى غضب البابا عليه ، وعند ما حضره الوفاة وهو فى الرابعة والأربعين من عمره دعى إليه راهباً ليعترف له بآثامه حتى يستطيع بالاعتراف أن يمحو هذه الخطايا . وأرسل فى طلب راهب شاب كان قد أخذ يشتهر بين الناس فى فلورنسا بحاسته الدينية ، وهو شاب من أهل مدينه فرازا ولكنه انتقل إلى دير الرهبان من مذهب الدومينيكيين فى فلورنسا وهو دير سان ماركو ، وكان هذا الشاب مخلصاً فى دينه وجريئاً .

ودخل الشاب على الرجل العظيم ، واعترف له العظيم بذنوبه . وهنا اختلفت الرواية ؛ فيقول إن الراهب الجرى عثفه تعنيفاً شديداً وأبى أن يستغفر له عن خطياه . ويقال إنه استغفر له بعد هذا التعنيف وفى كآبة الحاليتين كانت جراً لا يقدم عليها إلا شاب مخلص لدينه لا يهمه بأس العطاء ، كما كان وقتئذ وكما بقى دائماً ، جاكوسو سافونارولا .

كان سافونارولا فى الأربعين عندما دعى ليزور لورنزو عظيم فلورنسا وهو على سرير الموت ، وقد طارت له شهرة فى نبت المدينة العريقة وفى وسط عظمائها

المنغمسين في اللذات بالتقى والصلاح ، ولكنه لم يكن استهرا بما استهرا به في بعد من تلك الأفئدة والتسلط على الأذهان بسحر كلامه في المواعظ التي يلقيها . والحقيقة أن سافونارولا لم يكن خطيباً مفوهاً ولم يكن حسن البيان ببلغ العماره . بل لم يحظ المستمعون إلى مواعظه في تلك الأيام في قوله ما يميزه على أى واعظ من الوعظ العديدين في الكنائس الأخرى . بل ربما كان أقل من غيره بياناً ، وإنما كان يسلك في مواعظه مسلكاً لم يك توبعده سألوقاً ؛ فقد ألف الفلورنسيون أن يكون الخطيب الواعظ في كنائس . مطعماً على الشعر القديم من آثار اليونان والرومان . فكان الواعظ يفقد الغداء من الخصباء ولا يألف أن يقول سعراً أثناء مواعظه . ولا أن يضحك السامعين بتكديه ولعبه بالألفاظ . فكان الفلورنسيون ينتفرون في الكنيسة مثل ما ينتفرون في دور المسارح حديثاً عذباً فيه رنين وفيه فكاهة ؛ فلا يحمل بأهل فلورنسا المصدقين أن يغشوا الكنائس فيسمعوا نأيباً على الذنوب وهم يهيداً بالعقاب . فوعاظهم رجال من بنى عموستهم يقومون بالوعظ على أنه مهنة يراد بها تذكير الفلورنسيين بديانته كي يكون للكنيسة نصيب من دنياهم .

ولكن الراهب سافونارولا كان رجلاً من طراز آخر ، رجلاً قوى الاستفاد بالدين شديد الحماسة في حمل النفوس على الاستمسك بالفضيلة ولم يكن يتألف في عباراته ، بل تجدد في مواعظه خشونه فد تحول في بعض الأحيان إلى عنف . على أن أكثر ما أثر في جمهوره هو حماسه الدينية .

لست تريد أن تعرض لحياته تفصيلاً ، ولا أن تذكر كيف أسولى على عقول أهل فلورنسا ، وإنما تريد أن تذكر أنه استطاع تدريجياً أن يجد السبيل إلى قلوب سامعيه . فكان أهل المدينة يتقاطرون على مواعظه ، وكانت كلماته تؤثر فيهم فيدفعون الدرع غريراً . وبدأ يندبرهم ويطلب إليهم أن يقلعوا عن مظاهر الحياة الدنيا ، وأن يتركوا ما انغمسوا فيه من ملذات ، ويتوعددهم بالعقاب إن هم استمروا في ههوىهم . وأخذ القوم يسمعون إليه وتفتح أذهانهم لمواعظه . ولم تمض سنوات حتى صار سافونارولا أهم رجل في مدينة فلورنسا . وكان من خصائص وعظه أنه كان يتكهن بما يدبره المستقبل لمدينته وللمدن الايطالية ، وبكوارث عمل بها . وحدث فعلاً أن انعقدت الأمور في إيطاليا

وحتى نكتنه . وزاد اعتقاد الناس به وطارت به شهره في أنحاء البلاد الإيطالية .

وجاء وب صار حكم المدينة يأمرون بأمر سافوارولا ؛ فهو بين سنتي ١٤٩٤ ، ١٤٩٨ كان هو الحاكم الحقيقي للمدينة والمسيطر على أمورها ؛ كل ذلك كان بسحر كلامه البعيد عن التنبق ، الحسن في لفظ والتعبارة ، التي بلهدهد وإسعيد . المعتمد على التكهينات وما توحيه الأحلام .

كيف كانت الخفوات التي سطر بها سافوارولا على أهل فيورنسا ؟ ذلك ما نستطيع أن نقرأه في تاريخه . على أنه يعين علينا أن نكون على ثقة من أمر واحد ، هو أن هذا الرجل كان مسوقاً بأبيل العواطف ؛ فهو كما أشرنا أكثر من مره لم يكن خلافاً بجمال العبارات وحلاوه الأسلوب ، وإنما كان خلافاً بحمسته وبقينه . وانتقاد له فيورنسا ونبذت ما كالت عليه من انكباب على المذنبات ، وانقلب يقينه لتحلى بالفضائل ، أو على الأقل بظهر بمظهر ذي المشيلة . ولكن العجيب في الأمر أن يتأثر اناس بهذا الراهب حتى يستشيروه في كل أمر من أمور دنياهم ودينهم ، ويأخذوا برأيه في تصريف أمور احكم ؛ وهو يشير عليهم حتى في هذه الأمور بدافع من ماذا ؟ من تجربته ؟ لا ! بل من تأثير الأحلام والرؤى .

ومع ذلك لم يكن الرعب رجلاً مسعوداً ولا رجلاً مخبولاً . وإنما كان حسن الرأي في أكثر الأمور . وقد بدت على مدينة فيورنسا في ظل مشورته ، إن لم نقل حكمه ، مسحة من الوفاق كان من الواجب أن يعجب بها رجال الدين ، وكان من الواجب أن يغتبط بها البابا رأس الكنيسة . ولكن لا هؤلاء ولا ذاك اربحوا لما بلغه الراهب من مركز بين أهل المدينة التي اتخذها مقماً . لم يرنج رجال الدين للنزلة سافوارولا لأنه جذب أهل المدينة إليه فلم يعودوا يستمعون لغيره من الوعاظ ، وصار أهل المدينة يعضدون رهبان ديسه سان ماركو على غيرهم . وقد اضطبغت المدينة بصبغة الجدة ، فلم ينبئ هناك سوق لأولئك الرهبان الذين كانوا يغشون دور العظماء ليرسقوا منهم . ولذلك أخذت نفوس هؤلاء الرهبان تمتلئ حقداً على الراهب الذي سيطر على المدينة ، وكان قد بلغ وقتئذ مرتبة رئيس الرهبان في دير سان ماركو .

أما البابا ، فذلك له شأن آخر وقصة أخرى .

قد يكون من أكبر الدلائل على ثبات الكنيسة الرومانية الكاثوليكية واستقرارها على الدهر ، أن تولى عرشها رجال من أمثال إسكندر الثالث ويوليوس الثاني وليون العاشر في عهد النهضة الإيطالية . ففي تلك الأيام نزع أكثر الناس ، لاسيما المتعلمون ، أسور الدين وأخذوا بأسباب الدنيا ، فأغرق في ذلك فريق أعجبوا بآثار اليونان والرومان ، فأرادوا أن يقدموهم في كل شيء حتى في وثنياتهم . واعتدل فريق فأخذ يقبل على آداب اليونان والرومان ويعجب بذلك الماضي الحبيب ، ولكنه كان لا ينسى واجبه الديني .

وهؤلاء البابوات الذين ذكرناهم على ما بهم من فضائل كانوا رجال دنيا قبل أن يكونوا رجال دين ؛ فهم يملكون العصر الذي عاشوا فيه كل التمثيل ، وهم بذلك يدلون على متانة ذلك النظام العتيق ومرونته وهو نظام الكنيسة . لقد اتجه الناس نحو أمور الدنيا ، فأدت مرونة النظام إلى أن يكون البابوات رجال دنيا ومثلوا بذلك عصرهم . فاسكندر السادس من آل بورجيا الأسبانيين كان رجل دنيا بمعنى الكلمة . والحقيقة أنه لا نستطيع أن ندافع عن مسلكه ، كما أن المؤرخين ، حتى الذين كتبوا منهم تعجب إشراف الكنيسة ، لم يستطيعوا تسويغ أعماله ومسلكه في سياسته وفي شخصه ، على أنه لا يستطيع أحد أيضاً أن يهتم بأنه كان يهمل واجباته الدينية . وكان على الغلب محبوباً من الذين يتصلون به . ففي قامته الطويلة نوع من المهابة ، وكان يقم الحفلات الباهرة كأي ملك من الملوك ، وكان يحب الفكاهة ؛ ومع ذلك كان لا ينور عن إزالة أي خصم سياسي من طريقه بالحيلة أحياناً وبالعنف أحياناً كثيرة .

أما يوليوس الثاني فكان من أعظم البابوات الذين جلسوا على عرش القديس بطرس ، وهو الذي عمل لاعاده بناء تلك الكنيسة العظيمة بروما التي تعد أعجوبة الكنائس جميعاً ، وهو الذي استخدم أعظم رجال الفن من أمثال رافائيل وميكل أنجلو . وكان رجلاً قليل الشهوات لا يؤخذ عليه شيء في مسلكه أيام توليه عرش البابوية ، ومع ذلك كان رجل دنيا ؛ فهو يحب أن يسير الجيوش على خصومه ويتولى قيادتها بنفسه ويحاصر المدن ويهبط أحياناً عدة القتال .

أما ثالثهم ليون العاشر فهو من آل مديتشي ، وكان يشجع العلوم والفنون ويقال إنه أولم بكتب الأقدمين حتى كاد ينضل أساطير الوثنية على حقائق

المسحبه . وكان رجلا سديدا الحبله مع خصومه منقلباً في سياسته لا يثبت على وعد أو عهد .

سبب صور البابوات الذين عاصروا النهضة في كلمة . فهم رجال دنيا قبل أن يكونوا رجال دين ، وهم رجال يتسبون عظمهم حتى التمثيل .
 وقد عاصر مافونارولا أسوأهم في السياسة وفي المسبب الشخصي . أما المسبب الشخصي للبابا إسكندر السادس فلا تريد أن نخوض فيه ، لأن كتب التاريخ ذكرت ما فيه الكفايه ، وقد يبلغ بعض هذه الكتب أحياناً . ولكن أسفها على هذا الباب لم يستطع أن يجعل من مسلكه اشخصى صنعة نقيه . وهذا دون أن تعرض لما روى عند من قصص وما أصابه إليه خيال الناس ، فهو أذل البابوات موضوعاً بلا قويل . وأما سياسته العامه مع الدويلات الانصاليه ومع الأمم الأخرى التي كانت تخضع له في دينها ، فهي سياسته منصوبه على المكر والخذلعه ، فهو لم يكن يفي بعهده إذا رأى أنه يتفق في طريق أغراضه . وكان لا يؤمن بجانبه مهما بذل من وعود ، وكان لا هم له في سياسته إلا الأعسء على ابلاده ليهيئ لأبنائه المعترف بهم عند إمارات يحكمونها .
 ونعود فنقول إن أكبر دليل على متانة نظام الكنيسه الكاثوليكيه أنها هضمت رجلا مثل البابا إسكندر السادس ؛ إذ لم يستطع مع كل ما أنه أن يودى بالكنيسه وبصامها ، بل ظلت الكنيسه قائمه متينه البنيين محترمة في أعين الناس جميعاً .

سيطر مافونارولا على مدينه فيورنسا وصار حاكمها طوعاً وإسارنه . ولم يكن الرامب خفيف ، لولاه قنبل التسلط ، بل أخذ ينفذ آراءه في عنف وسوء ، فهو قد دعا الناس إلى الأخذ بأسباب الفضيله وإلى نبد وسائل انترف ، ولم يتر لهم لضماؤهم ، بل أخذ يبتدع الوسائل لمزقتهم . وكانت إحدى الوسائل التي اتخذها وضاق بها الناس أن جعل من الصبيه عيوناً على أهلهم ، فكان الصبيه يتلون إليه أخبار أسرهم ويصفون له ما اركبه آباؤهم أو أسهاتهم من آدم بسراء أدوات انزیهة مثلاً . وقد طلب إلى هؤلاء الصبيه أن يجمعوا له هذه الأدوات . وفي أيام موسم المساخر ، التي كانت مأنوفه في فلورنسا كما هي مأنوفه في المدن الأخرى من إيطاليا ، جمع أدوات الزينه والترف التي نقلها إليه الصبيه وأقام

ما سماه عيب إحراق وسائل الترف ، ولكن هذه العيب لم يكن أقل سخريه من المساخر نفسها .

ولقد غلت النفوس بهذا لتدخل في حياة الأسر المره بعد المره ، وضاف الناس لاسي الأثساء به ذرعاً ، وأسرف هؤلاء الصبية الذين كانوا ياتمون بأوامر الزعيم الراهب ، وضاد حياه التجار الذين كسدت بضاعتهم بسبب نسلط الزعيم وعجزه على الناس شراء ما هو كافي . مع أن مدينه مثل فلورنس كانت من أكثر المدن ثراء وإقبالاً على الزينه والترف . وهكذا أخذت النفوس تنصرف عن الراهب . ولكن الناس لم يكونوا قادرين على أن يبدؤا استياءهم جهره بسبب بسيط ، هو أن كل الرجال الذين كانوا يتولون الحكم في تلك الفترة كانوا من أنصاره .

وكان في النظم الجمهوريه التي تسعها فلورنس على ما بها من فضائل عيب أساسي واحد ، هو تعبير أعضاء مجالس الحكم في فترات قصيره لانتجوز بضعه شهر ، وكان هؤلاء الأعضاء دائماً في تلك الفتره من رجال سافونارولا . وكان من المستطاع أن يصل نسلط الراهب مره طويله لو أنه كان كبير الحيطه في سياسته . والحقيقه أننا لا نستطيع أن نقول إن سافونارولا لم يكن في تدبير الأمور على جانب كبير من الدكاء والدهاء معا ولكن كان ينسند هائين الميزين عاملان : أولهما سده الحمس التي أدت تدفعه إلى نوع من التسرع . والثاني اعتماده على مابوحيه الأحلام . وقد نفهم ذلك منه حين تلقى نظره على صورته ، فذلك الوجه المصفر التحيل ، وذلك الفم الواسع ذو الشنئين اعليظنين التين شكاد نبين اربعتهما في الصورة . كل هذا يدل على أنه رجل بعيس بأعصابه ، وإن كانت العيان الواسعان تثبتان في الوقت نفسه بأنه رجل خاضع للأحلام .

وقد غلب أن نساء أين كنت في هذا الزمن شخصيه فذه من أبناء فلورنس ، هي شخصيه رجل عرف بكل الصفات التي تعارض مع صفات سافونارولا ، وهي شخصيه ذلك الكاتب الذي اتخذ في كل زمان مثالا للواقع الجريته وأعني به بقولا مكيفي ؟ الواقع أن مكافيدى كان وقتئذ صبيبا ليس بعيد أن يكون من الصبيه الذين سلطهم سافونارولا على أعلمهم كما يتسلط البواء . ولكن لم يثبت مطلقاً أنه كان منهم فهو إذا كان قد أشار إلى الراهب بشئ

من الاجلال فهو لم يفعل ذلك غير مرة في جميع كتبه . ثم يدل على أن سافونارولا يترك في نفسه أثراً . وواقع أن الرجل الذي كان يرى في فيسور بورجيا ابن السامسا إسكندر السادس مثلاً لما يجب أن يكون عليه الأسراء مع كل ما استهر به هذا العامل من قسوة وحرائم . لا يمكن أن يعطف على الراهب وأحلامه في تحقيق عالم مليء بالفضيلة .

ولا ريب في أن سافونارولا كان يريد أن يحقق ما لا يمكن تحقيقه . وكان يريد أن يرجع بعجله الزمن الفهغرى . ولكن العصر الذي كان ينضج فيه الساس للاثباء قد مضى . وكانت الروح الوثنية قد تخمت الطبقة العليا في جميع ادول الايطالية واصلت حتى بالدوائر الدينية . فكيف ينظر أن يستطيع رجل مثله أن يغير من طبيعة الناس ؟

ومع ذلك كان من المحصل أن يضل سافونارولا مسطراً على المدينه ومؤراً في الدويلات الاصلية لو لم تعارض سياسته مع سياسته البابا . فهو في حماسه المدينة وفي تسلطه على القلوب والعقول كان جديراً به أن يكون من أقوى عمد الكنيسة الكاثوليكية . فقد استطاع لفره طويله أن يحيى بذور الدين في مدينه كانت من أبعد المدن عن الدين . ولا ريب في أن البابا اغتبط بذلك . وهذا هو السبب الذي من أحله رفعه إلى مرتبة رئيس دير سان ماركو . وكان سافونارولا من جهه حريصاً على إرضاء رئيس الكنيسة الكاثوليكية . ولكنه في ادفاعه وحماسه لمدينة فلورنسا نسي أن للبابا إسكندر السادس سياسته خاصه ونسي أنه لابد أن يخضع له بما في سياسته أمور المدينه إذا أراد إرضاءه . ولكن نراه يؤازر حصماً للبابا في سبيل صالح فلورنسا . وراه يمجّد أعمال ختم للبابا وينادى به مستغداً بالحالة باطاليا في سبيل تحقق النبوءات التي أغلب من منبره . يضاف إلى ذلك أن تلك الظروف لم تكن لتخفى على الخسوم الكثر من الراهب . وهم يعرفون كيف يستفيدون منها . ولا ننسى أيضاً أن تقوية فلورنسا على الصورة التي عمل لها الراهب . كان مما يجعلها نفث حثلاً في سبيل ذلك البابا الذي كان من أمره أن يجمع تلك الدويلات الايطالية . أو على الأقل أن يجمع أكثرها في ملك واحد . نحب ابه فيسور بورجيا . وكان إليم فلورنسا من أهرب الأقاليم إليه . وكلما ازدادت قوة المدينه

تحت تأثير حماسة الراهب ووطنيه . صارت لقمة لبس من السهل ازدرادها . وكان البابا مع ذلك يحسب حساباً لنفوذ الراهب وسبقه القوى ، فبدأ يبيها تحت الحوادث التي لا تريد أن تدثر نفاصيها من يستطيع أن يقرأها في الكتاب الذي أُنِجَ لقرء العريية . وإتـمـا تعرض للطريقه الطريفه التي ابتدأ بها البابا هجومه على الراهب ، فقد أرسل إليه خطاباً لطيفاً يدعوهُ إلى روما لتحدث في شأن الرؤيا التي قيل إنه رآها في يرى الدائم ، والنبوءات التي نبأ بها . وفهم الراهب مايعرض له من خطر فاعتذر بمرضه ، وأنه لا يستعج أن يتحمل مشاق السفر ، وأعرب عن خضوعه للبابا وإخلاصه له . وعاد البابا يلح على الراهب في أن يشخص إلى روما وعاد الراهب يعتذر . فلم يكن أمام البابا إلا أن يطلب إلى حكام المدينة إرسال الراهب إلى روما ، وكان احكام من رجال سافونارولا فاعتذروا . وهذالك أصدر البابا أمراً للراهب بأن يمتنع عن الوعظ والنبؤ للناس . وخضع الراهب وبقاً ما ، ولكنه عاد إلى الوعظ وكأنه قد عزم على المجدي ، وأخذ ينكم عن فساد بلاط روما ويدعو أمراء المسيحية إلى عقد مؤتمر لانتقاد الكيسه الكاثوليكيه . وابتدأ الضال بين أنصار الرهب وخصومه ، وظهر هؤلاء الخصوم منالين ، وهم من حزبهم سخوه البابا الذي كان ينذر ويتوعد بانزال غضبه وحرمانه على أهل المدينة إن لم يتخلصوا من ذلك الراهب العاصي . وانتصر خصوم الراهب في الانتخابات وتولوا الحكم ، قصار رجال الحكم من خصوم الراهب .

وحدثت تحت المأساة حين تحداه الرهبان من خصومه بأن يجرب تجربته النار دليلاً على صدقه ، وهي تجربة كانت معروفة في القرون الوسطى ، وهي تنفي بأن يمر داخل سعلة من نار ، فإن كان صادقاً في دعواه فسيثقله الله من شرها ، وإن كان كاذباً فسيصلى نارها ويدهب إلى الجحيم ؛ ولا تريد أن نذكر ما حدث في ذلك اليوم من شغب بين الرهبان وانطفاء الشعلة التي أعدت على أثر مصر غزير ، ثم ما كان من القبض عليه ولتحقيق معه وتبعذيه مع بعض أنصاره من الرهبان ثم إعدامه .

كان سافونارولا شخصية من أكبر الرجال الذين ظهوروا في عهد النهضة ومن أطهرهم وأصدقهم وطنيه وأبعدهم عن الآدم ، وسكـه كان رجلاً متأخراً

عن عصره . فكان من الصعب أن ينجح طويلا في غرضه ، وكان من
 لمسحيل أن ينجح سببته إذ لم يكن ذلك العصر ميداناً لزعماء الظاهرين ،
 بل كان عصر أولئك الذين كبرت آثامهم كما كبرت مراكزهم . ولو أن
 مدته فلورنسا تمسكت به لوجد البابا سبيلا إلى مقابلتها وتأليب الدويلات
 عليها ، ولعله كان لا يفعل إذا آتس في نفسه عدم القدرة . بل يلجأ إلى طريقة
 أخرى عرفها أمراء الدويلات الابطالية في ذلك العصر وعرفها من بين البابواب
 إسكندر السادس من آل بورجيا . والطريقة بسيطة ، هي خجر يرسل في يد
 رجل مغامر أو كائن شراب يحتوى مادة سامة ، فهذه الطريقة كان يلجأ
 الأمراء إليها إذا رأوا أن للخضم أنصاراً ، وقد يثير تحديه متاعب كبيرة .
 ومن الخفق أن البابا إسكندر السادس حين طلب إلى سافونارولا أن
 شخص إلى روما لمقتننه في نمواته وفي أحلامه كان يعمل بوصفه رئيسا
 للكنيسة الكاثوليكية ، ولكنه كان يعمل بوحى من سياسته . لأن دعوته
 سافونارولا إلى استضيئه كان من الواجب على الرئيس الدينى الأكبر تشجيعها ،
 لا سيما أن الراهب أظهر مقدرة فائقة على التأثير في العتول ، ولكنه بدخوله
 معترك السياسة حاض بحر الخطاير ، فأودت السياسة به وبدعوته ، ولم يبق
 إلا ذكره العاطرة .

حسن محمود

مكسيم غوركى

فى يوم ماطر ، وقف الضفل إلى جانب النعش الملقى فى زاوية بعده من روايا باحة الكنيسة ، ترتعس أوصاله ، ويحدق فى ضئعتين نترأ لضن فوق غطاء النعش .

كان ذب النظر ، كل ما علق فى ذهن الضفل من دأرى أبيه لمسجى داخل النعش . ولولا جسده ما عم غوركى شيئاً عن مجرى حياه أبيه . وهى التى أسرت فى أذنه يوم مات أبوه بصع كدمات ، فحواه أنه مات فهراً وغماً من جده المتعسف الذى جعل حياه ابنه - أبى مكسيم - حياه مظلمة معنمه . وكبر الطفل ، وأرهف حسه ، وأصبح قفى يدرك كل ما يحرى حوله . وأخذ يهرم بحياه النضف والحرمان التى يحياها فى كنف جده لأبيه . ولم بعد يستطيع المضى فى عمله الساقى عند ذلك الحذاء الذى اختاره الجدم معماً للفتى . كما لم بعد فى إمكانه الاذعان لجده والصبر على إهاناته القاسية وضربه المبرح له : فقرر الفرار . وظل فى نجينوفجرود أياماً يحبوب الطرقات ويتسكع فى الأحياء والجوع ينهش معدنه ، إلى أن عثر على عمل فى سفينة صيد . وانكب على عمله الجديد يؤديه برضا حاطر وطيب نفس ، رغم الارهاق الذى كان يدققه به غسل الأطباق من الصبح حتى منتصف الليل : وذلك لسعور يخاسره لم يكن يحس به من قبل ، وعرفه فيه بعد بالسعادة والطمأنينة . فالنهر المتدفق العريض ، والأحراش الخضراء المنبسطة على طرفه ، والسماء الزرقاء الصافية ، كل ذلك جعل الفتى يطمئن قليلاً للحياه ، وينعم بنك السبعة الأخاذة التى أصبحت ملك يديه .

ويجمع لدى الفتى بضعة فروش . ستري بها شبكة وطوقاً ويضعه فخاخ لصيد الصور . وغادر السفينة لا يبغي الرجوع ، وساح فى الأدغال يحمل على سنيه عمده الصيد وغطاء بقيه برد الليل . وراح كلما أبين الليل يحط تحت

سجره كسره وينام قير العين . وأما نتاج أنعابه من الصند ، فكان يبيعه في السوق بأثمان تكفل له القوت .

وأذير اصيف ، وبدأت أسراب الطير تغادر الأدغال ميممة سطر المدن . وغادر القتي الأدغال مكتئباً حزناً ، وجعل بطرق الأبواب من جديد طلباً لعمل . لكنه لم يشأ أن يضحى بحريته ، وهى أتمن شئ لديه . فصار كلما تسلم عملاً لم يلبث أن يتركه ليبحث عن غيره أفضل منه .

وفى المدينة تعرف غوركي إلى كثير من الأصدقاء ، وعن طريق هؤلاء تمكن فى نفسه ميل خاص إلى شئ جديد ، هو اقتناء الكتب وقراءتها . وأقبل على مطالعة القصص بنصف عظيم ، وأخذ يبحث عنها فى مكتبات أصدقائه وعند لباعة المجولين الذين يبيعون الكتب القديمة بأسعار بخسة . ولم يقض أسهر ليلة حتى صار غوركي ودرأ على مطالعة الكتب الأدبية وتميز الأساليب الركيكة من الأساليب الرفيعة . ثم وجه اهتمامه لقراءه سنيخوف وبوشكين وغوغول وبيرجنيف وليرمونتوف . وعندما أتى مرة إلى نهاية قصة مذهبة استهويه وتركت فى نفسه آثاراً ، سرح فكره فى الفضاء الفسيح ينسج وقائع لقصته ما ، ثم همل القلم وانصب فوق الصولة يدون تلك القصة .

ولحاه التى كان يشبهها دائماً بالسجن ، صارت منذ دخول الكتب إليها أدعى لمسره وراحه باله . والكتب كما عرفها آنذاك ، كالعصافير المفردة تبعث الأنغام فى آذان المساجين ، فيطغى على نفوسهم الكئيبة قليل من البهجة والخور . وبضحت مدرك التى ، وانصرف يسعى لتحقيق عيش رغده هنى .

لكنه لم يفكر فى الشهرة أو الاندفاع نحوها . وظن بادی الأمر أن المسرح يكمن له العيش الحيف . وجب المسارح يعرض نفسه للظهور فيها ، وبين فى أحدها . وأعطى دوراً ثانوياً فى رواية عنوانها « كريستوفر كولمبس أو اكتشاف أمريكا » وطلب منه وهو فى لباس المنود الخمر أن يشترك فى معركة تدور رحاها بين الهود والأسبان ، ويسدد بخنجره النطعنات لغزاه المعتدين . وهم بواجبه ، ولكنه لما أصابت جسمه طعنة سيف خارفة ، نسي أن يرمى على الأرض . فضحك الجمهور ، وغضب مدير المسرح ، وصب فوق رأسه جام شتائم ، وطرده من العمل .

وبش القى من المسرح أخضاً ، وفكر فى مسلك جديد فى الحياه .

فقد درنجينونوف و كان آنذك في الخامسة عشر ، متجها صوب قازان لينال العلم في جامعته .

ولم يكن يوقع أن يقبل في جامعة قازان بسهولة . وقد كتب في مذكراته قبل دخول الجامعة يقول : « لو قبلت في الجامعة على شرط أن أجد في كل أحد ، على سرائ من السكان لارفضيت الشرط . » إلا أنه قبل بمجرد وصوله المدينة . وهناك تفتحت أمامه آفاق جديدة ؛ فأخذ يعرف إلى الحركات السياسية السرية ويقرب إليها ، ويصادق نفرا من الطلاب الثوريين . وأما مسكنه فكان غرفة صغيرة في أسفل بيت قديم متداع في شارع من الشوارع المهملة . وما لبث أن عثر على مهنة كان يتقاضي منها أجراً يومياً قدره عشرون كوبيك .

وبوساطة أصدائه من طلاب الجامعة الثوريين ، صار غوركي يصبل بجمعيات الطلبة السرية ويقرأ نساتها ويحضر بعض جلساتها ويقت على بطورات النتيجة للثورة . وأخذ طالب الجامعة يبالغ كتب آدم سميت ونشيريشتسكي و كارل ماركس . ثم انعدمت الحاجة إليه في عمله فأخرج . وجرى يبحث عن عمل آخر . فتيسر له ذلك في فرن حيث شغل مركز مساعد للفران . وكان صاحب الخبز رجلاً متجبراً يدعى سميونوف يشغل أجراء مخبزه مدة أربع عشرة ساعة في اليوم مقابل أجور تدفيه . وكان غوركي يتقاضي ثلاثه روبلات في الشهر ، ويعمل كغيره طيبة النهار ، فلم يرضه الحال ولم يغض الطرف عن ذلك الاجحاف . لكن صاحب الخبز لم يستطع كبت نفسه غوركي الثائرة ، ولم يقدر على منعه من التذمر والشكوى . وأخذ غوركي يجمع العمل في حلقات ، ويحدثهم بأسلوب طلي جذاب ، عن حقيقة أصحاب العمل الجشعين ، الذين يدأبون على هضم حقوق العمال وبعاملتهم بالعنف بدل اللين . وبينما غوركي يبت تعاليمه بين العمال في إحدى تلك الجلسات ، إذ بسميونوف يفتأه ، فينتهره ويغلظ له القول ويزل به أسد العقاب .

لكن إيمان غوركي بحريته وبأفكاره لم يتزعزع . فثبت أمام هجمات المعلم ثوبيا راسخاً . ولما حطف سميونوف من يده مره كتاباً كان غوركي يقلب صفحاته ، وحاول إلقاءه في النار ، صرخ غوركي في وجهه صرخه هائلة وفبض بأصابعه الطويلة على معصمه واسترجع الكتاب وهو يقول : « أفتجرو

يا هذا على إلقاء سكتاب في النار! ولم يمت صاحب الخبز إلا الانسحاب من الغرفة خوف من غوركي الذي ارتسم على وجهه أسرار غضب هائل . بعد ذلك الحادثة بأيام ، راح غوركي يعد العدة لأضراب عام داخل مخزن فكسف سميوف الأمر فبس وبعده ، وطرد غوركي لبعال . فالتزم إلى مخزن لسرف عبيد رجل يدعى درنكوف وتديره إحدى الجمعيات السرية ، ويخصص مرابحه لدعم المنظمة ماليا . وفي ذلك الأثناء ، شدد رجال الشرطة في مطاردة الرجال الثوريين من أعضاء الجمعيات السرية ، وغنروا على يسب غوركي فسخلوه عنوه وقلبوا محتوياته وبعثروا متاعه في جنبات الغرفة ، ووسوا تقريراً يفهم منه أن يفتى علاقه بالعمل السامى .

وجاء الخريف ، وجاء مع أمثاله الغزيرة . وفي أحد الأيام تسلم غوركي خطباً يحمل نبأ وفاة جدته العزيزة حبيبته . فاكتمهت الدنيا في وجهه وأظلمت واعتراه بأس قاتل . وراح يتصور بؤسه المقيم وبعاسته الدائمة ، فمقت الحياة ، واحتمر في رأسه فكرة الانتحار . فالتزم مسدداً وخرج في إحدى الأسابيع إلى ضاحية من ضواحي المدينة وألقى ابرصاص على جبهه الأيسر . وعثر عليه في الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم وهو الرابع عشر من كانون الثاني عام ١٨٨٧ مفرجاً بدمه ، فنقل إلى المستشفى حيث عولج ونجى من إصابته الخطرة بعد جهده .

غادر غوركي المستشفى أشد سضاء وأقوى عزيمته . ورجع إلى مخزن درنكوف وواصل العمل بجده ونشاط . وبين حين وآخر ، كان يزوره في المخزن رجل يدعى روماس ملبث أن استلم بينهما أوامر الصداقة وتوثقت . ثم عرض روماس على غوركي أن يقبل الانتقال معه إلى قريته ، حيث يوفر له الهدوء والراحة في مسكنه الريفى . ووافق غوركي ، وغادر المدينة مع صديقه في طريقه إلى القرية المنصبة على ساطع الفولجا . وهناك أخذ غوركي عن قرب يشاهد نعمة الفلاحين ويتحسس مصائبهم ، ويضيق باستبداد أصحاب الأراضي وإغرافهم في التيه والجبروت . فالتزم إلى جميعه سريده يعمل صديقه فيها وترى إلى تجريد أصحاب الأراضي من سلطانهم . إلا أن الاخفاق الدريع كان من نصيب تلك الجمعيات السرية ؛ فقد فوجيء أعصابه مهجوم عنيف قام به أصحاب الأراضي ، وعرصوا من جرئهم وأسرعهم لأبضع

صروب الغدر والانتقام . وسقط صديقي غوركي صرعاً . فمر من القرية وأخذ يتابع السير نحو الشرق . حتى أسرف على بحر قزوين . واستمر العيش هناك . فعمل صيداً للسكك . وأداه على الساطيء بملاطظ النظر برؤية لبحر وأسواجه السلاطمة . وأقام غوركي هناك مدة . ثم رجع إلى فزان وعمل حارساً في محطة سكة الحديد . وظل يسير ويبدع عصا في مجاذاه خطوط السكة من الساعة السادسة مساءً حتى السادسة صباحاً . واستقر في عمله ذاك أشهراً قليلة . انتقل بعدها إلى نجنينوجرود . وفي تلك المدينة بدأ يربط محال لعمل . طبخ لبرقع جديد يختلف عن الأعمال السابقة كالحراسة الليلية والخدمة في الخبز وصيد الطيور والأسماك وغسل الأطباق . ولم يثبت أن الفتي في المدينة جمعاً من أصدفائه الثوريين الذين ملئ مبادئ الثورة أول ما نلتقى على أنفسهم . ففطن معهم وأضله وإباهم سقوف واحد . واشتد نشاطه . ولقى القبض عليه وهو في بيته . وافتيد إلى السجن حيث قضى شهراً . وصرف غوركي مدة السجن تلك في المضاعفة ونظم الشعر . ووقع مدير السجن مره على بضعة أبواب لغوركي . فحمل الورقة وأخذ يردد الأبيات بهجته يشوبها الاستهزاء في الوقت نفسه . وعند الانتهاء منها . انبرى لغوركي يقول : « أي شعر هذا لدى سنظمه أيها الأحقر ؟ إذ ذهب إلى كورلنكو بعد أن أطلق سراحك . واغرض عليه نموذجاً منه لكي يرشدك إلى الشعر الحقيقي . »

وخرج من السجن وكلمات المدير ترن في أذنيه . وأسرع بجلب عن كورلنكو . الأديب الشاعر الذي غطت شهرته الأفق والذي يعرفه جميع المثقفين من أبناء روسيا وأوروبا وعشق كتيبه وأسعاره . وسرايسب الكبير بالشباب الناشئ . وليس مواهبه وكهش له بمستقبل زاهر . وأخذ يوجهه ويحضه على الكتابة قائلاً : « أكتب في أي شيء كان . صف الطبيعة ومنظرها المختلفة . ونكم عن مشاهدتك في الحياة . » وانصاع غوركي لرغبة كورلنكو . فجعل يكتب . وجعل معتمده يحسن توجيهه ويشلعه على مواضع القوة والضعف . حتى أنس الشاب إلى الكدبة . وليس في نفسه الكفاية فيها والرغبة إليها . وفي يحمل في نفسه أطياف الذكرى وأجلها لمعلمه الأول . ثم غادر نجنينوجرود ليسرع في رحلة طويلة في طول البلاد وعرضها سيراً على الأقدام .

وافيقى أثر العولجا ، وسار بمحاذاته مئاب الأميال . ثم استقر مدة قصيرة في روسوف ، واستقل منها إلى أوكرانيا وبساريا حيث نجول طويلا في أنحائها ، ووصل إلى سواطي الدانوب في رومانيا ، وظل شبح الجوع يطارد في كل تلك الأسفار . وفي البحاريا لم يستطع أن يجد لنفسه سوى العسل . يقيم أوده ويرد عنه غائلة الهلاك جوعاً .

ثم اراد سرفاً حتى جاء انقوفاز . فأقام في ربوعه مدة طويلة ، وسعر هناك بحاجته إلى قبول أى عمل يغرض عليه ليهيئ منه الغذاء ، فاشتغل أول الأمر حارساً في بستان . ثم صباحاً في منزل بروجي ، ثم فاري صلوات على القبور . ولكنه على الرغم من كل ما كان يلائمه من صعاب وأهوال في كل يوم من أيامه البائسة ، ظل محملاً لذات الشقاء ، فناعاً بظروف القلة والحرمان التي يلاقيها في أسفاره المتلاحقة . ذلك لأنه وهو يخالط طبقات الشعب اسكادحه مخاضه فعليه ويعيس بين الفلاحين الخبزدين من أبسط الحقوق التي يجب أن يتمتع بها كل انسان . ويرقب الفقراء المعدمين من أبناء الشعب ويتم أشقييه السكان الساحقة ، في طرق معيشتهم وسكنهم ، صار يتحسس مشاكهم ويرى لحافهم . وتمكنت من نفسه المبادئ الثورية التي لقنها فيما مضى .

وهو كل ازداد اطلاعاً وسعفه بأحوال الناس ، نمي في نفسه الحقد والضغينة على أعداء الشعب . وقد حاول مره أن ينقذ امرأة عارمة مشدودة إلى عربة كما نشد الخيل والسيات تنهل فوق جسدها ، فتجمع حوله سكان القرية وألحقوا به من ألوان استمهم ما سبب إقامته في المسكن في حاله خطرته أياماً كثيرة . ولما أقرو واسترد قواه كتب في مذكراته مشوراً ذلك المنظر الذي رسخ في مخيلته يقول : «... نعم ! لقد شهدت ذلك لمنظر المنقطع عيني في قرية كاديوفا في اليوم الخامس عشر من تموز سنة ١٨٩١ . »

وما كاد يغادر المسكن في حتى سمع بضغبات تجري في مدينه مكوب فحلف إليها ، وشاهد الجنود القوراني ينزلون الهول في أهل المدينه . فحمل في الصحف حملة شعواء على سلطات المدينه ، فاعتقل . ونهل إلى معتقلات الجيش ، وبقي هناك أياماً . ثم أضيق سراحه وتجه إلى مدينه نفليس حيث أثر البقاء مختماً أسفاره في جنوب روسيا .

وانصل في نفليس بالكسندر كولونجى ، أحد المنتمين إلى الجمعيات السريه

والذى يثبت كما يقول غوركي أنهن لموهب البشريه ، ألا وهى الشعور بالانسانيه . كان كدالوجنى رجلاً رزياً مثله ، يعرف كيف ينقرب إلى الناس وينال شتمهم وإعجابهم ويعالج مشاكلهم . وليس كدالوجنى بدوره مواهب غوركى ، فحده على الكتابة عن رحلانه ولنقلاته . واستجيب غوركى لرغبة صديقه ، فسجل ملاحظاته . ثم أخذ كدالوجنى يسعى بروبه باقه ، إلى تحويل ذهن غوركى نحو القصة ، فما لبث أن فصح . ورأى غوركى ينصاع لوجيهاته وبشرع فى تأليف القصص ، حتى خرج من بين يديه قصته البدعيه الأولى « ماركخسرا ، التى نشرت فى الجريده الثفليسيه اليومييه « نفتاس » فى شهرين الأول سنة ١٨٩٣ : وفى أواخر السنه غادر غوركى نفليس يكن بين جوانحه عميق الحب لمن استكشف فيه شخصيه القصصيه .

ولم تكن تمشى بضعة أشهر ، حتى تسلم غوركى دعوه من صديقه القديم كورلنكو بضلب إليه فيهب التوجه إلى سمرا ، وببول وطبنة محرر فى مجله « سمرسكيا » . وقبل غوركى الدعوه ، وأسرع إلى سمرا ، وأخذ اسمه بعد وقت قصير يتأق فى الصحف بجانب أسماء لاسعه ككورلنكو وسيرباك ويىخايلوفسكى . وظهرت له قصص عظيمه سجدت فى سفر الخلود « كجنه واسيه » و « مرة فى الخريف » و « حضان » .

بعد سنه من الزمن ، آذن اسم غوركى على كل لسان ، وأخذت الجرائد والمجلات المنشره فى مدن القوقاز ، ندعو الأديب الكبير بنشر قصصه ومقالاته . وإذ تسلم دعوه للعمل فى جريده تصدر فى بلدته تجمينوفجود انطلق سريعا ، واستطاع فى مده وجيزه أن يرتفع إلى مصاف تولستوى وتشيفخوف .

ووقفت السلطات القيصرية من بروز اسم غوركى واتساع شهره موقف التريص ، وأصبحت ترى فى ذلك الأديب الذى يعالج فى كتاباته شؤون الشعب ويحدث عن بؤس السعب وحقوق السعب ومشاكل السعب ، خطراً عظيماً يهددها فى الصميم . فعولت على إبعاده وأرسلته إلى سجن نفليس . ولكنه لم يرهب السجن ، ولم يبن قساره ، فلحق تعاليمه نزلاء السجن . ثم جاءه العفو لعدم توافر لأسباب عن اعتقاله ، ورجع إلى مدينته ليواصل نشاطه الثورى . وفى سنة ١٩٠١ ، ذهب فى زيارة قصيرة إلى سانت بيترسبورغ . وشهد أثناء تلك الزياره مظاهره سلميه قام بها طلبة الجامعة ، وقاومها البوليس

بوحشية وغفظة . وسرعان ما حمل على الحكومة في مقال عييف ، اختتمه بقوله « قريباً . . قريباً جداً ستهب العاصفة » . واعتقل من جديد ، وقيّد إلى سجن نجنيسوفجود . وهناك ساءت صحته وحل به « هزال » شديد ، فهب البلاد من أوصافها إلى أوصافها تحتج على اعتقال الكاتب الكبير وتطلب إطلاق سراحه ، وانبرى بولسوى بدافع عن السجين المرض . فاضطرت الحكومة إلى السماح وتخليه سبيل غوركي . وعاد عمله محرراً في الجريدة ، واستد انتصاه بالمتضمر الثوريه ، وأضحى نفوذه عظيم بين الطبقات العاصلة ، ولم يثنه إرهاب الحكومة ومصادرتها له عن عزيمته ، ولم يضعف من تأثيره . إلا أن السلطات لم تمكن له من حرية لتصرف ، فعادت لاعتقاله ونفيه بعيداً إلى بلدة صغيرة تدعى ارزاماس ، معظم سكانها من الرهبان .

وأثر ذلك الصرف حفيظة زعيم الحركات الثوريه لنين فكذب يقول : « لقد نفت الحكومة المسببه من غير محاكمة ، رجلاً من أبرز رجال عصره وألعب شخصيات أوروبا ، رجلاً سلاحه الوحيد حرية الفكر . »

وازدادت صحة غوركي في منفاه سوءاً ، وأصبحت حياته في خطر . واضطرت السلطات أمام ضغط الجماهير ، واستجابة لرغبة الأطباء في إطلاق سراحه ، إلى إصدار العفو عنه . وخرج من السجن ، فوجه في انظاره الألوف من الطلبة والعمل في مظاهره صاخبة أعدوها احتفاء بذلك اليوم . وجمه المتظاهرون على الأكثف ، وجعلوا يجوبون به شوارع المدينة وهم يهتفون بحياته وسقوط الاستبداد والمستبدين .

وفي سنة ١٩٠٢ ، انعقدت آمال العلماء ولأدباء الروس على انتخاب غوركي عضواً في أكاديميه العلوم . ولما أجمع الأكاديمية قررت بالاجماع انتخاب غوركي . ولكن القيصر لم يشأ لذلك الانتصار أن يسوء طويلاً ، فأرسل للأكاديميه كتاباً يقول فيه : إنه غير مقرر بانتخاب غوركي عضواً فيها . وعلى الرغم من صدور ذلك الكتاب عن القيصر مباشرة ، فقد أبى اثنان من أعضاء الأكاديمية أن يتقيدا به ، وهما أنطون تشيخوف وفلاديمير كورلنكو . وليس ذلك لحسب ، وإنما أعربا جهاره عن احتجاجهما على تدخل القيصر في شؤون الأكاديمية .

وشرع غوركي بعد ذلك التاريخ ، يكتب للمسرح . فالف أول روايته

«الفلسطينيون»، وأبعثها بالرواية الثانية «أغوار الحصة» وجعل محورها معاناة
شؤون الطبقات المتعممة. ورغمما عن مرور قلم المراقبه لعرض فوق كثير من
فقر الرواييتين وفصولهما، فقد نقبتهما الجمهور باعجاب وتقدير عظيمين.

وأقبل عام ١٩٠٥، عام الثورة الاشتراكية الأولى، وندمج غوركي
اندماجاً كاملاً مع أصحاب ذلك الثورة والمهدين لها. فكسب في لصحف محرراً
وموحيّاً، ثم حاملاً أعنف الحمل وأفواه على القيصر والحكومة القيصرية،
ورافعاً الستار عن فظائع تلك الحكومة والأهوال التي ترتكبها. واعتقل
الكتاب المضل وألقى في السجن، وهناك كتب رواية «أبناء شمس» التي
استوحى قصتها من مجزرة اليوم التاسع من كانون الثاني سنة ١٩٠٥ عندما
هرع ما يقرب من مائة ألف شخص من سكان سانت بطرسبورغ يستجدون
عصف القيصر ويطلبون رأفته ورحمته وتخفيف قيود الحكومة عنهم، فأجابه على
استجدائهم بفتح فوهات المدافع ارشاشه وسليطها على صورههم وهم أمام
باب القيصر. وبدفعت سيول الاحتجاج على اعتقال غوركي من جديد، منها
ماورد من أبرز شخصيات روسيا ومنه ماورد من رجال أوربيين وأمريكيين
من أصحاب المكانات المرموقة كبير كوري وأوغست رودين وكلود مونييه.
وسرح غوركي وسافر إلى موسكو حيث راح يجمع التبرعات لسراء الأسلحة
والذخائر.

وبل نهوض موسكو لقيام بثورتها المشهورة عام ١٩٠٥، بأيام قليلة التقى
غوركي ولتين للمرة الأولى. وتراى إلى مسامحة عزم الحكومة على اعتقاله،
فاختفى عن الأنظار وتمكن من اجتياز الحدود إلى أوروبا وأمريكا. وفي أميركا
كتب قصته الخالدة «الأم» التي انشرت في العالم أجمع كأسرع ما ينشر
النور. ولم تكن الحكومة القيصرية تعلن اعفوه عن التاريس من أبناء البلاد
سنة ١٩١٣. حتى نصح لتين لغوركي بالعودة. وبقي غوركي مدة أربع
سنوات يعمل في الحركات لسيه. حتى إذا ما نشبت الثورة الاشتراكية
الكبرى في تشرين الثاني سنة ١٩١٧، كان غوركي من أبطالها. وعند ما
وفاي القدر زعم الثورة لتين بمنيته بعد أعوام قليلة، لأن صديقه العزيز
غوركي في جانبه يحنو عليه ويمر يده فوق جبينه.

ونعز غوركي بخطر المرض يستنحل، واستندت عليه وصاه لآلام

الجسميه ، فرحل إلى إيطاليا للاستشفاء ، وعاد إلى وطنه سنة ١٩٢٨ -
وكان في اسنين من عمره فخرج الشعب الروسى بأجمعه يستقبل المناضل
احيائاً .

في سنة ١٩٣٢ ، احتفل الاتحاد السوفيتى بد لرى مرور أربعين سنة على
صدور أول أثر مخطوط لغوركى .

فى سنة ١٩٣٦ ، أنعمت غوركى الاغصاصة الأخيره ، وانظفاً ذلك
السراج المنير . وبكى الملايين فى روسيا وخارجها حزناً على حيو ذلك القبس ،
ووقف مولوتوف يندب الفقيد فى حملة التأبين ويقول : « إننا اليوم نطوى
صفحة مجيده فى سجل تاريخنا . إننا ، نحن أصدقاءه ومعارفه ، نتقى مع الملايين
من أبناء الشعب الروسى ضربه هائله شديده الوقع . وإن الانسانية جمعاء
لتفقد بعد لنين رجلاً عظيماً قل أن يجود الزمن بمثله . »

[القدس]

عقيل هاشم

L'ART DE L'ECRITURE

HILDE ZALOSCHER

فن الكتابة

لقد وفقت الروحية الشرفية للكشف عن ميادين فنية لم يهتد إليها الفنان الغربي ، ألا وهو التعبير بواسطة الخط المناسب المنطلق ، الذي يعلو وينخفض كالسهم والرفير ، أو يهزل ويضيق كجري الماء ، والذي لا يبتأ يتحور ويكنسب انثناءات دائمة التجدد ، هذا الخط الذي يخفى بين طياته معاني وأفكاراً ذات مغزى بعيد ، إذا حاولنا أن نفهمه ونستشف سره . والواقع أن الخط باعتباره صورته فيه ، ظل ميزته خاصة بالفنان الشرقي . وكل حضاره شخصيه بالمعنى الصحيح ، تقدر الخط وتنظر إليه ، باعتباره عنصراً جوهرياً من عناصر الفن فيها .

ولما كانت الحضارة الشرفية تأبى الفن النقلي والتصويري ، وتسلك للتعبير عن نفسها سبيل الزخرف المجرد ، فهي تسند إلى الخط دوراً هاماً ، ونحن نعلم إلى أي حد يعتبر الفن الاسلامي ، وعلى وجه الخصوص الفني الذي يرجع إلى أصل عربي نقي ، فناً مجرداً زخرفياً ، إن لم يكن رمزياً . وهذا الفن يأنف من النبات والحيوان والأشياء المجردة ، ويصوغ من كل تلك العناصر المتعارضة شيئاً جديداً . وسبيل هذا الفن كلما قلنا هو الزخرف وخاصة الزخرف غير التصويري . فنحن لانجد فيه أزهاراً وحيوانات والمشاهد الغرامية التي لها أكبر مكانة عند الفنان الزخرفي الغربي . والحواجز التي تفصل حسب عقلنا التنظيمي بين هذه العوالم كلها لا وجود لها في ذلك الفن . فالكتابات كلها قد اشتركت في إنشائه غير نازكة إلا مجرد أثر تافه أو ذكرى من كل منها . والنقش العربي يشبه عن بعد ورقة شجرة ولكنها محورة كل التحوير . والعريشة كذلك ليس بها إلا رائحة بعيدة من عالم حي ، قد

صنع من جديد وأعد لوظيفته غير وطبقته الأولى . وكل من النقش والعريسة يسمى إلى عالم المضلعات الصلبة المكونة من شرائط طويلة يختلط بعضها ببعض ، ويخاط ، وتتلوى ثم ينسبط ، ولجوءه تلتقي هي أيضا برأس حيوى : تلك هي عناصر الزخرف فى الفن الاسلامى .

ونحن نكتشف من بين تلك الأسكال ، ومن غير أن نتيين أى عارف أو نمجاً مفصل بين عالمين مختلفين — نكتشف عصائب غرضها الزخرفة ، تحمل كتابات . وبين العرائش والنقوش الداخلة فى العجاثر ، نجد أسكالا كتابيه . وقد أدى الطراز الواحد إلى تكوين هذه العناصر لعالمين مختلفين كل الاختلاف . ويحرك هذه الرسوم الخطية المضطربة إحساس واحد ، ويخط النقوش والحروف خط دائرى واحد . وخلاف ذلك نجد العصائب الزخرفيه موضوعه على النظام نفسه الذى وضعت عليه العصائب الكتابية ، والفنان يستخدمها كلها لغرض نفسه . فهي تزين الأسياء نفسها من جوامع أو آنية فخارية أو صور ، . وقد تستعمل معا وبعضها يوازى بعضا كإطار لناقذة أو باب ، والعصائب العريضة سواء أكانت مملوءة بالزخارف أو الكتابات ، تلف حول الجامع كله آخذة بكل ناحية فيه .

هل يكون أصل الكتابة والزخرف واحداً ، بما أن التشابه بين مظهر كل منهما كبير إلى هذا الحد ، وبما أن أساليبهما تنفق وتمتزج ، وبما أن وظيفتهما واحدة ، والفنان يستخدمها بطريقه واحده ؟ الواقع أننا نميل إلى الاعتقاد بأن الزخرفة ليست مجرد تسليه عقلية ، أو نزوات لا أثر للتفكير فيها ، وليست مجرد شئ يكون بهجة للعين ووليد الحاجة الفنية . أليس وراء الزخرفة غير ذلك ؟ ألا يكون الفن الزخرفى أول تسجيل لأفكار الانسان ؟ وميداناً واسعاً لعبد الفلاسفى ، حيث نستطيع أن تستكشف بعض مظاهر الحياة ، ونظامها المتغير ، ونبضاتها الخفية وأسرارها العميقة ؟ إن أبسط شكل زخرفى وهو انثناء خط دائرى يفسح الميدان لاحتالات شتى ، غزيرة المعنى متنوعة الرمى . فتره يكون الخط رفيعاً متلوياً ، فيشق مساحة ويستقر بداخلها فى شئ من الاشفاق والاستجباء . وقاره يفيض هذا الشكل الزخرفى ويسع حتى يكاد يبتلع المساحة كلها . وهو ينتقل من الانتظام المنطقى إلى الانواء المنطقى المستمر . وتمحى الأنظمة الصارمة ليحل محلها مجاوبف ومماوز تفيض العين

فيها ، وسرد خلف نزوات وأهواء خفية ، في أكثر ما نعبه أى خط لآى زخرف ! وما أكثر التحولات الى يتر بها ! إذ أن هذا العالم الزخرفي يجمع لقوانين عالم غير عالمنا ، إنه وليد التصور ، وهذه الأشكال المخملة بالمعاني هي رموز خفية مخاطب الخيلة كتبت الرموز الأخرى ، أغنى حروف الكتابة التى تحمل هي أيضاً رسالة خفية والتي تتصل بالعقل عن طريق البصر ، وهكذا تلتقى الزخرفة بالكتابة بل تختلط إحداهما بالأخرى .

أما الفنان العربى فنجذبه مظاهر الدنيا ، فهو يعمل إزاء الطبيعة ، ويمتحن حب كل ، فالتبيعة إذن هي مصدر وحيه الفنى لأول ، إن مستلهمه الدائمة هي إيجاد أحسن الوسائل وأفضل لاعاده خلق ما هو كائن أصلا في الطبيعة ، فبحوثه تنتهى إلى مدعب طبيعى كامل ، وهو إيجاد العلاقات الخفية إن لم تكن المطلقة بين حجم الأشياء والكائنات وبين الفضاء الذى يغمرها . إن الفنان الشرقى لا يواجه هذه المسألة بل يجهلها إن لم يكن يهملها . وفى الميدان الذى يتعرض الروح فيه دائماً مع المادة ، حصل الفن بوساطة ما بالروح لا بالحواس ، ويكون الصورة الحسية مجرد خلاف لاغى عنه .

تخرج من ذلك بأن كل حضارة شرقية جعل لكتابه ، وأن كل فن شرقى خالص ، أحس بقيمة الكتابة وسغزاها بروحى وضمها فيه بعد إلى عصره . والمسيحية الأولى ، لشرفه خاصة ، وهى التى طلب أقرب من غيرها من الوحي الأصلى ، عرفت قيمة الكتابة الروحية ، ونسب معجزة الرمز الذى يحتفظ بكلمة الله ويعلمها . والأنجيل القديمة التى نعتبر أجمل ما تركت المسيحية فى العصور الأولى من آثار فنية ، تستخدم الكتابة عنصرآ من أرفع العناصر معى ، ونسند إليه قيمة فنية فى مجموع الأمر . ونحن نجد على هذه الرقوى دأب اللون القرمزى ، كتابه لينة مشدودة فى الوقت ذاته ، مملا الصلحة بشبكة من الخطوط التى ينبض حياه وحركه . والحروف الأولى التى يبدأ بها كل فقره جديده محلاة كأجمل ما تكون بالذهب وموشاة بهذه الألوان العظيمة التى تبدو كأنها مرصعة بالحجارة المينة . وهكذا تظهر الكبة وقد انسب بفضل تلك الزيتة قوة إيحائية خفية . والفرق شاسع بين تلك الصفحات التى كتبها فنانون خطاطون كانوا فى الوقت ذاته ملهمين بالموضوع من لهنه ورهبان ، وبين صفحات البحوث العلمية التى نكتبها عبيد من العلم .

وكتب عباده لكتابته موجوده في الديانات الفارسية كذهب المزدية لزرواستر
ومذهب المانوية الذي حل محله ، ونحن اليوم نعرف تمام المعرفة أثر ذلك
الديانات في المسيحية والإسلام . وقد يكون الأصل في عباده الكتابية عند
اقرس تشبههم عم المقدس . وكلهم مذهب زاوسترا وحدهم هم الذين يعرفون
سر السكبة ، أفلا يكون ذلك دليلاً على قيمة الكتابية ؟ ونجد من ناحيه أخرى
مبدع المذهب المانوي يكسب ويمو بنفسه الكسب المقدسة . وتوجد نسخ
على غلبه من الجمال في صرقن حث النجاة المانوية بعد اضطهاد أبنائها .
وعن نفس في ذلك السخ شامياً غريباً بالخطوط الإسلامية بما لا يجعلنا
تردد في الاعتراف بما كان لها من تأثير مباشر فيها . ولظاهرة الدينية في
ذلك الفن الديني الصرف ، هي مجرد نتيجة للاتجاه انتصوفي الديني . وقد ترك
لنا في صفحات مخطوطاته آثاراً فنية بلغت غاية الجمال .

والفن الصيني قد أدرك أكثر من غيره القوة الحفية والناحية الشعرية
في الكتابية ، وإن رموزه الكتابية ساهم سأن الرسوم في الفن الإسلامي ، هي
رموز منهم . وللفنان الخطاط في الصين المكانة نفسها التي يمتع بها الرسام .
والأثر الخطي لا يقل في شيء عن التصوير . والحروف التي ستكون منها الكلمات
ويعبر عن الأفكار مرسومة بالرسمه نفسها وبالمادة نفسها ، مثلها مثل صور
الأنساء وضلاها . وهناك ظاهره أخرى تقرب بين هذين العالمين عالم الأفكار
المجرد وعالم المصاهر الملموس ، وهي قوة التأثير التي تصدر عن كل منهما .
وليس الحرف في الأبجدية الصينية كالحرف في أبجديات الحضارات الغربية ،
فكل حرف هناك بصور كلمة ، فهو يثير ويوحى إذن ولا يكتفى به
للهاء .

ولما كانت الحضارة الإسلامية تقع في تلك مناطق المتصلة اتصالاً روحياً
ونيقاً بالاهيت ، فقد أنشأت فناً مجرداً أسندت فيه إلى الكتابة دوراً خطيراً .
وقد ظهرت على المؤسسات الدينية الأولى كتابات منحوتة ومعمورة . ونراها
مرسومة في الفسفساء ، أو منقولة كتابة على ارقوق ، أو مرسومة بالذهب
والألون على الآنية والأفداح والمصابيح الزجاجية والحرفية . ونجدها محفورة
حول صحن من الفضة . وعلى أيها وجد تدكر الآيات الدينية وسبح بحمد
الله . وهكذا نجد ذكر القرآن قد حل في هذه الآثار محل الفن التقليدي

التصويرى . فالكتابة كنز أعلى تزدهر وتغلط بسائر لزخرف . وهى تدعو المؤمنين وتبلغه الرسالة العظمى .

وجمل القول أن الكتابه فى تلك الحضارات ، لا يمكن أن يكون لغير رجال الدين . فهى قلى تستخدم برسائل اليومية . إنها قبل كل شئ إطار الكلمة الالهية وبونقتها ، منها تحمل تلك الكلمة بل هى مشبعة بها ، وهى على ذلك نطل من خواص الملمعين المطلعين ، وهى الآلة المقسمة التى يستخدمها الكهنة ، كما أنها سوف تظل حافظة حارسه لسنه والتقاليد .

من ذا الذى يستطيع أن يخبرنا عن سبب اختيار ذلك الرسم لذلك الحرف؟ تحت أى تأثير خفى رسمت اليد ذلك الحرف على ذلك الشكل لا على شكل آخر ؟ ومن يصف لنا الرهبة التى كان يستشعرها المؤمن أمام تلك الرسوم الغامضة التى تظهر بها كلمة الله ؟ مما لاشك فيه أن تلك الرموز كانت دائماً على شئ من قوة التأثير ، وأن أسكتها كانت تحمل السأمل فيها على الاحترام والاحلال ، كأي شئ مقدس .

وقد احتفظ الاسلام فى كل أطوار تاريخه بتلك القيمة الخاصة بالكتابة . فى حين أن الحضارات الغربية ، وأهمها الحضارة اليونانية والحضارة الرومانية ، لم تدرك البتة القيمة الروحية التى توجد فى الكتابة إلى جانب القيمة الفنية . ولذلك خرج من الرومان واليونان علماء وفلاسفة ، ولكن لم يخرج منهم أنبياء . والكتابة عندهم ، كما سبق أن ذكرنا ، مجرد وسيلة لنقل المعلومات . وإننا لا نجد البتة فى أية كتابة عندهم مهما قدم عهدا معنى الرسالة الروحية . بل هى نتحدث إلينا بوساطة تلك الحروف الواضحة الجامدة الخاصة بها . فى لغة البشر .

والكتابة التى تستخدم فى الفن الإسلامى أكثر من غيرها باعتبارها كتابة زخرفية هى نفسها التى استخدمت فى نقل الكتاب المقدس . فالخط الكوفى ذو الحروف المنتهية بزوايا يظل وحده مستعملاً فى الآثار حتى القرن الثانى عشر حيث يأخذ مكانه الخط الجارى العادى ، والقيمة الزخرفية واضحة كل الوضوح فى حروفه المشدودة القوية . غير أنها عندما ترص فى سطر واحد على عصبية زخرفية أو على إطار ، يكاد الجزء الأعلى منها يظل فارغاً فى حين أن الجزء الأسفل يكون مشغلاً . ذلك لأن الحروف التى ترتفع سيقانها محدودة (كالألف

واللام والكاف) والغدد في ثقب الحبل يمد ثقب السيقان وبسط كما يشاء الحرف النهائي من الكلمة أو الحرف الذي لا يتصل في أواسط الكلمة بالحرف الذي بعده ، ثم يملا ثقب المساحة الفارغة بعناصر نباتية . فيظهر الخط الكوفي المزدهر ، رائعاً عجيباً ، يخلط فيه العنصر الكتابي بالعنصر الزخرفي .

إن هذه الكتابة الزخرفية التي برع فيها الفنانون المصريون في العصر العاطمي ، تبدو لنا على غايه من الجلال . ومن المحتمل جداً أن يكون الفنانون المصريون هم الذين ابتدعوا ذلك الفن . أما الذي لا شك فيه فهو أنهم كانوا أبرع من برز في هذا الميدان . وتحتوى دار الآثار العربية على رموس مهموره يرجع تاريخها إلى عام ٨٥٨ م أى في أوائل العصر الهجري . وعلى تزخّر بالخط الكوفي المزخرف ، الذي يظل مع ذلك محتفظاً بقيمته الروحية . ويسر هذا النوع من الكتابة انتشاراً عظيماً ابتداء من القرن الحادى عشر في بلاد الشرق الأدنى ودأخض في مصانع أميدا وردخان . وحوالى عام ألف تتميز الزخارف ذاب الكتابة الكوفية برساقة وغزارة في الرسوم لامتيل ها . وفيه هذا الضرب من الفن تزد د على مر الأيام ، فتراه يستخدم لا في الخشب لحسب ، بل في الحجر أيضاً . ونعتبر الكتابة المنقوشة على الرخام الزخرف الرئيسي في فن المعار . فجامع الأزهر مثلاً تمتلئ جوانبه بالكتابات الزخرفية المنقوشة بالرخام الأسود . ولاتمام تلك العملية لا بد أولاً من حفر الحجر الأبيض أى حيطان البناء بدقة ومهارة ، ثم حشد الحفر بالكتابة التي تكون قد نقشت من ناحيتها على رخام أسود . والكتابة تنطبق باتقان عجيب على الحجر غير باركة أية فتحة أو ثغرة بين هاتين المادتين اللتين صاغتهما يد الإنسان معا ، حتى ليبدو أن الأثر قد أنجز بفعل الطبيعة لا بتدخل الإنسان فيه . فجامع أصفهان الذي يعد من أروع الآثار وأفخمها بكسوته من الخرف الأزرق ، تغطيه شبكة من الكتابات تلتف عى البناء كله (شكل ١) .

ومن الأسئلة الرائعة أيضاً يجمال زخارفها الكتابية مقصورة جامع قيرمان الذى استخدم الفنان فيه الخط الكوفي المزهر . وأخص ما تتميز به الكتابة هنا هو تعانق سيقن الحروف وتشابكه بحيث كوّن شكلاً زخرفياً شبيهاً بالسياج . وقد نتساءل هل ذلك مجرد زخرف ساذج أم هو سر غامض قصد إليه الفنان ؟ فنحن هنا أمام اتصال مباشر بين الزخرف ذاته وبين الكتابة .

فالخرف الذى يعتبر عتصراً كتابياً صرفاً ، وصورة خالصه لعلم الجرد ، يبدع هنا أسكلاً وصوراً لا علاقه لها بأصله . ويخط بسكونى يصبح هذا الزخرف المعزى بفضل ما يميز به من تنوع الرسومات فيه . فهو يكون أسكلاً جديده توافق فى الوقت ذاته روح التحليل فى الدين الاسلامى . وانمى إلى إرسال النفس على سجيته سابعة فى عالم الأحلام . ويجب أن نذكر أيضاً تلك الصور الصغيرة التى جمعت عبقرية الفنان فيها بين الصورة والكتابة بحيث يكونان وحدة لا تفصل . كما يجب أن نذكر أيضاً تلك الملصقات من خرف أو معدن التى يرجع جمالها التقليدى إلى الكتابة التى غيط بالأنرم متضمنه آية من القرآن (شكل ٢ و ٣ و ٤) .

وإنما لنعجب كل الاعجاب بتلك الحضارات التى أنشأت فنًا لم يجد غيرها فيه إلا رسوماً وعلامات ذات فائده عمليه . ولا بد من عقل ميسافيزيقى ليدرك ما تخفى تلك العلامات من أسرار ، وما تحتوى الكتابه من معجزات ، حتى يستطيع بعد ذلك أن ينشئ فنا تتضمن فيه القيم الجماله التى تؤثر فى الحواس تلك القيمة الخاصة التى تخاطب الروح .

والواقع أن الكتابة كالرمز يعتبران العنصرين الأساسيين فى الفن الاسلامى . فالعقل الشرقى يميل إلى التجريد ، وقد أحس بما فى الكتابه والرمز من قيمة زخرفية تحمل محل الرخفة الغريبه المنيه على الأرها والحيوان . فالرجل الغربى يجد أمراً عجيبياً أن نستعمل كعنصر فى تلك العلامات المتعدده الشكل التى جعلت أصلاً لنقل رسالة ما ... كما أنه يجد عجيبياً أن يتحول الرمز الذى لم يكن يعرف عن أصله الدينى والسحرى والصوفى شئاً ، إلى زخرف تجمل وتعالى به أسطح الأنبياء . غير أنه إذا ما انصرف عن تلك النظرة النفعية ، استطاع أن يدرك أن تلك العلامات تحمل أقدس مرات إنسانى ، وأن أعظم ما أنشأ الانسان ، وأسمى ما جال فى خاطره من فكر وجاش فى قلبه من إحساسات . قد خلده تلك العلامات التى تثير قراءتها فينا أنبل العواطف وأفعمها قوة . ومن ثم نفهم أنه وجد من آمن بأن تلك العلامات المسكويه نشع قوة سحرية خفية .

ونحن نعلم أن هناك نوعين من الأديان : الأديان الوثنيه ، والأديان المنزله . والآخذ فى الأديان الأولى صادرة عن الانسان ذاته نعثر إسقاطاً

لآلامه وآماله . وهي تعيش بين البشر وفي قلوبهم ، بصورها الانسان على صورته . ويعبرها مصاهر من قوى الطبيعة . أما في الأديان المنزلة ، فتظهر روح الله للانسان المختار أى لنبي فتبلعه الرسالة لكي يذبحها بدوره بين الناس لينضموا إليه . فالعلاقة المقدسة بين البشر هي الرحمة ، تلك الكلمة التي يبسر انبيها شعبه وبطل المحور الروحي للجمعة ، ويحفظ الكتاب المقدس تلك الرسالة التي لولا قراءتها ومعرفتها لم فاست لادين قائمه . ونحن نلاحظ أن الكمية أصبحت عنصراً فنياً هاماً في تلك الحضارات وفي تلك الأديان المنزلة ، وأن الشعوب التي احتارها الله لكلمته هي التي تسند للكلمة تلك القيمة الروحية التي لا يعرفها الوثنيون حتى عندما يبلغ حضاراتهم الذروة من الاثقال والجمال الذين تعجب بهما كل الاعجاب في الآثار الفرعونية والبابلية واليونانية . ونمس إلى الاعتقاد بأن مذهباً دينياً أساسه الكلمة الالهية التي ينسبها النبي المختار ، تكون العلامة التي نستخدم في تخليد رسالته ، أغنى الكتابة مملوءة قيمة خفية .

وما يجدر ملاحظته أن الكتابة السريانية لا تتكون من حروف جامده لا أثر للذخيرة فيها ، كما هي الحال في الحروف اللاتينية مثلاً ، ولكنها تمتلئ حياة وحركة ، وسلاسة وتنوعاً ، شأنها شأن اللغات السريانية نفسها التي تقرب جداً من الغناء .

يجعل الرب من نبيه بوقاً لسمع الشعب صوته وبعده رسالته ، التي تتخذ شكلاً ظاهراً في الكتابات الموجودة في الكتب المقدسة . والوثني ينظر إلى تلك الرموز والحروف فلا يجد إلى قراءتها أو إلى فهمها سبيلاً ، مع أن فيها الدليل على وجود الله ورسالته التي بواسطة تلك العلامات نبلي إلى شعبه فيجتمع الشعب حول الاله غير المنظور لذي تجلي له بالكلمة الالهية فقط . وكل الكلمة تعبر تلك الحروف مظهرًا قويا من مظاهر وجود الرب ، والضيق الملم وحده يستطيع أن يقرأها وأن يفهمها ، أما الوثني فيحرمها ويجهلها ، إن تلك الكلمة تحجب علامة سرّيه ، وإننا نميل إلى الأخذ بهذا المعنى لتفسير قول الانجيل : « في المبدء كانت كلمة » .

هيلمير زالرشر

نقلها عن الفرنسية إلياس نعمان حكيم

مسودّات الشعراء

أى صديقى العزيز

إن هذا الذى قتله لى فى خطابك قد سرفى كثيراً . أنقول إنك احتفظت
بمسودة قصيدة لصديقنا الشاعر كان قد نسبها عندك ، فاستأذنته فى الاحتفاظ
بها فأذن لك ، فأنت من وقت لآخر تنظر فيها !

تق يا صديقى أن صديقنا الشاعر هذا قد أثرك بئى ، فممن حقا لا يؤثر
به الشعراء أصدقاءهم . لأن المسودة كما تعلم هى عرف الشاعر الذى لا يجب
أن يشمه غيره ! هى الوثيقة التى ثبتت أنه لم يطلع على الناس هذا الشعر
إلا بعد كثير من المصايير والمساورة ، على حين يجب الشاعر أن يبهز الناس
شعره مطبوعاً كأنه جاءه وحياً من السماء فتلقاه وأداعه ! ولقد كنت أحب أن
أذكر لك الطاهى الذى لا يريد أن يدخل الناس عليه مطبوعه لأنه يخشى
أن يقل شهيتهم لطعام إذا هم رأوه يصنعه ، لولا أنى أخشى أن تهمنى نقله
الذوق فى هذا المثل . . . على أنى أعلم أن صديقنا الشاعر هذا طيب القلب
سمح النفس لا يهجمه أن يعلم الناس أنه ملهم ، وأن هذا الذى راع الناس
ليس إلا عفوَ خاطره . . . بل لعل هذا الصديق الطيب القلب يجب أن
يرى أصدقاءه كيف يتعثر وكيف يرفض جبينه بالعرق وهو يجاهد ويكاد ،
وإنه ليتلمع دائماً فى أن يرى الناس مشتقين عليه مترجمين له مسحين بأيديهم
على جبينه ! هكذا عرفناه يظهر من باطن أمره أكثر مما يظهر غيره من ظاهره . . .
مفرطاً دائماً فى كل شئ ، ساخراً دائماً من كل شئ ، حتى من نفسه فى كبر من
الأحيان . . . ألا تدرك كيف كان يفتانا فى بنته فنحس بعد قليل من الجلوس
إليه أننا جزء من بيت صديقنا هذا !

فلا عجب إذن أن ينسى عندك مسودة قصيدته ، بل لعله لم ينسها
ولكن رآها قبل قيامه فتناقل عن أخذها بأساً منها أو سخرية بها ، أو لعله

مرّ لها لك عامداً نشرها فذكر القصيدة وتحدث عنها إذا رأيته ... وأياً ما كان الأمر فإن الذى أردت أن أتحدث به إليك غير هذا . إنما أردت أن أسألك أأردت من النظر فى هذه المسودة أن تنسى ونضحك من عيب الشعراء ، أم أردت حقاً أن نأخذها معرّضاً من معارض النفس الانسانية فى بعض حالاتها ؟ وهل قارنت بينها وبين القصيدة المطبوعة منها إن كانت طبعتم ؟ فلعنك رأيت كيف تشبه قصيدته من القصائد أحياناً إلى صورة مخالفة لما كان فى مسودتها ! ولعنك رأيت كيف تتغير الكلم ، وببديل الأفكار ، ويختلف الشعور ، وتتسكن الصور ! ولعنك وقعت على بعض هذا الصراع الذى ينتهى بالشاعر إلى النجاح أحياناً وإلى الاخفاق أحياناً أخرى ! أو لعنك رأيت صنعه هؤلاء الشعراء وما فيها من جهد واحتيال !

ولست فى خطبك . وما أصدق ما قلت : «ولو أطلعنا شعراؤنا على مسودات قصائدهم لقدموا إلينا بذلك خدمة جليلة ونفعاً عظيماً . لأنها فى الحقيقة المرآة الأولى الصادقة لحالاتهم النفسية وتصوراتهم السعورية ... فهذه الكلمات التى شعبت بأيدي الشعراء فى مسوداتهم كانت خليقة أن نعيش وأن تظهر لولا سرور بعض هؤلاء الشعراء وأمانيتهم .» نعم يا صديقى ! فليكن لنا هذا الشاعر الذى يكتب لنا مع قصيدته كيف كتبها ، وما هى الفكر التى بواردت عليه أثناء كتابتها ، وأياً كان أولاً وأياً كان أخيراً ، ولماذا عدل بهذا عن ذاك ، وغير هذا مما يعرفه الشعراء حين يكتبون قصائدهم ... وما دام الشعراء أحبوا أن يفتنوا الناس على مشاعرهم المخلقة ، وتجاريهم الصادقة ، فلماذا لا يرضون لأنفسهم أن تنشر مسوداتهم والمسودة فى الحقيقة تظهر التجربة النفسية الحقة التى قام بها الشاعر ؟ أم براهم يمزقون هذه المسودات أو يسترونها لأن الشاعر ككل إنسان فى المجتمع لا بد له من الظهور بين الناس مصقولاً مهذباً ؟ لا أدري ! ولكنهم إن نشروا هذه المسودات ، فستكون هى الأخرى هياكل فنية خلقة بالنظر والأمل فى أعقد ، وقد نبهر فى النفس ما لا يثيره القصائد المطبوعة ! أنظر ، ألا ترى فى هذه المسودة مهادناً نزلت إليه كلمات كثيرة . فلما بعضها فقد قدر له النجاح والنجاح ، على حين صار البعض الآخر أسلاء متنازه : فهذه الكلمة تراها مقطوعة بسهم ، وذلك قد تكسرت فيها النصال على النصال كما يقول المتنبي ، وهذه قد طمسها الشاعر فى بركة صفيحة من الحبر ، ألا نثير

مثل هذه البرحة في مساعره كثيره وبدلنا على شخصه اساعره وحالته حين
كان يكتبها ؟

فمسوده صديقنا لابد أن تكون قد أثرت في نفسك اسى الكثير .
فخبرني في أى الصور كان يبدو لك صديقنا ؟ أرأيت إلى لونه الحيمات المسطويه
عنه ؟ ربما كان بعضها يسحق ما نزل به . وسكن ربما كان بعضها الآخر
نقطه الشاعر بلرغم عنه ! وأنت تعلم أن الشعراء يخطرون إلى ذلك لعمود
السعر التي ترهقهم ويطغون في كثير من الأحيان إلى اخروح عن طبيعتهم .
فقولون ما لم تكن في نيتهم أن يقولوا . وبتأديهم ما أرادوا أن يقولوا .
وقد تدرك قول هذا الشاعر العربي لدى سئل في شعره فقال : « ما أَرْضاه منه
لا يَأْسُنِي . وما يَأْسُنِي لا أَرْضاه . » ففعل في شعره فقال : « ما أَرْضاه منه
لولا أنه لم يَأْتِهِ ، ولعل فيها كذلك ما جاءه ولم يَرْضه ... »

فان وجدت في انظر إلى مسوده صديقنا هذا منه ونقلاً قطاب إنه
غيره . وبين حسن الخلق أن كثير من الشعراء صديق لك . فتستطيع أن
تجمع بعض هذه المسودات ويكون منها مجموعه مثل هذه انما راسه اياضه
القصيده ... ضع مسوده بقصيده اسمها . وانظر إلى ما اخبره الشاعر منها
وما لم يخبره . ومعنيها هنا ومعنيها هناك . وحيداً لو كان عندك أن تتر من
مسوده لقصيده الواحد كما يحدث في كثير من الأحيان . فتستطيع أن تؤرخ
لهذه القصيده تاريخاً أدبياً على عوجده . فترى الخلال التي ترب بها ألحانها
ومعانيها . وترى ما عسى أن تدل عليه من شخصية الشاعر ...

ولذلك أن كثيراً من الناس يجنون أن يروا مثل هذه المجموعه لأننا نحب
دائماً أن نرى تجارب بعضنا بما فيها من مظاهر لنجاح ومظاهر الاخفاق أيضاً ...
نحب أن نرى بعض المعنى المسوره أو الألفاظ المضمرة . فأنه قد سهر في نفوسنا
سناً من الصلح فتشوق أحسناً ونسنت ونضحك أحياناً أخرى ... على أن
محاولت أنت معرفة أصول هذه الحيمات المضمرة أو المسطويه ونسنت ومحاولت
تجربته هي الأخرى يجب الناس أن يروها ! فهيا إذن يا صديقي وطيب من أصدقائنا
الشعراء بعض مسودات قصائدهم من أجل هذه المراسله فمن يادري !

نأمل يا صديقي جداً هذا النعيم وهذا العجب : فهذا الشاعر يخط في
مسوده مسوره من الصور . وذالك رسم خصوصاً نحوه هنا وهناك دون معنى ،

تمثل هذا الشاعر وهو يخط هذا الخطوط ، ودعيت مثل هذا العيب ، فقد تقول إن هذا نتيجة إخفاقه فيما طالب من معنى أو لفظ فصارت يده تصنع شيئاً وعينه يجرى وراء شيء آخر ، أو قد غول ربما أراد أن يعوض شعوراً ينقص فأرادت يده أن تحقق ما لم تحققه شاعريته ! من يدري ؟

وقد ترى كلمات مكتوبة بلهفة على حين ترى غيرها أبطأ في كتابتها ... وقد تعرف سر هذا . فإن اللوحة الشعرية تجعل يد الكاتب تكتب بسرعة وتعد على حين يبطئ القلم ويثقل إن أبطأ الذهن وثقل ...

وقد ترى كثرة مسأله كتبها السمر على مسودته يعود إليها ، فأما بعضها فأصبح له الظهور والاستقرار فأصبح الناس يروونه ، لأنه انسجم مع غيره من الألفاظ وربما ومعنى ، وبعضها الآخر بقي في المسودة . فلننظر فيه فندرك يستحق ما سبباً من العطف والاسماء ... وإن شخصيات وسائر أعمال مسودات كتبها مكتوبة ! إذن نعرفنا حقيقة علامتنا ولدت الخطوط التي تربط بعضها ببعض ! لكنها لا تظهر في المجتمع إلا بمشاعر مصروعة وشخصيات مصروعة ! ومع ذلك فنحن إذا حذفنا علم المسودات المكتوبة فقد نستطيع بعد ذلك أن ندرس المسودات الشفهية عن أحاديث الناس وحركاتهم .

وهيك يا صديقي لا نعد على استيفان هذا وسيره ، فجمع هذه المسودات وانسجمت كما هي دون تعليق مني . فسادت أن ترها كما هي لناخذ لأنفسنا منها ما نحب أو ما نكره إليه ذواتنا . أو على الأقل فانسجمت إلى كل ما نفسه في جميع حالاتها حين حاد في الوصول إلى شيء فترى النفس بين قوتها وضعفها . ونحن في حاد دأبنا إلى إبداء الاسم في فلويت نحو هؤلاء الذين يعانون من هذه الشعراء والكاتب وأصحابهم !

ومن يدرى يا صديقي ! فأنت بتشارك هذه المسودات قد نسجم شيئاً جدياً إلى الشعراء أنفسهم . فلا أظن هؤلاء الشعراء يشكرون مسوداتهم لأنهم تركوها إلى غيرهم . وإنني لحظرتني هنا قصة لأبي تمام . هذا الشاعر الذي طامحاً حذرت منه . فقد وقع به مره بس من الشعر ردى في قصصه كل أمانيها حسن جيد ، فقال له صديقه في ذلك فأحبه : " زال حرف به مني " إن أشعارنا كأولادنا . منهم الذي به ومنهم الضعيف . فألذبت بعجب بديه ولا يخلو قلبه من حب الضعيف ... أرأيت يا صديقي في هذا الشاعر كم من الضعف كيف

لم ينكر البيت ضعيف وقع بين إخوة له أقوياء ؟ لا أدري كيف انشأ هذا البيت الضعيف من مسودة أبي تمام إلى قرطاسه الذي يقض فيه القصيدة . فأنت تعرف أن الخط له دخل في هذا أيضاً . ومن لنا بمسودة أبي تمام تلك فترى ماذا كان يصنع هذا الشاعر المصنّع ، أو لترى على الأقل كيف وثب مثل هذا البيت من مسودته وكان خليقاً أن يظل بها !

لكن أنا تمام كان فيه الشيء الكثير من صفات صاحبنا لا يتعرج من شيء ولا يقف عند حد في شيء ... ولعل نجده في اشعر هذه الوجهة التي اتجهها لم يكن إلا نتيجة سماعته وعدم اكتراثه . بل لم يكن إلا نتيجة سخريته ! نعم سخريته التي جعلته لا يقف عند حد في الاستعارة والمعنى ، وكأنما كان يقول شعره ليسخر من عقول الناس حين يروونه يأبهم بما لم ينتظروا ... من الجديد في ثوب القديم ومن تقديم في ثوب الجديد ، وكيف يجتمع أو تمكن أن يجتمع في كل معنى يحظر بالذهن الضدان . وهكذا كانت سخرية هذا الشاعر وسماعته . مع ذكائه ورأيه . حافظاً له على تجاوز كل مأووف في الشعر لنشبع هذه النزعة في نفسه أو تلك الصفة في فطرته . أليس عجباً أن يختار هذا الشاعر ديوان الحماسة فيجاء هذا الاختيار في الشعر المطبوع وسعره هو سعر مصنوع ! وكان يوماً يختر من أشعار الخليل فنظر إلى ديوان ابن أبي عيينة ورمى به وقال : هذا كله مخار . وسعر من أبي عيينة شعر سهل مطبوع ، حتى يقال إنه يخرج شعره كما يخرج نفسه ! بجم نعل هذه انظاره إذن إن لم تكن هي الأخرى حلقة من حلقة سماعته وسخريته ؟ وكم لهذه السماحة ولست السخرية من مظاهر في حياة هذا الشاعر وفنه !

ولكني لم أرد أن أحدثك عن أبي تمام ، وإنما سأتى إليه هذا الخبر ابدي ذكرته لك . من إثباته شيئاً ضعيفاً في قصيدته كل أبياتها حسن جيد ... ليس لهذه عندي من تفسير إلا أن أرد ذلك إلى هذه الحصلة التي حدثت عنها ... ولو هو أتيح لنا أن نرى مسودة أبي تمام إذن لرأينا كيف عجز هذا الشاعر عن نفسه أولاً ، ثم كيف عجز عن فنه الذي عساه وتحدى به ثانيها . ولابد أنه عجز كثيراً .

الآراء التي تسيرنا

إن هذا العالم الذي نعيش فيه تسيره مجموع مختلف من الآراء ، بعضها يدفعنا إلى الأمام وبعضها الآخر يدفعنا إلى الخلف . الآراء الأولى تعمل لتقدم الانسانية ونعيننا على تحقيق ما نصبو إليه . والآراء الأخرى تقف عتبة في سبيل التقدم ويعوقنا عن تحقيق ما نرعى إليه من أغراض . وقد كتب الفيلسوف الانجليزي المعاصر برتراند رسل بحثين موجزين تعرض في أولهما للآراء التي آذتنا ، وفي ثانيهما للآراء التي عاونتنا . وقد رأيت أن أدم هذين البحثين في مقالين أخص بهما قراء هذه المجلة . وسوف أعرض في هذا المقال للآراء الفاسدة التي تسود العالم وتعوق تقدمه .

إن التكبيلات التي حلب بالانسان خلال العصور التاريخية جميعاً ترجع إلى عاملين أساسيين : أولهما البيئة ، وثانيهما العقائد الخبيثة التي يربها بيننا بعض من يتزعمون قيادته الفكر الانساني . فقد كان الانسان في العصر القديم يقاسى المجاعات بين الحين والآخر من أثر العوامل الطبيعية ، ولكنه اليوم يقاسى الحرمان والجوع بسبب الآراء الفاسدة التي يسير عليها من يتولون الأمر منا . ولا مرء في أن الآراء الفاسدة أقوى أثراً من البيئة في عرقلة التقدم البشري . ويكفي أن نفكر في آل إليه أمرنا بعد الحرب العالمية الأخيرة لنذكر مقدار ما جناه عليها كبار الساسة في العالم . فالانسان كما يقولون - أكبر عدو للانسان ، وآلمر ما نصيبنا من شر مصدره ما في عقل الانسان من غباء وما في نفسه من حب للشر دفين .

إن كثيراً من ميولنا سافل دناء ، وما آلمر ما نضوع من رأى فاسد ومبدأ غير قويم حجباً لستر بها هذه الميول .

فكان يحكم مثلاً على الرنادقة في لشبونة في العصر القديم بالاحراق العلني . وكان يحدث أحياناً أن تخفف هذه العقوبة بخنق المذنب قبل إحراقه

تخفيفاً للآلام التي يعانيتها . فكان هذا التخفيف بسىء إلى الجمهور أشد الاساءة ؛ لأن الآهات والأذات التي كان يصحبها المنصب من فعل للهب تسرى عن المتفرجين وتبعث السرور في نفوسهم . وهذه المنفعة التي كان يجدها الجمهور في تعذيب الآخرين كانت تدفعهم إلى الاعتقاد بأن إحراق الزنادقة أمر مشروع . وكذلك كانت الحال — وما تزال — في الحرب ذاتها ؛ فإن قوماً أشداء متوحشين يستمتعون بالقتال وبخاصة إن كانوا ظافرين غير خاسرين . وهم من أجل هذا يحاولون إغراء مواطنيهم بأن الحرب حق مشروع . وكذلك الربى الذي يرى ضرورة استخدام العصا كثيراً ما يدفعه إلى هذه العقيدة حبه إيقاع الأذى بالأطفال .

ومن اليسير أن نضرب الكثير من الأمثال ثبت بها صدور النظرية التي تقول بأن الآراء التي تسوّغ القسوة مبعثها رغبة في القسوة كاسنة . وأكثر الآراء العتيقة التي تمجها اليوم تسوّغ إيذاء الآخرين . وقد كان «البنج» عند أول اكتشافه واستخدامه يعتبر سراً من السرور ؛ لأنه محاولة لمقاومة الاردة الإلهية التي يقضى بالعذاب والألم ! وكان يظن بالجنون مس من الشيطان ، ولا سبيل إلى إبعاد هذا الشيطان إلا بإيلاء الجنون ، وزعج الشيطان الذي يتلبس به . ومن ثم كان المجانين يعملون بمنتهى القسوة والوحش . وكذلك كان يعامل الأبناء والزوجات والحيوان . ومرد ذلك كما قمنا إلى ما عند الإنسان من رغبة في إيقاع الأذى بالآخرين ، وهو ما يصدق عليه اسم «السادزم» .

ولعل أقوى الآراء أضراراً في تأخر الإنسان هو ما نستطيع أن نسميه بالخرافات الدينية ؛ فقد كانت بعض الأديان القديمة مثلاً تزعم أن التضحية البشرية تعود على الملاحين بمحصول زرعى وافر . وكانت هذه الظاهرة نعل في مبدأ الأمر بفعل السحر ، ثم عبت بعدئذ بأن دماء الضحايا تسر الآلهة الذين كانوا من غير سك على صورة النجوم الذين يعبدونهم . وكذلك جاء في العهد القديم أن الذين يحتم إبادة الشعوب المهزومة إبادة نامة ، وأن إعفاء مائيتهم وأغنائهم من القتل إثم من الآثم . وكان المصريون القدماء يعيسون في رغب ما يتطرح من عذاب وآلام في الحياة الأخرى . وأوجدت المسيحية طائفة من التفسيرين المسميين ممن امنعوا عن الملاد أحسيه

واغتزنوا الناس في لصحاء وحفظوا على أنفسهم الخمر والنبذ وعشره النساء ، وحسوا اللذة الروحية ، أسى من اللذة البدنية . وكان من أمتع ملأذهم الروحية أن يتأسلوا العذاب المزم الذي سوف يتعرض له الكفار والزنادقة في اندار لآخرة . إن من مساوئ الزهد أن الزاهد لا يرى في الملأ ضرراً غير ضرر البدن . ولكننا يجب ألا نغفل عن أن اللذة الروحية البحنة فد يكون أسوأ ملأذ ، كما قد تكون خيرها . ونسوى لذلك مسلا الشيطان في الردوس المفنود للطن ، فان أسى ملأذه أن يندبر م يستطع أن يلحق بالإنسان من أذى ، وفي ذلك يقول سيطان للطن : « يستطع عقل أن يجعل من الجحيم نعيما ومن النعيم جحيم » . وهو في هذا لا يخنف عن الرجل ينعم في جنه بالنظر إلى عذاب الكفار في الجحيم . ومن المؤكد أن احتقار الزهاد للملأ الحسية لم يؤد بهم إلى لشقة والتسامح أو غير ذلك من الفضائل التي يسوق إلى الرغبة فيها عدم الاعتقاد في الخرافة . بل الأمر على نقض ذلك ، فان المرء حينما يعذب نفسه يحس أن من حقه من أجل ذلك أن يعذب الآخرين ويدفعه ذلك إلى قبول أية عقيدة تؤكده له هذا الحق .

ولا يقتصر هذا اللون من القسوة الذي يدفع إليه الزهد على العقائد المسيحية الصارمة التي قلما يعتقها اليوم أحد ، بل لقد أثبت العالم غيرها من طرازها . فقد كان النازيون قبل استيلائهم على السلطة يعيشون عيشة شافة ، مضحين براحتهم ومتعتهم ، متبعين في ذلك مبادئ نيتشه التي تدعو إلى الشظف والتشظف . بل إن النازيين حتى بعد استيلائهم على السلطة كانوا يرددون هذه العبارة : « المدافع قبل الزد » وفي هذا الرأي تضحية بمنعة الحسن في سبيل المنعة الذهنية في النصر المرتقب ، وهي المنعة عنها التي يتعزى بها شيطان ملطن وهو يحرق بنيران الجحيم . وهذا الضرب من التفكير هو بعينه الذي يسيطر على عقول الاستراكيين المتحمسين الذين يرون أن الترف رذيلة ، وأن الجد في العمل هو واجبنا الأول ، وأن انقراض الشامل هو الطريق المؤدى إلى العصر الذهبي . إن الجمع بين الزهد والقسوة لم يخنف مع ضعف العقيدة المسيحية ، وإنما اتخذ له صورا جديدة لانتفى وروح المسيحية ؛ ولا تزال هذه العقلية تسير الكثيرين من عباد الله .

وكذلك يعلم أن الشر لا يندى بالآثم وحده ، ولكنه كبيراً ما يلحق كذلك

بالبريء . ومن أجل ذلك قال الناس فيما مضى : لا بد أن يكون هناك من يعيب الشر للشر . ومن ثم نشأت العقيدة في الشيطان والمشعوذ والساحر . وكانت الساحرة في العصور الوسطى هي المرأة التي تؤذى غيرها لمجرد الحقد وحب الايذاء لا لرغبة في فائدة تجنيها . وقد أعطتنا العقيدة في السحر حتى منتصف القرن السابع عشر متقدماً نطمئن إليه ننفذ منه ميولنا نحو القسوة . وعلى هذا الأساس كانت محاكم التفتيش لا تعاقب الساحرات وحدهن ، ولكنها كانت تعاقب كذلك أولئك الذين لا يؤمنون بالسحر . ولما تقدست العلوم وهدتنا إلى كثير من الأسباب الطبيعية بددت العقيدة في السحر ، ولكنها لم تستطع أن تقضى على المخاوف والاحساس بالقلق التي كانت الدافع إليها ، فانقلبت من خوف السحرة إلى خوف الشعوب الأجنبية .

وانتقل الآن إلى باعة آخر من أقوى البواعث على بث العقائد الفاسدة . ذلك هو الحسد . والتعير يحسد الغنى ويتهمة بشدة الحرص والبخل ، والمرأة تغار من المرأة ، والموظف المتخلف يغار من زميله المتقدم ، ويعزو تقدسه إلى ملقه لا إلى قدره . وقد أدى الحسد إلى نتائج سيئة خضيرة في يتعلق بالقوائد الاقتصادية التي يعود على الأفراد والأُم على السواء . والقصة التالية تمثل لما أقول :

كانت هناك في وقت من الأوقات مدينة متوسط الحجم بها عدد كاف من القصابين والخبازين ومن إليهم . وقد فكر أحد القصابين المبالغين في الجِد والعمل ذات يوم أنه بضائع أرباحه لو أن كل قصاب غيره قد أفلس واحتكر وحده سوف اللحم . فخفض من سعر اللحم وأقبل عليه المسترون ، وبحج فيما كان يصبو إليه ، برغم أن خسائره كادت تستنفد كل ماله من رأس مال ورصيد . وقد صرأت هذه الفكرة عنها خباز مجد وحقق بها ما يريد وأخفى من السوق كل خباز سواه . وحدث مثل ذلك في كل السلع التي كانت تباع في السوق . وكان كل من احتكر صنفاً من الأصناف يسعد بأمل تكوين الروة . بيد أن القصابين المنلسين لم يعودوا لسوء الحظ قادرين على شراء الخبز . وكذلك لم يعد الخبازون المنلسون بقادرين على شراء اللحم ، وقد اضطروا إلى الاستغناء عن عملهم ، واضطرو هؤلاء العمال إلى افحرة إلى بلد آخر . فكانت النتيجة أن القصاب واختار وغرهما من أصحاب الاحكار أصبحوا يبيعون أقل

بما كانوا يفعلون فيها سلف من الأيام . إنهم نسوا أن الرجل قد يضارّ على يدي منافسيه ولكنه ينفع بزبائنه ، وأن الزبائن يتكاثرون كلما ارتفع مستوى العيش العام . لقد جعلهم الحسد يركزون انتباههم في منافسيهم وينسون تمام النسيان مصلحتهم التي تتوقف على الزبائن .

هذه قصة خرافة ، والندية التي تحدثت عنها لم يكن لها وجود . غير أنك لو استبدلت ببلدينه العالم والأفراد الأمم ، كانت لك صورة من السياسة الاقتصادية التي تسير عليها العالم في هذه الأيام . فإن كل أحد تعتقد أن مصلحتها الاقتصادية تتعارض مع مصلح غيرها من الأمم ، وأنها تكسب إذا أفلس غيرها . وكان الانجليز في أيام الحرب العالمية الأولى يقولون : إن التجارة الانجليزية نفيد من كساد التجارة الألمانية ، ويعتقدون أن هذه النتيجة وحدها من خير ثمار النصر . وبالرغم من أن انجلترا في الوقت الحاضر تحب أن تجد لها سوقاً في القارة الأوروبية ، وبالرغم من أن الحياة الاقتصادية في غرب أوروبا تتوقف على فحم منطقة الرهر ، فإن الانجليز لا يسمحون للصناعات لقدمه على فحم الرهر ، بأن تنتج أكثر من جانب يسير مما كانت تنتجه قبل هزيمه الألمان . إن فلسفة الاقتصاد القومي التي تعم العالم بأسره اليوم تقوم على عقيدة فاسدة ، وهي أن المصلحة الاقتصادية للأمة تتعارض مع المصالح الاقتصادية للأمم الأخرى . وهذه العقيدة الفاسدة تولد العداوات والمنافسات الدولية ، فتكون سبباً من أسباب الحرب . وهي بهذه الطريقة تصحح حقيقة ثابتة : لأن تضارب الأمم في مصالحها يصبح أسوأ واقعياً بمجرد نشوب الحرب . ولو أنك حاولت أن تفسر لرجل يشغل مثلاً بصناعة الصلب أن انتعاش الأمم الأخرى قد يكون في مصلحته ما أمكنك إقناعه : لأن الأجانب الذين يعرفهم معرفة جلية ، هم منافسوه في صناعة الصلب وحدهم . أما غيرهم من الأجانب فهم أشباح لا تربطهم به صلة عاطفية من أي نوع .

ذلك هو الأصل النفسي للاقتصاد القومي والحروب والحجاعات المصطنعة وغير ذلك من الشرور التي سوف تقوض مدنيتنا وبأني عليها . اللهم إلا إذا اقتنع الناس بعقائد غير هذه أوسع منها أعمق وأشد منها بعقلا فيما يتعلق بتناول الصلات بينهم .

ومن لأسباب الأخرى التي تولد العقائد لفاسده المؤدده حسب السعال
والمتأخر . ينتشر المراء شوميه ، كما ينخر بعصره ، ويجسده ، وباعينه التي
نفسى إليها ، وبالمدب الذي يعتقه . فما أكثر ما أصاب العلم من احقار
اسول الكبرى للصعري ، ومن النافس بين التجنرا وألانيا ، أو التجر
ورومانيا مثلاً ! وقد أؤذينا من الزهو بالعنصر أكثر مما أؤذينا من الزهو
بالقوميه . فذو البسره المصماء يزدري ذو البسره سوداء وإن يكن
هد الأخير أرق منه عقلاً وأكثر منه تمناً . والاعجبرى يحقر الهندى
مهما تكن ثقافته . والواقع أننا لا يمكن أن نعتقد في نفوق عنصر على آخر
لأى سبب من الأسباب . ولا نؤذو هذه العنصره إلا إذا حزمها السباده
الحريه . فليبايتون كانوا محفرون اجنيس الأنفس عندها كانوا ظافرين في
الحرب ، وهى استجابة للاحتقار الذى كان يحس به الجنس الأبيض إزاء
البانين أيه ضعفهم . ولكن مع ذلك لا نكر أن الزهو العصرى قد لا يكون
به حيله بالعظمه الحريه . فلاغريق كانوا يحفرون ابر بره حتى في العهود
التي كان فيها البرابره يذوقهم في القوة الحريه . واذن المسبزون من
الاغريق يعتقدون أن الروى جائز مادام الرفيق بربري واسيد يونيا . وأما
إذا انقلب الوضع فإن ذلك يكون مضاداً لمصبعه . وكان اليهود في الروم
القديم يعتقدون بنوفهم على غيرهم من العناصر الأخرى . فلما أصبحت
المسيحيه دين الدوله اعتقد المسيحيون أنهم أرقى عنصر من اليهود . ولاسراء
في أن الضرر الذي يلحق بنا من مثل هذه العقائد لاحد به . ويجب أن
تجد التريه إلى إزالتها . ولكن نأسف أن نقرر أنه لا نعمل ذلك ولا نحاوله .
ولا نفسى أن نذكر هنا نظام الضمات في الهند . ذلك النقص الذى تجت
عنه اغزواب المسالمة التي فاسد بها العصر «الرافيه» من أهل اسبال .
وجو نقام لأبقره العقل السليم ، كما لا يقر ماؤزجه ذوو البسره البيضاء
لأنفسهم من نفوق وارثه .

ومن الأمثله العجيبه لمتأخر مايعتقه بعض الناس بين أكثر الناس .
يتقوى مذکور على الآت . وهى غفيمه لا تعرف بها اهتمام المسئوله
اليوم في مدان العرب . وم يكن هناك قم رى مايسو إلى الاسفاد
بالتقوى الصبغى للرجل على المراء شمر فوه عضلاته . وقد رسم الرجل على

ذلك أنه لا بد أن يكون أقوى عقلاً وأقدر على الابتكار وأقل تأثراً بالعواصف من المرأة وغير ذلك . وتحت هذا التأثير قرر علماء التشريع أن ذهن الرجل سيزعج على ذهن المرأة . ولما ظفرت المرأة بحق التصويت تلاشت كل البراهين العلمية على تفوق الرجل ، وأخذ الناس يعتقدون بالمساواة العقلية بين الجنسين .

وهـ كان لسيطرة الرجل على المرأة آثار سيئة ؛ فقد جعلت أشد العلاقات الانسانية إحلاصة - أعني لزواج - علاقته سيئة وبسود بدلا من أن يكون علاقته بين شريكين متساويين . ومن ثم نرى الرجل يغفل في كل امرأه إلا زوجها . وهـ فرضت سيطرة الرجال على الزوجات شيئا من العزلة جعلهن سيئات لا يؤمنن أزواجهن . بل إن اجتماع لهن هذا المؤنس المغامرة . ولا كدنت المرأة التي تريد أن تحتفظ بسرفها كما يري الرجال السرف . ثم لا تسرى ولا تلهم من أرقى الرجال مدينة في أرقى البلدان مدينة أكثر ما يمارسون العادات الجنسية السدده . ولما كدنت الزوجان في أكثر الأحيان غير متكافئين ، فويت عند الرجال سواكه السيطرة وعانى اجتماع من جراء ذلك ما عانى .

هذه الشبهة بين الرجل والنساء وهـ ترمب عليها قد انتهى سهرها في أكثر البلدان المتمدنة ؛ غير أنه لا بد أن يتقضى وقت طويل قبل أن يعلم الرجال والنساء على السواء كيف يكون سؤلهم سكبياً بلائهم الحائذ اجديده . ثم الملاءمة . ومن اشأب أن تحرير المرأة كثيراً ما نعتبه في بادئ الأمر آثار سيئة . وقد بيعت الحق في نفوس الرجال بقدراتهم سيدهم ، كما يجب النساء على المنهج كي يعوض ما سبق من نقص . ولكننا نرجو أن يسوى الزمن هذه المشكله كما فعل في غيرها من المشكلات .

وهذا كضرب آخر من ضروب التفساخر أخذ يخفى في أكثر البلدان . غير أنه ما يزال دائما في روسيا السوفيتية ، وهو سكب كبير طبقة على أخرى . فإن الولد من أبناء طبقة البهل في روسيا يسمع بمزاج لا يسمع بها غيره من أبناء طبقة البرجوازي . والواقع أن قوارق المشقات لم يزل كل الزوال من جميع البلدان . ففي أمريكا مثلاً يعسد الذرد أن ليس فوقه من يعلوه اجتماعا مادد الناس جميعاً سواسية . ولكنك لا تعرف أن ليس هناك من ينحصر

عنه . لأن المساواة بين الفرد ومن يعلوه سادت في أمريكا من عهد حفرسن ، ولم تسد لمساواة بين الفرد ومن ينحط عنه . والحقيقة أن موضوع المساواة بين الناس ينطوى على نفاق عظيم وبشويه كثير من الغموض . واستحيل أن يتلانى التمييز بين الطبقات ما دامت هناك هذه الفوارق الشاسعة بين الأفراد في الثروة . ولا شك أن المساواة الاقتصادية لعمل لسوية بين الطبقات . وأثر الحرب الكبرى في هذا واضح لا يحتاج إلى تنبيه . غير أن ضربا من ضروب النعرة ماقى سائدا عند بعض الانجيز ، إلا أنها نعره مردها إلى الترية ولهجة الكلام ، لا إلى الثروة والمركز الاجتماعي بالمعنى القديم .

والنفاخر بالمذهب ضرب آخر من ضروب العالى . فكثير من الأمريكان يعتقدون أن الصينيين قوم بغير فضائل ؛ لأنهم ملاحدة لا يؤسسون بما يدين به الأمريكيون . وكذلك كان المسيحيون والمسلمون في العصور الوسطى يتباهون بعضهم على بعض بالعقيدة الدينية .

كل هذه وسائل مختلفة يتخذها الناس لارضاء كبرياتهم وشعورهم «بالعظمة» . لأن الانسان لايسعد إلا إذا كان لديه مايسوغ به احترامه لداته . نحن بشر ، فالبشر إذن هم الغرض من الخلقه كلها . ونحن أمريكيون — مثلا — فأمریکا إذن هى بلد الله المختار . ونحن بيض ، فلجنة الله إذن على حام وذريته السود . ونحن كاثوليك أو بروتستانت ، وإذن فغيرنا ممن ليسوا بكاثوليك أو بروتستانت يستحقون غضب الله . ونحن ذكور ، فالنساء إذن ناقصات عقل . أو نحن رجال ، فالرجال إذن وحوش . ونحن شرقيون ، وإذن فأبناء لغرب كلهم جشع وطمع . أو نحن غربيون ، فالشرقيون إذن قوم لارجاء فيهم . ونحن نعمل بأذهاننا ، وإذن فالطبقات المتعلمة هى أرقى الطبقات . أو نحن نعمل بأيدينا ، وإذن فالعمل اليدوى وحده هو الذى يكسب صاحبه الكرامة . وأخيرا — ووقوف هذا كله — أن لكل ما ميزه خاصة هى شخصيته التى يتميز بها من غيره ، وإذن فهو خير عباد الله . بهذه الآراء التى تملا أذهاننا نخرج إلى النضال فى العالم . وبغير هذه الآراء فمد نخوننا شجعنا . وبغيرها — فى الظروف الراهنة — نحس بالخطئة . لأننا لم نتعلم الاحساس بالمساواة . وإذا أحسستنا حقا أننا مساوون لجيراننا لانتميز

منهم ولا نقل عنهم في شيء ، فربما أسست الحية أقل نضالا ، وأصبحنا أقل حاجة إلى هذه الخرافات نخدر بها عقولنا لنسند الشجاعة في الكفاح . ومن العقائد الخداعه الصارة التي يتعرض لها الأفراد كما نعرضها الأمم ، أن تتخيل طائفه من الصوائف نفسها أداءه خاصه لتنفيذ إرادة إلهيه معينه . فبنو إسرائيل كانوا يعمدون عندما غزوا أرض المعاد أنهم إنما ينفذون إرادة السماء . وأهل روما كانوا يحسبون أن الالهة أرادتهم على غزو العالم . وكان كرسويل يؤمن إيمانا صادقا أن العناية الالهية أرادته أداءه عاديه لهزيمة الكاثوليك . وهام أولاء الماركسيون يحملون اليوم سيف الله . وقديس هذه العقائد بسوء القسوه التي لايسوغها عقيدته من أصل دنيوى .

إن العقيدة في رساله سماويه صوره من الصور العديدة لليقين الثابت الذى يتصف به الجنس البشرى . وكثير من الشرور التي يصيب الناس بها بعضهم بعضا ، منشؤها عقيدة يقينية بفكرة خاطئة آمن بها قوم من الناس . إن معرفه الحق أشق مما يظن الكثيرون . ومن أسباب الكوارث الكبرى التي لم بنا أن يؤمن أحدا إيمانا ثابتا لا يتزعزع أن الحق وقف عليه دون غيره . ولذا وجب علينا أن نرتاب فيما يزعمه لنا بعض أصحاب الرأي من أن ابرضا ببعض الشر واجب إن كانت من ورائه فائده مرجوه مرتقبه . وذلك لأن العلم بما يجتبه لنا المستقبل مسحيل . ومن العسير حتى على أحدا ذكاء أن يتكهن بما سوف يعل بنا حتى بعد قتره وجيزه من الزمن . ومن ثم كان السماح لازما علينا في حسابنا الخاصة والعامة . كما أنه حتم علينا ألا نزع لأفئتنا قرد حارقة على فراءه المستقبل . ولقد كنت أستطيع أن أسمي هذا الفصل « الآراء تؤذي » ، لأننا إذا أدركنا أن معرفه المستقبل مسحيله ، وأن الآراء بشأه كثيره ، علمنا أن الرأي الذى تعتنقه قد يرجح فيه الخطأ على الصواب .

إن كل ما تصور حدوثه بعد عشرين أو ثلاثين عاما ، اللهم إلا إن كان سبب من قبيل أن الشمس ستسرى نارا مما لا يوصل بالعلاقات الانسانية . ولرب معترض يقول : كيف إذن يمكن السياسى أن يتدبر الأمر دون أن يكون معرفه المستقبل ممكنه وهو إلى حد ° وأن لا أقول أننا

نجهل المستقبل جهلاً تاماً ، بل إلى لأقول إن بعض الكهين بالمستقبل ضرورية لا بد منها . فمن الكهنة الصادقة أنك إن وصفت شخصاً بالدناءة والسفالة كان جزاؤك منه المقت والكرهية ، وأنت إن وصفت الناس جمعاً بهذا فانهم جمعاً يمتنونك . ولك أن تتكهن بأن المنافسة الدينية تولد سوء العلاقة بين المنافسين . ومن المؤكد أنك لو سلحت أمتين تسليحاً حديثاً وسمحت لهن أن يحشدا الجند على الحدود بينهما ثم ساء الشعور المتبادل بين زعماء الأمتين ، توترت الأعصاب وبادرت إحدى الأمتين بالهجوم خشية أن نسبها الأخرى إلى ذلك . ومن المؤكد أن حرباً كبيرة حديثة لن يرفع مستوى العيش حتى بين القوم الضافرين . مثل هذه القواعد العامة لا يصعب معرفتها ، وإنما يصعب علينا أن نكهن تفصيلاً بالنتائج البعيدة لسياسة مرسومه . فبسمارك — مثلاً — انتصر في ثلاث حروب ووحّد ألمانيا ، فكانت النتيجة البعيدة لهذه السياسة أن ألمانيا منيت بهزيمتين كبيرتين كانتا نديجة أن بسمارك علم الألمان ألا يأبها بمصالح أية أمة غير ألمانيا . فخلق بين الألمان روح عدوان ألب العالم في النهاية على خلفائه .

إننا لا ننكر أن الآراء الاجتماعية التي يمكن أن ننفذ منها كثيراً جداً ، ومن أسستها الإيمان بالحكومة العالمية ، وتحمي الحروب . وبالحل البطالة ، وإزالة أحياء الفقراء القذرة وإقامة غيرها مما تتوافر فيه الشروط الصحية . وما إلى ذلك ، آراء في الإصلاح . غير أننا لا نستطيع تحقيق أغراضنا لسوء نظام الحكم . فالحكومة إما مستبدة متحيزة أو ديمقراطية عاجزة .

فنحن إذن في الوقت الحاضر في حاجة إلى أمرين : أولهما التنظيم والتنظيم السياسي للتخلص من الحروب ، والتنظيم الاقتصادي لتسكين الناس من العمل المنتج وبخاصة في البلاد التي خربتها الحرب ، وتنظيم التعليم حتى نخلف في الجيل الجديد عقيدة ثابتة بضرورة الحكومة العالمية . وثانيهما أن نتخلى بصفات خلقية خاصة — هي تلك الصفات التي نادى بها علماء الأخلاق منذ زمان بعيد ، ولكنها لم تؤت ثمارها بعد . وأهم هذه الصفات حب الخير ، والنسامح ، والتخلص من العصب الذي ندفع إله الآراء السائدة .

وهذان الغرضان — التنظيم والأخلاق — متشابكان متداخلان ، يؤدي

أحدهم إلى الآخر . ومن واجبا أن نرمي إلى الغرضين في آن واحد . فلا مناص من التخلي تدريجياً عن الأخلاق الوضيعة التي تعقب الحروب عادة . ولا بد من زيادة تدريجية في المؤسسات التي بواسطتها يستطيع الانسان أن يتعاون مع أخيه الانسان . ولا بد لنا من أن ندرك عقلاً وخلقاً في آن واحد أنت أسره وحده . وأن سعادة فرع من فروع هذه الأسرة لا يمكن أن يتوقف على تدهور فرع آخر .

إن عموسا الحنيفة تعوقنا عن التفكير السليم ، وتفكيرنا الشائك يشجعنا على التماذي في عموسا الحنيفة . وإني لأرجو أن نبعث القنبلة الذرية الملعة في سموس البشر فترسدهم إلى التفكير السليم وتهديهم إلى السمع . وإن حدث هذا فقد استحق محترعوها منا أطيب الثناء .

محمد محمود

في الأدب التركي

شاعر فيلسوف

ولد رضا توفيق بولاية أدرنة بالروميلي ، وتلقى العلوم الابتدائية والثانوية في مدارس ومدن مختلفة تبعاً لتقلات أبيه الموصف ، حتى تخرج في مدرسته الطب باستانبول ، بعد أن فصل منها ومن غيرها من المدارس عدة مرات لشقاونه وعدم خضوعه للنظام ، وتلاونه كتب ناسق كمال الحماسية وأسعار عبد الحميد ضيا باشا من المعارضين للحكم الاستبدادي ، على زملائه من الصلبة . ثم وضع دبلوم الطب في جيبه — كما قال لنا ذلك — وشرع يدرس الفلسفة ، وقد تعلم من اللغات العربية والفارسية ، والفرنسية ، والانجليزية ، والألمانية ، والاسبانية ، وأجاد معظمها بما له من حسن الاستعداد لتعلم اللغات ووفى ذكائه الحاد ، واشتهر بالفيلسوف .

كان الدكتور رضا توفيق ينشر آراءه النفسية بعدوين جذابة : كعلافة الفن بالعلم ، ومبحث اللسان ، وفلسفة ابن رشد الأندلسي ، وابن خلدون وحكمة التاريخ وغيرها ، في المجلات العلمية والأدبية المعروفة في ذلك الوقت ، ثم نشر المحاضرات التي ألقاها على طلبة الجامعة بعنوان «دروس الفلسفة» وألف قاموساً للفلسفة ظهر منه أجزاء ، ولكنه لم يتمكن من إتمامه لاضطراره إلى ترك وطنه على أثر انتصار الحركة السككية في الأناضول . وقد أظهر لنا أسفه الشديد لبقاء كسبه هذا ناقصاً ، حين قدم إلى القاهرة سنة ١٩٢١ ، وكان معتاداً إليه في «عمدة الفسفي» . ودرس كتب الـ «تجرب» ، وهو رياء الشاعر عبد الحى حامد لزوجته التي توفيت ببيروت ، وكتب عنه مجسداً كبيراً بعنوان «ملاحظات حامد اسديف» وهو خير ما كتب عن ذلك الشاعر ، وكتب مقدمة فلسفية قيمة لترجمة رباعيات عمر الخيام إلى التركية . ولد كور رضا توفيق بيجت عن المجهول ، ويحن كثيراً إلى الماضي . فلا سكاد مخلو منفلومة من شعره من هذا الاحساس ، سواء كانت في موضوع فلسفي ، أو أدبي محض .

هكذا استمر الدكتور رضا توفيقى بالفيلسوف ، وإن لم يكن له مذهب خاص فى الفلسفة ، وقبل هذه السهرة بارتياح . وطرق موضوعات فلسفية مخلتة بأسلوبه الشائق . ولكن فلسفته لم تؤثر فى الشعب التركى ، ولم تنشأ من يقضى أثره لأسباب لعل من بعضها أن الطبقة المثقفة لم تكن قد تهيأت بعد لقول نيت الآراء الخرى وهضمها . فقد كان أساتذة المدارس الدينية وظلتها يرسونه بالحدود فيكرهون الناس فى آرائه . ومن أهم أسباب ذلك أيضاً استغاله بالسياسة ، والسياسة كثيراً ما تجنى على الناس ولا سيما العلماء الاحصائيين . وقد تسط الفيلسوف فى السياسة ، بعد أن رفع عنه ضغط الاسبديد بعلان الدستور . نشاطاً انتهى به ، مع الأسف الشديد ، إلى مغادرة وطنه فى خير وقته ، وحرمان الأمة التركية علمه الغزير الناضج . لم يبلغ الدكتور رضا توفيقى إذن ما طمح إليه كفيلسوف ، أو لم يمكن منه ، ولكن له ميذاتاً آخر نجح فيه نجاحاً حسناً . ذلك أنه شاعر ، وقد بدأ بقرض الشعر بلميذاً فى المدارس الثانوية وظهر فيه نبوغه بسرعة .

كان الشعر التركى القديم على الأوزان العربية التى نقلت إلى الأدب التركى عن طريق الأدب الفارسى ؛ واستمر هذا النوع من الشعر الذى بدأ منذ القرن الرابع عشر الميلادى حتى أواخر القرن التاسع عشر . وكان إلى جانب هذا الشعر الأرستقراطى الذى يمدح به السلاطين والأمراء والوزراء شعر من نوع آخر وهو الشعر الصوفى ، يترنم به رجال الطرף الصوفية فى مجتمعاتهم فى زواياهم مذ تسرب التصوف إلى الشعب التركى ، ويذيعون به آراءهم الصوفية فى الطبقات الشعبية . ولهذا الشعر أوزان وقوالب خاصة . ولكن هذا الشعر كان يعد كلاماً عامياً لا يعتد به ولا يعد من الأدب فى شىء .

ولم أسكن الدستور العثمى ، ونهضت الحركات القومية والأدبية فى العناصر المؤلفة لتلك الدولة ، أخذ كتاب الأتراك «يتركون» اللغة العثمانية بتخلفها مما بها من الكلمات العربية والفارسية ، وأحس الشعراء حاجة إلى أوزان للشعر تنفق ويشت اللغة التركيه التى زادت نسبة الكلمات التركية فيها عما كانت عليه من قبل . ففكروا فى العوده إلى الأوزان التركية المستعمله فى الشعر

الصوفي والسعفي . وكان الشاعر محمد أمين من تلامذة السيد جمال الدين الأفغانى ، على رأس المتأثرين بهذه الحركة . إلا أن الشعراء الذين درجوا على فرض الشعر على نظام القديم لم يجدوا في شعر محمد أمين وسيعه ما يحبه من الله والجidal في أسلوبه من الشعر القديم ؛ فهم موهومون بليلهم إلى هذه الطريقة الجديدة ياخذون بعروض . وفي هذا الوقت انتم بدكتور رضا توفيق إلى صف المجددين وغير الموقف .

كان رضا توفيق يعرض الشعر على أصول المنقسمين وعنده . ولما انضم إلى تجديد درس الشعر الصوفي المسمى شعر التكميل ، دراسة جديدة ، وبسأ يتم قصائد في كل أنواعه وقوائمه . فبعد أن كان الشعراء ينظرون إليه نظرة استخفاف ومحسنة غير صالح لأن شأ فيه قصائد محمود على موضوعات طريفة ظهر في قصائد رضا توفيق أنه صاحب للتعبير عن الاحساسات والشعور كشعر الأرسطوطلى الموروثين بالأوزان بعريه دون أن ينقص منه شئ من اخلال الشعرى . وقد بدأ شعره المؤلف على الأوزان التراثية شعره الأرسطوطلى القديم . من ناحية الجبال وجهل الشعر ، مع سهولة اللغة وصدق التعبير . وفي هذا الوادى وجد الشعر رضا توفيق من يقدره ويفتخى أثره دون نظر إلى مسند السياسى وهو مع نجاحه في هذا الوادى الجديد ، لا ينكر فضل الشعر القديم إذ قال :

« بنى نسب مع رصاً للشعر الأرسطوطلى . ولا ينبغي اسوط إطلاقاً في الحكم على الأسور الخاصة بانفس سواء أكان كلاسيكيا أى وجدانيا Romantique أو رمزياً Symbolique وان أربابه يأبون باللسانح . وقد استلهم عدة العفيدة بالنجارت . هل الوزن وثقوبه يحولان دون فرض الشعر جميل ؟ وإنما يوقف على استعداد الشاعر . لأن شعر يحسح إلى الاستعداد ، والكسبة إلى الفسده . » ومن الممكن فرض جميع أنواع الشعر . لأن سب شخصت محسنة ، ولجانباً القوية صلتحت متنوعة . فمن بطبعى والضرورى أن يكون ما سامان حال متنوعة . ولكن يجب أن يكون شعر القومى الأصلى على الأوزان لتركبه ، ويجب أن يكون هذا الشعر القومى أهم أشعارنا ! »

كان الدكتور رضا توفيق يسر قصائده في اجتلاب الأدبه المعروفة في ذلك العهد ، ثم جمعها في ديوان محم « سراب عمرى » وصعده في مسنده لتقومه بجزيره ودرس سنة ١٩٣٤ ، ثم نشر الأديب كوك أمب آر دين يادن منه

بعض أسعده المبعثرة مع توجة حياة الشاعر ، في استانبول سنة ١٩٣٩ . ومن هذا الكتاب الأخير ننس إلى انقراء تقرأ ، فصبده من شعره بصف فيها باسمه المعروف رجلا فروه ، وقد بلغ من الكبير عسا ، وعلى قصة :

الحال حسن الأكبر

صوّفت في ناحية من بلاد الروملى من أوهى إلى آخره ، واجترب جبلا خلدته وأحراجا كثيفة وسياحا جارية . كان الوقت صيفا . وفي الصباح بلغف فريه حربة في حفره ، مستملا بتقاروها . هى بضعة من الأكواخ سودده الدخان ، على سفح جبل بعدوه الضباب ، مستغرقة في النوء في ظل غابة . فريه صغيره فخره . مسبه من سعف وحصر يحول فيها ليلا دناب تهبط إليها من الغايات . وليت سعري ما الحكمه ! إن في ذلك الجبال وابرارى والبساتين جهلا مبعثرا لا بسام المرء النصر إليه ؛ فالياه سحدر ، والريح متعجب ، ولا تسمع من الجداول تير الأبن والحيب : ساعدها في ظلال أسجار القسطل (أبى فروه) كالمها خدال ، بغرد ابليل على أغصان الشجر اللسه وبرى في حمرة الأزهار الباسمه في الحقول ، وجوه العرائس الوردية ، ذات العيون الزرق .

وإذا تمر مستغرقة في الحمره بشطى مهر رملى ومعاير كبريه الانواء . نسأسر عنك فلا نستطيع فرها ؛ فقد غدت سقائق الغاند السوداء الوحشة ، حمراء فبیه ، كأن يد القدره الاحمه نقشتها بدماء الشهداء . وإذا كان المساء فكان حدادا سلف ذلك الجبال وتغطى الدخان قمم الصخور الجرد الساعده ، وكل شئته نعمه يبدو من بعد كالمها فخره من الدم ، وبحسب ترابه وصخوره موضع غزوة !

يسير اضل مداعبه اغريه وخمض بالأفق ، وتحدث الصخور الوغره الى فوق الجبال ، أصداء في الماء الجارية . وفي كل ليلة ينتر الضلام دررا على المراعى . وإذا كان الصباح سمرت الشمس عن وجهها كالمها ملكت ! سررت بمت استماع كالمها حله ، واهديت إلى طريق ذاعبه إلى الأجران قبلغف فريه ، ولم أكن مستعدا ، بل كنت مرافقا لقلبي من زمن بعيد . ولست أدري فيم فكرت ، ولم استغرقت السفر ؟

كنت قد بلغت مفترق الطرق الأربع ، وذنوب من المسجد . ووفقت
عنية مثلثاً حولي ولحنت سيئاً : شجرة دُلب بأفمه من عصور ، أسفلها شخ
أبيض ناصع البياض ، عليه عمامة خضراء . إنه أمير الكأ على شجرة على
عين ماء ، ونظرته الدائمة المستغنية ، الخالية من الغم والسعور ، تروى لأساطير !
شيخ تركاني مسن ، حديد صدى ! لم يبق له قرين . وإذا كان له في
هذه القرية من قرين ، فهو هذه الشجرة العظيمة البسطة التي يستظل بظلها !
وشمس القرية المشرقة صباحاً تلثم لحيته البيضاء النقية ويداعب . كانت
بسمت الشمس البهجة تسطع على هذا الوجه ، ولكن الزهور لم بعد نسيج
على الجبل العظيم المغطى بالبرد ! فهو ثابت لا يريم ، كأنه جذع شجرة
قد هوت ، ولا يتحاشى عن هذا الشيخ الوديع حتى الطيور .

قدمت قليلاً قليلاً واجترت جدول ماء ، ووصلت إليه بعد خطوات
قليلة دون إحداث ضجة . لحينه ورد التحية . وودعت إليه الدخان فابتهج ،
واسيقنت أنه مسلم . قدحنا الزناد ، وأشعلنا الشبوق ودخنا قليلاً ، وتحدثنا
وتحدثنا الأذكيب . وامتد بيننا السلام من حديث إلى حديث ، وسألني
من أين أنت ؟ فقلت من استانبول .

ووال : «هل السلطان محمود على قيد الحياة ؟» ثم جاش فجاء وقال : « خدمته
خمسة أعوام خمسة عسكرية وأكملت من خبره . ما أعظمه سلطاناً ذلك الأسد
ذا الجلال !... كان يحضر على جواد أسهب فتحمسه نسرًا ، وتميزه في لحظة
بين ألف من الأبطال ! فقد كان وزيره ذو اللحية البيضاء يرتعد أمامه ، ونسير
خلفه فيالقي كاسجر الخضم . ويقول إن سبعة من الملوك بطيعون أمره ! كاتب له
قوة الأولياء ويقال إنه وصل إلى الله . ما أسعد ذلك الأيام وما أسعد عهداً !
كنت شاباً إذ ذاك وجاويش باباه . ولأتممت خمسة أعوام عدت إلى القرية ،
ولم أغادرها مره أخرى . فقد اتخذت مزرعة وأعددت لها ما يدرم من عدد .
وذهب أبنتي إلى الخندية ، ولم يعد سنهم أحد ، ولم يأت نبا أحد منهم حتى
الدم . ثم ماتت الزوجة ! فأنا وحيد منذ زمن بعيد وعبد ضعيف في برائن
الشيخوخة . » كان يتحدث إلى بتك الكلمات وأصغى إليه بعناية تامة . وقد
أحسست أن في نفسي وانبعثت آهه من قلبي .

أترت في قصته تأييراً شديداً ، وأدّن في قلبي الجريح آذان الماضي !...

فبكيت بكاء سادساً واءورفت عيناى بالسوع ، إذ علمت مسكته وعيشه
وحيداً ! ولكن زاد في حب الاستطلاع ، فسأله عن حياته وعن عمره ، باحثاً
مستقباً عن شاهد القبر الحى هذا ! فقال :

«ولدت في هذه القرية ولم يبق لى أولاد ، ولعلى بغب الخامسة والثمانين
وليس لى أحد في هذه السن ! ولم يبق في العين نور ، ولا في الركبتين قوة ولا في
الروح نفس ، أفضى لى ونهارى في هذه السن كالجم . لاندفق في السؤال .
فقد كانت لى أيضاً أيام سعيدة . ويدعونى حسن الأكبر . وإذا قيل الخال
حسن عرفنى نساء القرى السبع وبناتها وأكبرن شأنى . وقد يحضرن لزيارتي
أيام دراس الغلال.»

قلت : «يا عمه ! إني عائد إلى استامبول ، فهل لك أن ترافقني ؟
سأخدمك خدمه الابن لأبيه ، فتفضل ضيفاً على » ، إنك ستخدم عندنا ويعتنى
بك . ففي الصيف يقدم إليك البن الطازج وتوقد النار في الشتاء ، ولعلك
تستجم !»

صار وجه الشيخ ناراً وانقدت جهره عينيه الذابلتين وقال :

«ما هو أملى في هذه الدنيا بعد اليوم ؟ رضى الله عنك وأنا راض عن
قريتي . كم سرور وبهجة رأى قلبى وعيناى في هذا البلد ! وكله كذب وقد
ذهب كما جاء . وما هذه الدنيا الفانية إلا حلم ! ومن جاء إليها ذهب منها .
وقد ارتفعت العافله وتخللت ، وعقد لسائى من الوحدة ، وخرفت من العزلة ؛
فكل موصع بعد الآن فبر لى . فأين ذلك المكان الذى ينجو فيه المرء من
برائن الموت ؟

«انظر ! إني ورف قد اصغر وجف ، وإذا هبت ريح الأجل فهذا المكان
قري ! يكيت من مساوا قبلى لى أموت هنا مستريحاً . فكلم من روح فارقتها
هنا . ولم من مره لبست الحداد !... لقد ضحيت في سبيله بثلاثة من أبنائى
كالضراعم . وفي سبيله بعث المزعة وخربت الدار . ولعله مضى سبعون عاماً
لم أخرج من هذه القرية . ولم أسأم غاياتها ولا طيورها وأثمارها .

«هذا هو أملئى يا بنى : إني أريد الموت هنا ، ماذا أفعل في بلاد
الغربة ؟ أريد أن أدفن هنا !...»

تقاؤل

سأضحك يا سماء فلا تغيمي
 فؤادي جنة حلفت رباها
 منضرة الأزاهر والدوالي
 سمعها أن يام بها خريف
 تبسم للشتاء إذا أحتواها
 إذا انبج الصباح جلا سده
 وإن هبط المساء أسر كنا
 على جنباتها ابسم زهوري
 وفي ضحواتها ائلفت شموسي
 وفوق غصونب انتظمت طيور
 نفي البقضاء عنها نور محب
 فني ظلاتها ائتلفت قلوب
 يراوح طيها الذاكى رفاق

سأضحك يا سماء فلا تغيمي
 تبتد خاطر الدنيا ، وطارت
 فقد يظوى الجمال مع الغيوم
 على قسوماتها ممة الوجوم

وخيَّمت الكأبة واستباحَت
مَشَتْ فيها الأبالسةُ أختيالاً
وعرَّبدت في مآتمها حيارى
لقد قطف الطغاةُ بها جناها
أثاروا نارها ، وسقَّوا لظاها .
وصبَّوا جامَ غضبتهم عليها
زبالِيَّةُ الحُجيم ... وكم نساموا
هَوَّت أبراجهم منها محطاماً
هياكلها لمُضْطَظِّين وخيم
على الأشلاءِ ترقصُ للجحيم
نراءوا في بفاي من جُسوم
ويئسَ خمامُ مُحْصَادِ الهشيم
بمشبوبٍ من الشرِّ الأليم
بمنفجرٍ من الويل الأليم
إلى أعتاب أَملاكِ النجوم
وتاه حطامهم بين الرميم ...!

سأضحك يا سماه فرددي لى
مضى ليلُ الخطوب فلا تُعيدى
ولا تدعى الغيومَ مُجمَّعاتٍ
سأحلمُ بالسلام على رباها
هتفتُ له وراء الليل حتى
وبان على مدار الأفق خيطُ
غنائى يا سماه ، ولا تغيمى !
إلى ذكراك أيام الحُسوم
قد بددتُ من أفقى غيومى
وما ملئى سوى فجرٍ قسم
أحاط الفجرُ بالليل البهيم
يُشارُ به إلى الأملِ الوسيم

ممن لامل الصبرنى

THE SPIRIT OF DENMARK DURING THE OCCUPATION AND THE YEARS OF RECOVERY

HENRY BAERLEIN

الدانيمرك أثناء الاحتلال الألماني وبعده

عند ما تم لهتلر غزو الدانيمرك صدرت الأوامر للجنود الألمان كي يظهروا للناس أفضل ما لديهم من سلوك ؛ إذ كان في عزيم الفوهرر أن تبدو الدانيمرك أمام العالم مثلاً للصير الرائع الذي ينتظر كل دولة تبقى بنفسها في أحضان ألمانيا ، كما كلف أفراد الجيش وجنود فرق الصاعقه بملاطمة الأصفال والاكثار من الظهور معهم في الصور الفوتوغرافية ، كما كان عليهم أن يتسوا إليهم في سخاء قطع الشيكولاتة التي سرقوها من قوتهم . بهذا ظن الألمان أن شعب الدانيمرك سوف يطرح جانباً عداوته للألمان ، وينسى الهجوم الذي شنته ألمانيا على بلادهم سنة ١٨٦٤ دون ما سبب ، ويصفح عن جريمه إغراق عدد من سفنه التجارية في خريف سنة ١٩٣٩ ، وثمانته في حين كان الوزير لدانيمرك في برلين يلقى تأكيداً حاسماً بأن لا خوف على الدول المحايده من ألمانيا النازيه . كان على الجيوش الألمانية في الدانيمرك أن تعامل كل فرد — وبسبب من ذلك اليهود طبعاً — بالاحترام والتقدير الكافين لجعل هذا الشعب النسي يحس بالبهجة تملأ شعب نفسه لدخوله تحت جناح ألمانيا حامية شعوب السهل . بيد أن خطه الصداقه هذه لم تدم طويلاً ؛ إذ لم تصادف هوى في نفوس الدانيمركيين ، فسرعان ما هدمت المصانع التي أرغمت على العمل لصالح الألمان ، ونسفت القطارات المحملة بالجنود الألمان . ولم يستطع الألمان أن يعرفوا السبب الذي من أجله يسه فهمهم إلى هذا الحد ، ولكنهم أعلموا أن المسئول عن ذلك فئه شريرة هم اليهود الدانيمركيون الذين يتمتعون بنفسه وافر من الحرية وقابوا إتهم البد الخفيه وراء كل حوادث السفن والتخريب . قال الوزير لألماني لمدك درسيان مسائلاً : « يخيل لي أن لبس في هذه البلاد مشكلة

يهودية فكيف حدث ذلك؟» أجاب الملك ، وكان يمثل أفراد جنسه خير تمثيل : «السبب هو أنت لانفس حيالهم بالنقص.» وظن الألمان أنه إذا أمكن النخاض من اليهود فسيصح كل شئ على ما يرام . ولكن بعد أن هربوا كلهم تقريباً إلى السويد ساركون في كونهاجن السيدة بكسيير العجز ، وهى أم القصاص السمير الذى وضع حكايات أندرسون الخرافية ، التى لم تستطع الرجل لبلوغها المأث ، لم تستطع حوادث التخريب . وأصبح من عادة أهل كونهاجن أن يقولوا عند كل انفجار : «إصغوا إلى هذا الصوت ، إنها السيدة بكسيير مره أخرى !» وأخيراً أدرك الألمان أن أسويهم الرقيق فى المعاملة أصبح عديم الجدوى وأنه لا مناص من اتباع صرائى أخرى ، فأرسلوا إلى الدانيمرك أوتو سكورنسينى وهو الشخص الذى خص موسيلنى من الأسر ، تمام بتأليف وفرة من الجنود المحاصرين الأساء هدفهم إلقاء الرعب فى قلوب السكان ؛ فكانوا يختارون فخاياهم حين انفى ؛ فذات مره فتكوا بفكتهى عديم الحول وذنبه أن كان يعيش فى شارع به حيث تخلص الوسطون فى اليوم السابق من تمام سمير . وعندما أصلى الرصاص على سائق سياره الوزير الألمانى ، وكان السائق دانيمركيا مارتن ، ألقيت فى اليوم التالى قبله شديده الانفجار على سياره عامه مكنتلة بالركب ، وكانت تحترق لمعقة التى فل فيها السائق السابق الذكر . وعقب خمس حوادث من حوادث الاعتداء على القطر الحربية الألمانيه انفجرت قنابل داخل قطارات الركب المكنتلة بالمسافرين ، أحدها يحمل فوجاً من أطفال المدارس أثناء عودتهم إلى بيوتهم ، وتسبب عن ذلك ضياع أرواح عدة . وأخيراً اضطر أفراد هذه العصاة إلى ترك هذا الأسلوب الجهنمى عند ما وجدوا أن حطام القطر يسد الطريق أمام القطر العسكرية الألمانية يتت الدرجة الناشئة عن حوادث التخريب .

كان لابد لأى فرد لديه أمل فكره عن طبيعة الشعب الدانيمركى أن يتكهن بخذى ساسه التخويف هذه ، حتى عندها فطعوا الماء العذب واسيار الكهروئى والغاز عن مديده كونهاجن وكذا المواد الغذائية فلم ينبج عن مثل هذه الاجراءات الشديده فائده يذكر ؛ إذ هب الدانيمركيون جميعاً مساعده بعضهم بعضاً . وفى نهاية الأمر اضطر الوزير الألمانى إلى الموافقة على ما عرضده ممثلو الشعب من شروط . واستمر الكفاح ضد المبعدين بلا هواده حتى اسلم

الألمان في الخامس من مايو سنة ١٩٤٥ . ومن بين العدم من الأسماء يكتفى أن يذكر هنا مثاليين لهذا الكتاب : فدات مساء وف الف السيد كي فريير ميلر يتحدث أسماء المذبح وكان كاتباً معروفاً انتخب لصفته رئيساً لنادي الفلم ايدانيمرك رئيساً لمؤتمر أنديه الفلم في مدينة زيورخ . كما أنه قام بترجمة سكر من الشعر الانجلى إلى اللغة الدانيمركية - تحدث ذلك الكاتب فذكر بالانجليزية كتب الساعتر لينج وهي : « عدم أها الجدى ابريقى » وم يذكر بقبه البيت : عد إلى مندلاى ، فانهجج الدانيمرك من أقصاه إلى أقصاه . وفي اليوم الذى جاء إلى دار الاذاعة ضابط ألماني في حابه حرق سجد وسأل عن النجيت التى بموهه الكاتب أهي نفسها الكتب المكتوبة على اءورف ؟ وهل أعقب نقطة وف ؟ وعندما علم أن نقطة الوفه هي من عدم السد فريير مع هذا الأخير من الادعه حتى نهاية الحرب . هه مثل للفرقة التى اسمها الدانيمركيون لاسمع أنفسهم على حساب عزيمهم الدين فلقون عنهم في الدكاء . وعندما حسه الأمان في المدان الرئيسية لكوينهاجن عدداً كبيراً من السدياب بقصه لقضاء على روح الشعب المعنوية كان الأطفال الصغار يدرسون من الحسود ذوى السحن الخيمه وهم جالسون في أماكن السده وسألونهم عن ثمن تذكرة الدخول .

عدت الزرع وصناعة اسنن . وهه من الصناعات الأساسية في الدانيمرك . أسماء الاحتلال عشاء سديدا في حين يوقف استيراد الموسفات اللازم للزراع بوقفاً عاماً ، كما ساء حله الأعمام ، وأثر نقص البروبيات بوجه خاص في ماسه الأبقار . ومع ذلك فقد أمل الفلاحون إمام لا سديداً على المساعمة بتصليهم في تخفيف أزمة الغذاء في العالم ، فأبحر سمر عشمه محمد ساطع دون مقابل إلى بلاد ربح ، وهولندا وفرنسا ، وفلسا ، وسيكو سلوفاكيا ، وهولندا ، وبنس ، وهولندا ، كما أرسل مائه ألف من طرود الطعام إلى الجنود الانجلى . من من دول الأوربيه جميعاً من مفرق الدانيمرك في الاعتماد على بحره سوزاء اسجار سوى انجلى ، ويعزى الاربع امطر في مسوى لمعشه الذى بس قبل السلاع بيران الحرب العالمه الثانيه إلى الازداد في استيراد المواد الخام يواريه ازدياد مساوله في تصدير منتجات المزارع والصناع . ومن الثانية واخمين وخمسة سفينه التى كونت أسطول ايدانيمرك انجلى في سنة ١٩٣٩

ضاح مـ لا يقل عن مائتين وأربع وستين سفينة ؛ إذ تجاهل الدائمركيون أوامر هتلر ووضعوها كل سبينة فى أسطولهم التجارى فى خدمة بريطانيا وحلفائها دون اعتبار لما ينتجم عن ذلك من أضرار . ومن الأسماء التى تدخل ارضا إلى السفن أن بريطانيا والولايات المتحدة وما يدفع مبالغ طائلة على سبيل اسعوى عن عن الخسائر التى عانىها الدائمرك ، كما يصرنا أن نسمع من رئيس اتحاد أصحاب السفن الدائمركية أن أسطول الدائمرك أصبح الآن على أهبة الاستعداد لأخذ مكانه بين أساطيل العالم العاملة . ولقد أنزلت إلى البحر سفن حديثة . مثل كرنبرنس فردريك التى أصبحت عروس خط هاروس سيجيرج ، فى حين لم يعد هناك نقص فى عدد المعبر الممتازة التى تسير فى المياه الساحلية لدائمرك . وهى دولة تكون من خمسائة جزيرة . وعموم بعض هذه المعبر بمراتب بحرية تستغرق ساعتين . وقد تكون المعبر الضخمة التى تحمل قفراً ماكبنا عبره الخاضع العظيم هى أفخم ذلك النوع من المعابر فى العالم . بيد أنه لازالت السفن القديمة صراز تعمل ؛ ففى منطقة سلكبيرج الجميلة ذات الأنهار والبحيرات الكبيرة الأشجار بوحدة سفينة من ذوات السوائل المائية يبع عمرها تسعين عاماً ، وقد ذكر بحر أنها اعتادت أن تحمل على ظهرها اثنتى لمرح فردريك السابع مع صديقه هانز أندرسون الذى ظل قمره طويلاً بعد أن نصحه الحرقه . نذكر على أن يكون شيئاً دافئاً ، وسكك دروش وهو شخصه حرته أنشأ فى سلكبيرج مصنعاً لوروش . كما أنه أسس المدينة المعروفة باسمه .

هناك شخص آخر سارى مسكن جراً وإقلاماً ، ويسمى أريكو ستوس دالجس وقد أقيم تذكاره نصب سراج فى مدينته برند الصغيرة الواقعة فى غرب جزيرة جوفند . وفى حديثه صغيره نقسب على صخره هناك جملة نصف والخس بأنه ملك ذات خليج البرى ، صديقه المخلص . وقد ذكر السكبه أيضاً أنه كان يفض سوانديه على استعمال حبراب ولتهم إلى أقصى الحدود . وذلك بعد أن رفض لوطن عقب سكباته حرب التى وقعت عام ١٨٦٤ . هذا الجزء من حريته هو أقل أجزاء الدائمرك خصوبة ، ولطالما قوض نبات الخلدج وفتح الصخور على عمى الملاد بينه من حديد ، على حين عارب أ دوام الرمال سائير رياح الغرب المسطحة فزادت فى سقاء الملاد . وبعد عمل

متواصل وصبر عظيم أزيلت مساحات كبيرة من النبات لبرى وعرسب
الأسجار لصدد الرياح ، وأصبح الآن ما يقرب من الألفين من الأسفل المربعة
أرضاً صالحة للزراعة كما أكانت الدولة المنسروع . وإن ما قام به أهل
جولند الشداد لشبيه بما قامت به الدولة كلها منذ انتهاء الحرب . وعلى ذكر
هذا من السار جدا أن تقرر هنا أن بعض المناصب العليا في الدولة أصبحت
من نصيب أهل هذه المنطقة الوعرة الواقعة في غرب جزيرة جولند . وإن
قصة بعض أولئك الفلاحين الفقراء لتشبه القصص الخرافية ، وهي جديرة بقلم
هانز أندرسون .

والسائح في الدانيمرك يقتصر في العاده على زياره كوبنهاجن ومدينه
إلزينور في جزيرة زيلند ، وأحياناً يقوم برحلة إلى أرينز بقصد زياره المنزل
الذى ولد فيه أندرسون ، وهو مكان غاية في البساطة ويتواضع ؛ إذ كان أبوه
حذاءً وأمه غساله أميه . ويجوار هذا البيت الصغير أقيم متحف أقيم لضم
آثار أندرسون التى تتضمن مرآه صغيره داخل إصار معسى أخضر أرسلها إليه
جنى لند التى كان يهواها ، وقد طلبت منه أن يطبل النقر فيها كي يعرف
مقدار بشاعته . إن جولند لا تتمتع بشهره في عالم الجمال . بيد أن السائح
اللييب لن يترك هذا الجزء دون أن يتجول فيه ، فقد يبحر من نورنج في
قارب لمسافه مائه وستين كيلومتر خلال مناظر خلابة ، ولن تكلف هذه الرحله
أكبر من أربعة فرنكات سويسريه في اليوم الواحد ، كما يكون قد أحسن
الاختيار لو تابع السير إلى ألبرج حيث أحرز مهتمسو تخطيط المدن نصراً
كبيراً إذ بينا أنسأوا عدداً كبيراً من الشوارع الحديثه الجميله احتفظوا
بكثير من الطرقت الباقية من العصر الوسيط ، وهى سديده الضيفى إلى حد
أنك تستضع أن تلمس في الوقت نفسه البيوت القديمه المواجه بعضها لبعض ،
وكانت بعض هذه البيوت خارج حوايط المدينه القديمه ؛ إذ كانت تستغل
بصنع ساعات الكنائس . ولقد صيرتها اليتران المكشوفه التى لم يكن من الميسور
الاستغناء عنها في تلك الأيام جبره غير مرغوب فيها . ولا يزال صنعها الساعات
في ألبرج مستمره إلى يومنا هذا ، خير أن طرائق صنعها قد تغيرت وأصبحت
أبعد على الطمانينه . و «الاذنيهيت» أشهر منتج ألبرج وهو مسروب أبيض
برى المظهر غير أنه شديد المنعول ، وتبلغ نسبة الكحول فيه ٥٥ في المائه ،

وقد بلغ عدد المقطرين المرخص لهم من قبل الحكومة فى الدائمرك مائتين وستين شخصاً كـ يوجد غيرهم غير مرخص لهم . ومن هؤلاء قسيس شهم يعين فى جزيرة لانسوا استاد أن يقدم لسكان منطقته ما كان يدعو به بالدواء الذى لا يمكن الاستغناء عنه ، ولم يكن ليستفيد مالا من هذا العمل . كان كلنه بهذا العمل سديداً إلى درجة أنه اسمر يقوم به حتى بعد أن اعتزل وظيفته وعاد إلى أبرج حب يخضع أكبر مصنع لمنسوب الأكتافيت لاشراف الدويه ورفايها السديده . واستمر هذا القسيس يقوم بصنع مشروبه الخاص ، وكان من غير سك أقل جودة . ولكنه أقل فى التكاليف ، وقد خضع أخيراً لرقاية الحكومة .

لأبرج مكتبه أطفال آية فى الجمال ، وبها مكتب البريد القديم وكذلك بناء أهر وأسود نصفه من الخشب وقد أزيل من مكانه الأصلي وألحق بالمكتبة العامه وهى مجانيه وحاصه بالأسخاص بين العاشره والسادسه عسرة الذين يستطعون أن ينفروا داخل الدار الكتب القصصيه وغير القصصيه ، وهناك مئات من كل نوع ، أو يأخذونها إلى بيوتهم ، ولكن إذا احتفظوا بالكتاب أكبر من أسبوعين فعليهم ان يدفعوا بنسا واحدا لكل ثمانيه أيام إضافية . ولقد أخبرنى السده الجذابة التى تشرف على هذه المكتبه أنه أثناء أمسيات استناء الموبيلة يهرع إلى المكتبة عدد من الأطفال يروى على السبعين على حين لا تزيد المئذعد على الثلاثين ، ومع ذلك فإن القراء الصغار يرضيهم أن يجلسوا على الأرض أو فوق ألييب التدفئه التى تمر حول الناعة الرئيسيه . ومعظم ييوب أبرج من طابق واحد ، وهى على طراز أبييه القرون الوسطى ، وهى تكون من صابن . وسكن جينز بنج أعنى باجر وأكبر بناء السفن فى القرن السادس عشر سبب لنفسه بناء على طراز عصر النهضة ساحماً بقدر ما هو رائع الجمال ، وهو اليوم يضم عيادات العديد من الأطباء ، ولقد كان النهر يجرى بجذاء هذا المنزل ويجداء آخر يخص ان عم بانج ؛ أما الآن فيجرى النهر فى جوف الشارع فى طريقته إلى الميناء المحبور . وفوق بيت ابن النعم تمثال نصفي لامرأه عارية وهو مصنوع من الخشب ؛ ومن المحتمل أن يكون ذلك التمثال زوجة صاحب البناء . وبشكر المرء لأسراب النحل البرى طريقها الرائعة فى حفظ كيانها ؛ إذ عندما أخرجت مند بضع سنواب من تحت غصون

اللبلات وجد أن أجسامها قد اَدَسب كلها بطقه من الشمع . ولقد بلغ رئيس دير ألبرج ، وقد أصبح الآن ملجأ للرجال والنساء ، من بطنه ما يبلغه أسراب لنحل هذه ؛ إذ وجدت في أقباء الدير غرفة صغيرة استعملت سجنًا لراهب من رهبان الدير كن قد أساء التصرف ، ولقد انتزع قلبان من الآجر من الحائط الذى يفصل ما بين الحجرة والمطبخ . لا يقصد توصيل الطعام إلى السجن بل يقصد السماح لرائحة الطعام السهية أن تصل إلى خيسيمه ، ولم يمض وقت طويل حتى أعلن اراغب توبه وعزمه على ألا يركب ذنباً آخر ملتصقاً فقط السماح له بالعودة إلى حظيرة الرهبان .

والدانيمركيون شعب ذكى ، وهم وإن كانوا يستركون مع الألمان فى حدود أرضيه طويله فنههم لا يشبهونهم إلا قليلا . على أنهم يستركون مع الانجليز فى الفكهة الناسئة عن الثقيل من قبة ما يقومون به من أعمال مجيده . ولقد اعند البحارة الدانيمركيون أن يقولوا : «لقد أصبنا بالظوربد ثلاث مرات ، وانفجرت السفينه أربع مرات ولم يحدث لنا شئ» . وذلك أثناء الحرب عند ما كنت أحاول دائماً أن أحصل منهم فى نيوكاسل على قصص مثله . ومن الأشياء التى أعلمها جيداً أن ببلده إبودين هيئة مهمتها اختلاق

القصص للاساءه إلى سمعة أهل أيقوسيا . ومن المحتمل جداً أن سكان مول وكانت قديماً سبه جزيره بعيدة تقع إلى الشرق من جويلند — هم الذين يؤنثون القصص المعروفة لدى كل دانيمركى ، وهى التى تصور عناء سكان مول . إحدى هذه القصص عن فلاح كان يسكو من أن مالك الحزن بكتر من اربيه حقله وكان به حنصه ، فنصحوه بأن يرسل رجلا لآخراجه ، فاعترض على هذا بأن الرجل سوف يضا الفصح نفسه ؛ فأساروا عليه بأن يقوم أربعة رجال آخرون بحمل الرجل على اَدَسفهم ! وأراد ذات يوم بعض سكان مول أن يغرقوا فى البحر لعباناً مائيا فأخذوه فى قارب وساروا به إلى وسط البحر ولكى يعلموا النبعة التى أغرقوا فيها الشعبان ثقبوا ثقباً فى جانب القارب ا

جاء ذكر إسبجرج فى سياتو الحديم ، وهى المباء الكبير الواقع على الجانب الغربى من جويلند . ولم يكن هذا المباء الذى يضم أربعين ألفاً من السكان منذ سبعين عاماً سوى مزرعه صغيره وحيد . وفى الجهة المقابله لاسبجرج تقع جزيره فانو الجميده ويمدح طولها عشرين ميلا . ويقع على طرفيها

المسمى واجبوبي فريدان قد ستمان دحمان بالسنازل الجصده اتى نصفيها خلسى من هراء وصبراء . وفي القرية الشمالية يوجد متحف تمثل إحدى معروضاته المرسحة المنعزلة اتى كانتها البده منذ سبعين عاماً . ولو أن الانسان كان حيا حينئذ وكن بعيد انظر لكان من لبسورته سراء كل ذلك الشريط من الساحل شمن بحس ، ولكان في معدوره أن يبعه الآن ببلغ كبير ! كم من الفرص ينفدها الانسان لأنه لم يولد في اللحظه المنسبه ! وفي الجانب الغربى من فانو يستطيع المرء أن يسوف سيارته في الرمل ميلا بعد ميل بالسرعة التي يريددها . فالرمال منسكه تمم التماسك . وهى بذلك تجعل من اليسور اتمتع بتجربة منعشة للغاية .

ود لا تطلب إسبجرج لب السائح الذى يبحث عن الجمال . ولكن إذا نهض المرء مبكراً وذعب إلى سوق الأسماك التى تعقد في حظيرة كبيرة من السابعة كل صباح ، فمن المؤكد أنه سيرى شيئاً خليفاً أن يرى ، فهناك بضعة مزايدين يأخذون أمكنتهم على حافات صناديق السمك وكذلك يفعل المشترون . وعند ما يبدأ المزايدة يجدر بك ألا تومىء برأسك عند ما يكون الدلال ناظراً إلى ناحيتك . وإلا فستجد نفسك قد استريت كيه كبيره من السمك . ولقد حدث مره في ميناء آخر أن كان منك الدانيمرك السابق كرسيتيان العاشر تتلهى برؤية المزداد ، فأولاً يرأسه مصادفة فأخبر بعد ذلك أنه أصبح مالكا لمائة وأربعين كيلو مريعا من السمك . أما إذا كنت بفضل أن تحصل على السمك بنفسك فهناك عدة أنهار قريبة من إسبجرج حيث يستطيع الانسان أن يصطاد طول اليوم مقابل جعل بسيط .

وإلى الجنوب اشرق من إسبجرج تقع مدينة ريب القديمة ذات الشهره الكبيره ، وهى تشبه متحفاً كبيراً ، فالكثير من منازلها يغرى الرسام برسمها . ولقد جاء ذكر مدينة ريب في القرن التاسع ، وفي القرن العاشر ؛ فقد أخذ تجارها الأغنياء يرسلون سفنهم إلى الأفطار البعيده . أما اليوم فالميناء لا يصلح إلا لسفن اصفيره جدا . وفي ريب وُلد أندرز يوردنج عام ١٦١٩ وكان رئيس تحرير أول جريده دانيمركيه ، وكذا ولد في هذه المدينه الجميلة عدد من أشهر رجال الدانيمرك ، يدعى أحدهم جاكوب ريبز الذى هاجر إلى الولايات المتحدة وأصبح مالكا لجريده كبيره ، وفام هناك بالكثير من

أعمال الخير لكل من وطنه الجديد والقديم . وعند ما اخذ ملوك الدانيمرك كونيهاجن عاصمة لهم كما أصبحت ميناء الدانيمرك الرئيسيه ، اضمحلت صغيرة ريب ، ولكنها لا تزال تضم كاندراثيد رائع وكنيسة تحوى ابداع أروقه أنشأها في الدانيمرك الرهبان الدومينيكان .

وفي الدانيمرك أما كن أخرى عمه يستحق اهتمامنا ، ولس في استطاعت أن تذكر إلا القليل منها . إن كثرة الأسماء التي يجب أن تترى في ذلك القصر الصغير لما يثير الدهش ، مثل ذلك : أى شئ يمكن أن يدع السرور في النفس أكثر من رحلة في جزيرة فن الحسنة حيث يتجه المرء إلى أسنس وطن ويمرر ذلك البطل البحري الشاب الذي حارب سفينة نلسون من سفينة صغيرة الحجم جداً إلى حد أن اضطر نلسون إلى أن يخفى على حافة سفينه كي يتمكن من رؤيتها ، وعند ما بعسى في بيت الليله مع الأمير رئيس مجلس الوصايه الدانيمركي التمس منه أن يرقى ويلمرر لشجاعته ؛ فاحتج الأمير على ذلك قائلاً : « إذا رفت ضابطاً لشجاعته فيفتح على أن أرقى كل ضابط في بحرينا . » ويستطيع المرء من أسنس أن يتجه نحو الشرق ويذهب إلى فابرج ، وهي مدينة تحوى عده منازل من العصور الوسطى معتنى بها جيداً ، وبها متحف للصور أهده أحد السكان خيرين وهو مملوء بآثار الفن الحديث . ومن الأفضل الذهب بوساطة العبدة من فابرج إلى سوبى في جزيرة إيرو حيث توجد قرى أخرى قديمه تنتظر منا لا تعجب بها . وفي هذه الجزيرة بعيس مثال معروف يدعى هومرك وهو الذى يحافظ على آثار الفن هناك ، وهو أيضاً يهتم بالريف المحيط به ، ويمنع إقامة أى مبنى قد يسوء من جمال المواقع البديعة التي تلتقي عندها الأرض والمياه .

أما أولئك الذين يحبون رياضه البخوت فلن يجدوا هوايتهم جزءاً من العالم أفضل من هذه المنصعة الوفعة إلى الجنوب من فن حيث يستمتع المرء أن يبحر إلى ميناء جديد كل يوم ويجد دائماً الترحيب القلبي الحار . أما سنيروج فهي مريج أخاذ من القديم والجديد ، كما أنه من اليسور العبور سريعاً إلى تاسنيج الجميلة ، حيث يوجد فعه فلاديمير سلوت التي التي تبعث الرغبة إلى النفوس . وجمال الطبيعة في هذه الناحية التي تختلط فيها المياه مع الأرض غاية في لقوة وانأثير ، إلى حد أن

لئى إنسان أوى ربه فى الشعور لا يقوى على منع نفسه من قبول الشعر .
والجزر الواقعة على خليج الكاتكات أكثر وعوره من بقية الجزر ،
وواحدة منها ، ودعى انهولت ، استمر مدة خمس سنين ، من سنة ١٨١٠
إلى سنة ١٨١٤ ملكاً للانجليز الذين استولوا عليها . لأن الدانيمركيين
تعاونوا مع نابليون على حين غفوت السويد حلفه لبريطانيا . وكان لابد من بقاء
لمواصلات مفتوحة خلال هذه البحار الضيقة . وقص الآن الأفاصل المتعددة
عن الكابتين موريس الذى نولى حكم الجزيرة أساء الاحتلال البريطانى لها ،
وكان دس الطباع . ولقد استطاع بمعاونة عدد قليل من الخيول أن يجعل
عددًا من السكان محبين لمحبه عربه كبيره من البناء إلى أحد المنازل ،
وبعد أن فرغوا من مهمتهم أراد أن يحميمهم بتقديم شراب الخمر إليهم ، ولكنهم
أجابوه قائدين : « كلا ! نشكرك فاختيول لا نسرب الخمر ! » وذاب سره
أوسكت حركة تمرد على أن تتشر بين رجال الحاكم ، وسمع أحدهم يقول :
« لعنة الله على الحاكم ! » لحكم على الرجل أن يضرب إلى أن صرخ قائلاً :
« حنط الله احاكم ! » ولقد أرت هذه الطريقة فى نفوس الناس كثيراً

هنرى برلين

نقلها عن الانجليزية سامى ناشد

جولة مستطلع

في المسرح

نصلي الآن الدور الاخير في دار الأوبرا الملكية . نحو النصر وحاء
وب مراجعه . وقبل أن أعرض لذلك أحب أن أذكر في هذه باب
في شأن قضية لا تحو من فكاهه . فقد بلغني أن بعضهم يرى رسوم الترو
الأجنبية القاهرة والاسكندرية عبثاً وبكناً في غير نمره ، في حسبه أن ليس
ثقافتنا حاجة إلى الاتصال المباشر بأسباب الرقي الفني ... عجب أن يدعي
أحد هذا المذهب ، وأعجب منه أن نصلي أذن من الآذان إلى هذا اللغو .
عبثاً أنلفت حولي لعل أصيب فرقة من هنا سواء في باب الغناء أم الرقص
أم المسرح نستطيع أن نرضى لنوع ونغزو الروح ونعمر الفكر . فجميعها ،
ماعد فرقة الريحاني إذا سئت - وفيها الفرقة التي ترعها وزاره الشؤون الاجتماعية
في استخفاف أو عجز - لا تعدو مرتبة استلاهي . وليست الشافة التي نبتغيها من
معين الهوى . فخير لأصحاب ذلك اللغو أن يصلحوا أسورهم ويهدبوا طرائفهم
ويكسروا من غلوائهم فيسيروا في طريق الكمال . ومن المستظرف أن سخطهم
على الفرق القادمة يميل بهم عن مشاهدتها . ويلحق بهذا أن يرسج المعهد
العالي لفن التمثيل العربي (ولا أدري كيف يتصف بالعلو وهو على الحال
التي أعرفها) لا يتضمن إقبال الطلبة على ذلك المشاهدة .

على أننا لا يغني عنا شيئاً أن نستقدم الفرق من أوربة ارتجلاً . فقد أنت
السنة أربع فرق إلى دار الأوبرا . اثنتان لتمثيل والثالثة للغناء والرابعة
لرقص . وهن على تفاوت عظيم . فكان إدارة الأوبرا لا ترجع إلى عبار
صحيح في التخير . وهذا أمر يجب أن تصلحه وزارة المعارف ، ولا يكون
الاصلاح إلا بفضل لجنة توجه وترامب ، إذ تضم رجالاً رسخت درايتهم بألوان
الفنون . وسهما يكن من شيء فإن إدارة الأوبرا نسعى ، بقدر ما تتحلى به

من الكمياء ، إلى بقریب الشافة الافرنجية من مداركنا ، وحسبها ذلك .
 أما الفرقة لاطالية لغناء فقد قست فيها قوى في غير هذا المكان . وسليخص
 القول في أنها عدوان على الذوق اسليم ، ولك أن يلصق بها مزايداً ما
 معه هنا في فرقة السنة الماضية (الكاتب المصري ، مجلد ٦ ، عدد ٢٢
 يوليو ١٩٤٧) . وأما الفرقة الفرثسية-الرومية للرقص فقد تحدث عنها لعددین
 مضى الأستاذ حسن محمود وأجد ، ولا يسعى إلا أن أعدها عنواناً لطفاة الفن .
 بقية فرقة التمثيل فرنسی . أما الأولى وصاحبها السيد بوبسكو E. Popesco
 فمنعني أدعس من أعمالها حسن . لأورد الملكية . فليس هذا المكان مكانها .
 ولحق في فرقة بوبسكو في المراتب الدنيا للمسرح البارسی ، ولا ينهل على
 مساهمهم سوى أهل الجوى والتكدة اسوفی ، ومسرحيات هذه الفرقة من سقط
 التأليف . وضاء رجاء ونسائها متخلف عامی ، وبوبسكو نفسها لا تجذب
 سوى المرخضين من السطارة ، وهي لا تسعى إلا على التمثيل الذي سنده
 وخمسة مبريج . فان خصر لها أن تهجم على النساء — وقد هجمت في أدب
 هما فبئس التعبير عبيرها . وما أبقأ فرقة هذه المثلة أن تنحدر من
 مسرح الأوبرة إلى مسرح آخر في انماهره كان بها والله ألبق وألصق .
 ولست بناظر في عملها .

هذا ونساء الله أن نستدرك إدارة الأوبرة ما فرط منها ، فجاءتنا بفرقة
 لويس جوفيه Louis Jouvet . وهنا يحسن الكلام ويطول :
 أخذ المسرح الفرنسي ينفذ عنه غبار التقليد وينسل من جهود الاصطلاح
 في العقد الأخير من القرن الماضي على يد انطوان Antoine الذي حاول أن
 يرد إلى المسرح حرية وإلى الأداء صدقه ، ولكنه أسرف في محاكاة الواقع
 فترج اللوامع واللطائف من التمثيل ورضى أن تكون اللغة مبنذلة والموضوع
 مسفأ وانفكير صلباً . ثم أقبل لوني-بو Lugué-Poe ففطن الفرنسيين أسرار
 المسرح الشمالي . وبعدهما نبغ كويو J. Copeau وكان أديباً كاتباً ، وإليه
 يرجع الفضل في تجديد المسرح الفرنسي منذ سنة ١٩١٣ ، لا المسرح الذي
 ينسب إليه فرقة بوبسكو تلك ، ولكن المسرح الذي ينظم تحت جناحه أسأل
 Jouvet وباقي Baty ودولان Dullin وبيوف Pitoëff ونلاميهم . علم كويو

هؤلاء كيف يفرون من استهريج واللباس ولتكتسب والجهل والحق ، ثم درهم على خدمة الفن لكي يعدوا إليه الروعة والثناء ، مستغنين بالجمهور البليد أو الرذيل ، ثم نفى لهم آفاق التأمل وتصور فأرسلهم إلى تأويل الواقع أو إلى الفرار منه بدلا من نسخه أو نسخه . وهو بهذا يلتقي بأكثر حكمة الفن المسرحي المتأخرين أمثال جورج الايجلزي ومكس لألماني . وجمهم وبغيرهم كأصحاب جوقات الرقص الروسي نأبر . ومجمل انقلاب اليوم أنهم رجعوا بالفن المسرحي إلى الهزة الباطنة .

ومن بين يدي كوني خرج لويس جوفيه الذي سم مصر . والحق إنه دون رفيعه بنى و دولان ودون نرييهما يتتويف القودزي ، في الاخلاص للفن والاستبسال في سبيله . وأذكر أننا كنا نلازم مسارح هؤلاء الثلاثة ، على حين أننا كنا نفضل إلى مسرح جوفيه مرة ثم مرة : كما نقصد إليه إذا أدى مسرحية نفيسة ، فعنده تعرف المؤلف الكبير جيروودو وأنسنا إليه . غير أن جوفيه لم يبورع من نضاب النجاح المبين ، فكان يخرج مسرحيات يمالى فيها ذوق الجمهور الأكبر بدلا من أن يختار ما ينجا ويرفأ أو ما «يجعل المسرح يمشى إلى السركه في الحده الروحانية بأن ينهض من جده وبغير غضاظه بمهمه الثقافية فيؤدى رسالته» على حد قوله في كذب أخرجه سنة ١٩٣٨ عنوانه *Réflexions du comédien* . هذا ، ولم نسمع قط أنه عدنى الضيق الذى عاناه دولان وباقي ويتتويف الذين آثروا الاخفاق الحسى على الاخفاق المعنوى .

ويبدو لك هذا المطلب لنجاح في أكثر المسرحيات التى جاء بها إلنا . وهى سبع ، ثلاث منها في فصل واحد . وهذا مسرده : «مدرسة النساء» *L'École des Femmes* و «دون جوان» *Dom Juan* كلاهما لموليير Molière و «أندين» أو «جنية البحر» *Ondine* . و «أبولون ماساك» *L'Apollon de Mursac* (في فصل واحد) كلاهما لجيروودو Giraudoux . و «ليوم الجنونى» *La Folle Journée* (في فصل واحد) لمازوو É. Mazaud . و «الكوب المسحور» *La Coupe enchantée* (في فصل واحد) للافونتين وسامسيه La Fontaine et Samiيه و «كنوك أو انتصار العلب» *Knock ou le Triomphe de la Médecine* لرومان J. Romains .

وأن أرد هذه المسرحيات إلى أربعة أشرب . في الأول ندخل مسرحيتا مولير ومسرحية لافونتين ، وفي الثاني مسرحية جبرودو ، وفي الثالث مسرحية مازو ، وفي الرابع مسرحية رومان . أنت تعلم رأى في أشرب الأول ، فقد صارحت السنه الماضيه هنا أن فن مولير مهما بعضمه الفرنسيون ويقدموه ليس في المرتبة الأولى إذا خرج إلى المسرح ، لأن المسرح في جوهره يأبى التصنع والبهرجه ولنطق المتصلب والموضوع النقد ! وأطنتي رجعتك إلى كتاب Stendhal في ذلك . على أنك إذا جلست إلى مولير منكها لا منكراً تمتعت بقدر ما تروى المشاهد المنهزة والمواقف المفارقة . وإذا صح ذلك في مسرحية «مدرسة النساء» فلا يصح كله في مسرحية «دون جوان» . فالأولى تدور على حب رجل كهل لفتاه نساءها نظفها ساذجة مخدرة مخلصه ، فدا بها عشق فتى من وراء نافذتها وسخر بالكهل . وأب الثانيه فعلى سى من أخطر ، ولعلها فريده في أدب مولير . والقصه أن «دون جوان» عند مولير ليس إيه في العرف الأدبي ، إذ هو لا يقطع بخلب النساء وغوايتهن بل هو قسى كى الفسق عذبهن عمداً ويلهو بهن قسود . ويزيد على هذا السوء في الحلق بشاعة في العقيدة إذ يتحدى الله ويهدف ويترفع عن التوبة . إن «دون جوان» هذا إبليس ، إنه عدو الله مجسداً . هكذا أخلق مولير بطله فأساءه متصلياً مطرئاً معصياً لا ينفذه إحساس يسرى ولا يلف ضهيره قلب ولا يضرق إلى قلبه نضال ، كما هي الحال عند أبطال سكشير مهما شعوا ومهما غلطوا . وإن استخلصنا فكره مستويه من هذه الفصول الخمسه مع ما فيها من دلائل السرع والتألف والتكلف في الأثره خرجنا بأن «دون جوان» عنوان الحر من القيود الاجتماعيه ، ومشعل الثورة على قوانين الفضله ، لذلك ما طال تمثيل هذه المسرحية أول ما خرجت سنة ١٦٦٥ .

و«الكوب المسجور» لشاعر لافونتين صاحب «الأمثال» المشهور والممثل شاهيليه من نمط «مدرسة النساء» . نرى فيها رجلاً خاتته زوجه فأراد أن يربى إيه بعيداً عن النساء ، ولكن القدر ساء أن يسرق إلى الشاب منه فأحبها وتزوجها . وليس في المسرحية سوى خفة الملهاة .

وأما الضرب الثاني فمسرحية «الدم الجنوني» . وعلى ترجع إلى اندعب «الطبيعي» naturalisme الذى سع في حدود مفتوح هذا القرن ، ومعدن

هذا الأسلوب في التأليف مستعص من جميع الحياه الجارية *tranche de vie* ، الحياه الواضحة لجافه ، ذلك اننى أبرزها زولا Zola انقصاص . و إنما سر هذا الأسلوب محاكاة الواقع المبدؤ واستخراج حقائقه الصغره ، فلا نخل ولا نلصف ولا نسر ولا نغم . وفي وجه هذا الأسلوب الذى بدعده أنطوان فام مذهيب كوبر . وقصه «اليوم الجنون» نديه في البساطه من جهه اعقده والحس والنظ ، ولكن صدقه . وملخصها أن صديقين اجتمع يوما في صاحبه من ضواحي باريس ، بعد فرقة طويلة ، وفي ضمههما أنهما سيعمن بهذا اليوم . ولكن كلا منهما سم الآخر . ولم يولد فيهما مذكر ماضى سوى التوجع ففترقا على حزن دفين .

وأما الضرب الثالث فمسرحية «كولك أو انتصار القلب» ، وهى مبهه تجاوز التهريج ، ولا تخلو من الظرف ، ولكنها تستدعى الضحك من طرف معتده ، مثل الملبس والمنمو (أضع هذا اللفظ إزاء *décor*) وكيف المشين للتصغير والتكشير . ومقصده هذه المسرحية السخرية بأهل القلب مع الانتصار للقلب . فهى تتضمن صراعاً بين طبيب متواضع يمارس حرفته في أمائه وبداجة وطبيب طموح يرد حرفته سبياً لسكسب وهو ينسر فوائده القلب الحديث إذ يفتح الناس بحاجتهم إلى الاستشفاء الموصل .

بقى الضرب الأخير ، وهو الأعلى والأقرب من غاية المسرح . ومادته مسرحيتا جيرودو . وجيرودو هذا من ألمع المؤلفين الفرنسيين في العهد الذى عقب الحرب العالميه الأولى . ولا شك أنه أتى بلون من التصوير جديد . فأسلوبه مستمد من المبهج الحديث في الأدب الذى يغلب الموهوم على المعلوم . والرمز على البيان ، والتجاوز على الحقيقة ، والمستطوف على المطروى . فأنت تشعر بأن عباراته أدنى إلى سرب من البداوات المجنحة ، وبأن الواقع الذى يصفه قد طار من بين يديك بفضل الحس الشعري . فأدبه طاقة من الصفائف والخفائف ، وفيها ما فى اللطائف عامة من الزخرف ، وما فى الخفائف من الاستهانه . فكأنه لا يبالى بما يعرض عليك من أسباب الرويه والاستمتاع . ومسرحيته «جنينة البحر» تدور على تفضيل الحب الفطرى الحيوانى على الحب الانسبى الانسانى : فالأول كامل ساسل ، طهر أمين ، مستبد بالعاسق والمعشوق جميعاً ؛ والثانى على الضد من هذا قليلاً أو كثيراً . فالجنينة عشقت

رس نداس عشما يموت الأئس وسقى عليهم ، فهي لاتعرف المداورة ورائه نعد ، وسبب هذا حانها حسسب ، ثم مات غمًا إذ أدرك أنه ماأحب سوغ حقا . وأما هي فعمود إلى مغروس البحر خائبة لأنها لم تسبح في مهب سب رحل . وهكذا ترى أن القصة من روائع الأساطير ، وأن مغزاها لطيف ، وأن سببها أدهش في باب السخيل . وسكنها دوحى ولا تمنع . وأما المسرحية الثانية «أليون مارساك» فمزعجة فريب من مغزى مك ، ذلك أن المؤلف أراد أن يدل على أن حده سس وثمة على السكب فلا يتجح فيها . لا من نطق ! وأسديبه في هذا أن يبرز لك فده في صدر إقدها إلى الدنيا نال مآربها من الرجل وهي تقول بكل واحد منهم : «أب جهيل» ، فبصدقها وإن كان هرباً أو فبيحا .

لك هي المسرحيات السبع . وقد أدركت أن تلاماً منها في المرتبة العيب من حب جوده سأسف وذقة الرمي أو بعد السى ، وعن : «اليوم الجنوق» و «حنية البحر» و : «أليون مارساك» . وأردف بها «دون جون» لأنها على ما فيها من إسراف ظاهر تطوى موقفاً فلسفياً .

وفي نتي أن لوس جوفيه كان يجعل به أن يجعل اختياره للمسرحيات أوفى بالمستود ، إذ أس نرغب من مشه أن يقبل علنا بآيات الفن . وإذا نحن رخصنا معه في مسرحية « كنوك أو استصار الضب» لأنها من مبتكراته فلا نوافق على تمثيل «مدرسة النساء» ولا «الكوب المسحور» . فهذه نتمه وبك لاندس ولا يؤخر ، وإن كانت مؤننير ، بل إن كانت روى الفرنسيين دون غيرهم . وكان في الممول أن يؤدي جوفيه مسرحيه بلبعده ، بعده الغور ، موفوره السامر ، راخره . لعدى المسعبيه ، جنبه بالمواقف المثره ، مسرحية من صنف «ابساره مؤنن» *L'Annonce faite à Marie* لشاعر الفرنسي كوديل . فقد أدتها فرقه J. Marchat السنة الماضية فذهبتا بها كل مذنب وعرفا كيف تكون الخلالة وليف تكون استنه . واندى يميز كوديل من جبرودو أنه مضع يد يعرض عليك مأخوذ به . وأن أجمله حق فم صفات الجوهر الصافية . ولم لم يعرض جوفيه مسرحية *Électre* لجبرودو ، وهي من محوراته في سنة ١٩٣٧ . وأذكر كيف أولع بها أهل النكر الدفب في باريس . ثم لم لا يؤدي جوفيه أو غيره من الفرنسيين مسرحيه يجلبزه أو رويبه أو سسة

أو إصلية أو إسبانية . فلا يفوت مسرحاً من مسرح باريس عرض آخر من الآثار الأجنبية منذ بدء هذا القرن . وبأطن انتقاد الفرنسيين يبيدها أن يؤدي رجالها مسرحية الشكسبير أو لشيكوف أو لابسن أو ليرنندس أو كامرون ، وهذا جوفيه نفسه . وهو أقل الممثلين عرضاً للمسرحيات الأجنبية ، فد أدّى قبل الحرب الأخيرة — على ما أذكر — مسرحية لجوجل الروسي .

وأما التمثيل في الأجهل فخير من التمثيل الدرفة التي قدمت السنة الماضية . وإذا عُدَّت إلى التمثيل لم تجد في مثَّلات هذه السنة من يقرب أدائها من أداء Michèle Alfa في المأساة Gisèle Casadesus في الليلة ، وقد كنت حدثتك عنهما . وإن كانت Dominique Blanchar التي جاء بها جوفيه على جانب عظيم من الصبا والملاحة والنعومة فلا تزال مفسره إلى الآن : فقد تتردد في اللقاء وقد تسرع في الحوار وقد ملتزم التبره الواحده أو إيسره بعينها . ثم ما استطاعت أن تحرك لأحشاء بقوة في « حنيه البحر » مع تهيؤ الحس بذلك ، كما استطاعت Alfa في « البشارة لمريم » . ولعل Monique Mélinand أبرع من D. Blanchar في التنقل على المسرح ، فهي موافق مستحسنة في « مدرسة النساء » .

وفي الرجال ثلاثة أجادوا . هم جوفيه و Pierre Renoir و Fernand-René . ولأنهم اجتمعوا دون غيرهم في « اليوم الجنوبي » أعمد هذه المسرحية خير المسرحيات من جهة التمثيل : صدق وقصد في تجاوب وتجاور . ولولا الثالث ما استأثنا « دون جوان » ، فقد خفف من وطأه الكايوس لدى اسرق ذلك الحو الشيفاني . ولبناني « درة » على التعبير المزين الوافي ، فكانه مسرح في مسرح إنجليزي . وأما جوفيه فله عيوب ، أظهرها — إلى جانب الصوت الرائب واللقاء المنقطع ناره المنعس أخرى — جفاء فيه وسباعد عن النظارة كأنه يتهاون بهم . وهو في الحى لا يتهاون ، ولكنه فيما بلوح لى — ذو طسعة لا يفسها الحمى الالاده . لذلك لا يأسرك ولا ينعل بوجهك إذا من مأسه نحو جسة البحر ، و « دون جوان » ، ولدت سنهويك ويدعسك إذا أميل على اللهاه ، فهو حفا فارسها ، ألا ترى إبيه في « مدرسة النساء » و « انتصار الضب » مثلاً : في لأولى يأخذ بيدك ويجعلها تجس مواطن

الضعف البشري من غيره وغفلة وغرور ، ناره متضاحكاً وأنت في رثاء وباره بأكبر وأنت في استهزاء . وفي الثانية عمد إلى المبالغة في الاسرار والاحشاش على قدر المبالغة التي تغلب على النص ، فاستأثر الضحك ، وقد أعانه على ذلك عيناه البارزتان وعنقه المستطيل .

في الإخراج : فليس بدا لي أن جوفيه كف «دون جوان» أكثر مما تظني ، فقد أسرف في التتميق إسرافاً نافر جو فصص مولير ، وكذلك أسرف أحياناً في «جنبة البحر» . ولكنه وفق الموفق كله في «مدرسة النساء» : فهذا البستان المضموم في استحباء ما أحلاه إذا انفتح لك سره في رساه . ووفق كذلك في «الكوب المسحور» ، إذ استطاع أن ينشر الطراءة في جو يملأه الحب اعظمآن . وقد أحسن في «اليوم الجنوني» بإطراحه المَنَمَقِ انوقعي اللازم لأسلوب لقصه . فاختصر المنظر اختصاراً مقبولاً . وأما «انصار الطب» و «أبولون مارساك» فليس فيهما ما يستوقف . وإن فانه شيء في جملة الإخراج فست اللصافه المنبثقة في الأجواء الغائمة ، وقد منحت له المرحه في «جنبة البحر» . ولكن جوفيه ليس بشاعر . هو ممثل متكلم comédien بارع .

ذلك حدثني في سأن الفرقة الفرنسية التي جاءتنا هذه السنة . ولعلنا نلقى السنة المقبلة ههنا فيكون موضوع الكلام فرقة لغناء حيد ، وأخرى لرقص كالتي حضرب ، ونالته للمسرح فائقة ؛ على ألا يكون قوام كل منها فن بلد واحد ، فبنا ظمأ إلى الألوان كلها .

بشر فامس

من هنا وهناك

معالم النهضة العربية في العراق

ولذلك لم يكن ليصح اعتبار الأدب العراقي في القرن التاسع عشر، حتى في أجلي مظاهره وأسماها، سوى صفحة من صفحات آداب عصور الانحطاط التي اتسمت بالجمود الملازم للحياة الراكدة الرتيبة.

بدأت طلّات النهضة الأدبية في العراق على أثر إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وكانت قبل ذلك تبتلع تحت طواها الواهنة في الخفاء، تتوجس خيفة من الحكم الجدي الصارم الذي أقام سدا متيعا دون تأسيس المدارس وإصدار الصحف والمطبوعات وجلب الكتب والجرائد من خارج القطر. فلم يكده يعلن عهد الحرية حتى أطلقت الألسنة والأقلام، وأنشئت الجرائد والمجلات، واندفع الشباب النضالي إلى متاهل الثقافة والعلم يرتشف بحميرها. وقد تميزت النهضة الجديدة في تلك الآونة بالتحفز وطلب الإصلاح؛ فكان الناطقون بلسانها من الشعراء - وفي مقدمتهم الزهاوي والرصافي والشببي وغيرهم - يدعون إلى الحرية السياسية والانطلاق من الجمود ويمحون على العلم والتقدم، وذبحت فئة منهم إلى المناداة بتحرير المرأة وتثقيفها. وكانت النهضة الأدبية متينة الصلة بمناخ الثقافة في قاعدة الدولة والخلافة وفي القاهرة والشام؛ فكان الشباب المثقف يقبل على مطالعة الآثار التركية والعربية الجديدة، كما كان الشعراء والأدباء العراقيون ينشرون بنسب قرائعهم في «المقتطف» و«الهلل» و«المقتبس» وسواها من

في العراق نهضة أدبية جديدة لا زالت في طور التكون والاختار، وهي واضحة المعالم، بينة الأهداف، تتجه نحو مجازاة روح العصر والخروج عن الأساليب التقليدية القديمة. تسير هذه النهضة الأدبية قدما بالرغم مما يعترض سبيلها من عراقيل وعقبات، وتزيد قوة ورسوخا كلما تقدم بها الزمن واتسع لها المدى. وهي إذا كانت تستمد وحيها من الثقافة والآداب الغربية المستقاة من المصادر الانكليزية والفرنسية رأسا وعن طريق مصر ولبنان، فإن طابعها العراقي الخاص قد أخذ يبرز ويتضح شيئا فشيئا.

نشأ الأحياء الأدبي في العراق متأخرا، فلم يذر قرنه إلا في مطلع المائة الثمة العشرين، بعد أن ظهرت بوادره في القطرين المصري والليثاني منذ عشرات السنين. ويعزى السبب في ذلك إلى بعد العراق عن الغرب جغرافيا والعزلة الفكرية التي فرضها عليه سادته العثمانيون. لكن هذه البلاد لم تخل في عصر من عصورها من الحركة العلمية والأدبية، وقد ظهر فيها خلال القرن التاسع عشر والحبب التي سبقته بعدد العديد من الشعراء والكتّاب، وكانت حواضرها كعدد ولحن والموص والحلة حافلة بالدارس العلمية والجالس الأدبية. بيد أن ذلك النشاط الأدبي الموقور لم يكن سوى صلة متصلة بالماضي البعيد يحيا بروحه التي عني عليها القدم ويستمد عناصره بالتقليد والترديد والمحاكاة.

والمواضع البالية، والأخذ بالمذاهب الحديثة من واقعية ووجدانية ورمزية . وفي النشر نوى الأقبال متجها إلى القصة والرواية تقديرًا لما للفن القصصي من شأن عظيم في تصوير حياة الشعب وتحليل العواطف البشرية ومعالجة المشاكل الاجتماعية وانفسيد وأداء رسالة النهضة والإصلاح . غير أن هذه النهضة الأدبية لم تستكمل أسسها ، ولا تزال تعوزها قنون كثيرة منها الأدب المسرحي والنقد الأدبي ومساها . إن الأدب العراقي يكافح في مرحلته الحاضرة كفاحًا شديدًا في سبيل البقاء والتغلب على العقبات الكؤود التي تعترض طريقه . وأولى هذه العقبات البؤس الذي يلزم الأديب ، فالأدب لا يمسك رفق صاحبه ، ولا بد للشاعر أو الكاتب من امتنان مهنة أخرى أو ابتذال أدبه والرقا بالفقر والحرمان . والعقبة الثانية فقدان التشجيع وعدم تيسر القومات الصالحة لنمو الأدب من معاهد أدبية ومجلات راقية وما مائل ذلك . والعقبة الثالثة الصعوبات المحيطة بالطبع والنشر من كلفة فادحة وقلة المطابع الجيدة . وفي وسعنا أن نضيف إلى كل ذلك طغيان الصحف والكتب والمطبوعات المصرية ، الرقيع منها والمزبل ، واستئثارها باهتمام الطبقات المثقفة وأشياها في العراق ، حتى جعلت من العراقيين قراء أكثر منهم كتابًا ومؤلفين . لكن تلك العوامل المبطئة للهمم لم تفت في عضد الأدباء العراقيين ولم تقعد بهم عن مواصلة طريقهم الشاقة نحو الغاية القصوى التي يتطلعون إليها ، ألا وهي خلق أدب عراقي حي له مكانته بين الآداب العربية والعالية الحديثة .

المجلات المصرية والسورية . ولم يلبث العراقيون أن أصدروا مجلات راقية كم « لغة العرب » التي حلت محلًا مرموقًا في الأقطار العربية لسمعة وفي « محافل الاستشراق » في العرب .

بعد أن كتب بك المرحبه الأولى لنهضة العراق ، لأدبيته ، ثم نلتها مرحضان أحرار . بدأت المرحلة الثانية في نحو سنة ١٩٢٠ ، فبرزت مع الثورة العراقية التي طالبت بحرية البلاد واستقلالها . تميزت الحركة الجديدة بالوطنية ، فدوت أصوات الشعراء منادية باليقظة والاستقلال ، واندفعت أقلام الكتاب تشجب الاستعمار والانتداب ، ثم اتسع ألقها بعد تأسيس المملكة وتبوء الملك فيصل الأول لعرشها العتيد ، فشملت مختلف مناحي الفكر والحياة . بيد أن السياسة قد طغت على الأدب فسلطته أقوى عناصره وأشطها ، فلم تحض سنوات حتى صدف عن الأدب معظم الشبان الذين أمل لهم في ميذاته المستقبل الزاهر ، ركنوا إلى النيابة أو الوظيفة وملاؤا مناصب الدولة الفتية ضاربين عن رسالة الأدب صفحا . ولا ننسى أن العراق كان مجليا في مضمار السياسة ، فنال استقلاله قبل سورية ولبنان وانضوى إلى عصبة الأمم قبل مصر ، فكانت عوامل تبريذه السياسي هي نفسها علة تقصيره الأدبي . أما المرحلة الثالثة فقد بدأت قبيل الحرب العالمية الثانية ولا تزال في دور النشوء والتكامل . وسماها واضحة في الأصالة والخلوص ؛ فهي نهضة أدبية صرف لا تتصل بالسياسة ولا تستجيب لغير دواعي الأمة التي تريد الإفصاح عن ذاتها . ومن معالمها في الشعر نمذ الأساليب

الجنرال الرهيب

[إن هذا الجندي الجبار - الذي كانت صناعته
سفك الدماء ونهب الأعمار ، كان في أعماقه الرجل
المسلم النبيل.]

يقضوا على ضمايرهم حين ارتدوا ثياب
الجندي وتمنطقوا سيوفهم وغداراتهم ، وهم
حين دعاهم الداعي إلى القتال ، ولم تكن
من خوض الحرب مندوحة تقدموا إلى ساحة
الخطر ومعهم الموت ، وليست لهم من
غاية إلا الدفاع عن الحمى والبقاء على
الشرف والكرامة ، دون أن تغامرهم رغبة
في سفك الدماء أو ميل إلى التخريب
والتدمير .

وقلما تجد في تاريخ عطاء العسكريين
وفي حياتهم الخاصة غير صور البطولة والعزة
والكرامة ، أما قوة الشكيمة وصعوبة
المراس فهي من مقتضيات المهنة وحدها ،
وفي ظني أن أكثر العسكريين الاصلاح إنما
كانت نفوسهم تنطوي على حب الخير
والرحمة والحنان والعدالة ، على ذلك النحو
الذي وصف به النبي أميره سيف الدولة
ابن حمدان :

قسا فالأسد تفزع من قواه
ورق فنحن تفزع أن يذوبا

وهكذا كان نابليون ، المقتري عليه ،
كان في أعماقه الرجل المحب لخير الإنسانية
والوطني الراغب في سلامة الوطن .
كان بناء وإن هدم رغم أنفه ، ومسالمًا
وإن حارب على اضطرار ، كان رجلا
ينشر العلم ويوطد العدالة ويعقق الرق
حيث أسال دم القتوح ، وظل يحارب
زهاء عشرين عاما متمنيا أن تقي بريطانيا

نظر أحدهم في معرض الصور الشخصية
فملكت عليه المشاهدة كل حواسه ،
وامتخفه الطرب ، قصار يسم لهذا الوجه
وجه الفريد ذي موسية ، وينحني أمام هذا
الوجه وجه فيكتور هوجو ، ويرقع قبعته
لما زني ، ويوس الحادي عشر ، ومدام
دي بومبادور . وفيجاة ، اختفت الاشارة
وغاضت الابتسامة ، عندما أصبح أمام
صورة نابليون بونابرت ! فأشاح بوجهه
كن أصابه مس من الشيطان !

ولعل الرجل كان بمسويا تقطعت رقاب
أجداده في استرلتز ، أو ايطاليا دكت
أرض بلاده حوافر الجواد الأبيض ، أو
إسبانيا خضع أسلافه لقاهر أوروبا . حتى
إذا رأى صورة ماردي الحرب طاقت برأسه
ذكريات الدم المراق والاضلاء المتناثرة ،
فلم يتحمل مجرد النظر إلى صورة الجنرال
الرهيب .

ومثل هذا الرجل كثيرون يحكمون على
الأشياء يظواهرها ؛ فرجال العسكرية في
نظرم رجال قساة عتاة ذوو قلوب
متحجرة وعواطف جامدة . وصناعتهم هي
سفك الدماء ونهب الأعمار وتدمير المدائن
 وإهلاك القرى ! ولو أنهم وقفوا النظر
وأنعموا الفكر لبدت أمامهم أعظم القلوب
خلف هاتيك الوجوه الجامدة ، وأرق
العواطف تحت ذلك القناع الوهمي من
لقسوة والرهبة .

إن رجال الحرب لم ينزعوا أفئدتهم ولم

في سنوات الحرب الأربع إلا لإنهاء هذه الحرب .

وكان جورج واشنطن مزارعا مسالما لا يعنيه سوى تنمية زراعته وتنظيم حياته الريفية ، فلما دوى نفي الجهاد انقلب رجل السلم محاربا مغوارا وأصبح جندي أمريكا الأول الذي قاد جنوده مهلهلى الثياب حفاة الأقدام وشاطرم آلام البرد والجوع والألم والويلات . وظل سبع سنوات عجاف قائدا عاما للجيش الأمريكي بغير أجر . فهذا المحارب الباسل ، الذي كانت صناعته القتل والتدمير ، كان في أعماقه الرجل النبيل المسالم .

وعرف عن الاسكندر المقدوني أنه كان محاربا جسورا لا يرهب الموت ولا يخجم عن ارتياد الأهوال ، ولكنه كان رجلا رقيقا مهذبا لا يضرب خصمه بعد المعركة ولا يتشفى من غريمه المتجرد من سلاحه . فلما انتصر على داريوس ملك الفرس عامل الشعب معاملة طيبة ورفض أن يحمل إليه زوجة داريوس ، وقد كان جالها مضرب الأمثال ، بل إنه حرم ذكر اسمها في مجلسه ، وقال : « انتى لم أحارب لتعذيب الناس ، ولكن لتأدية رسالة عيا . » وكان هذا الرجل الذى نكل بالجيوش وقوض الممالك وغزا الدنيا القديمة محبا للعلم والثقافة والحكمة ، وكان يقول : « لو لم أكن الاسكندر لوددت أن أكون ديوجين . »

وعند ما انتصر تيمورلنك — المحارب الهجى — على بايزيد قائد الترك « الملك الصاعقة » أقامه في ضيافة خاصة معرزا مكرما وعامله معاملة الملوك ، فلم تعن قسوته

لى رشداه فتفهم أمنيات ذلك العبقري فى عالم جديد من العلم والنظام والحرية والأخاء . وقد كتب إلى الملك جورج الثالث يقول : « انتى لا أرهب الحرب ، ولكن السلام هو أمنية قلبى . » فلم يرد عليه ملك الانجليز ؛ لأن انجلترا لم ترد منافسا في سبيل سيادتها على سياسة الدول وسيطرتها على أمور الدنيا ، فألبت عليه الحكومات وأضمرت في وجهه الحروب .

ولم يكن نابليون فظا غليظ القلب ، كما صورته الدعاية الغاشمة ، ولكنه كان انسانا برا ومفكرا حصيفا ، يمتلى قلبه بعواطف الحب والأبوة والوفاء . وإنك لتجد في رسائله إلى جوزفين وكتاباتاته عن النسر الصغير وخطبه في جنوده ومذكراته إلى الجمع العلمى واللجنة التشريعية ، ما يفصح عن عواطف نبيلة وأفكار سامية ، إلى نظرات صائبة وعبقرية مواتية .

وقد اتهم المارشال لودندورف بأنه رجل فظيع ، وأنه بعناذه قد جر على ألمانيا البلاء ، فقد كان وحده الذى يرفض التسليم ويحرض على استمرار الحرب ، ويطالب بالقتال إلى النهاية ، إلى الموت ! ولكن قلب لودندورف ما كان يتوق لأمنيات شخصية ؛ فقد حقق أعظم ما يتطلبه الانصاف من أى فرد ويبلغ أعلى الدرجات العسكرية . ولكنه كان أميناً على شؤون أمته التى ألفت بها بين يديه ، حريصاً على استعادة مجدها الذى أخذ ينهار أمام ناظره ، تواقا إلى انتزاع النصر ، ولو كان بين برائن الموت ! أما هوائف قلبه فقد سجلها في مذكراته إذ يقول : « إن حياتى كلها كانت وقفا على خدمة الوطن والامبراطور والجيش ، وما كنت أعمل

الدعاية الأوروبية لقب «أتيلا» شارب الدماء . وقد عرف عن القواد العظام الذين اشتهروا بالعنف والقسوة في حروبهم أنهم كانوا على جانب كبير من روح الفكاهة وعاطفة المرح والدعاية ، وقد روى أن المارشال فوش قائد الحلفاء في الحرب العظمى الأولى زار الولايات المتحدة فندبت وزارة الحرية أحد ضباطها لمرافقته في تجواله فاعتبط الضابط المنوب أيما عجبطة بهذه الفرصة السانحة التي ستتيح له الوقوف على نظرات وآراء القائد العظيم والاستماع إلى كلمات وملاحظات تضاف إلى خوالد الكلم . فلما بلغ قمة عالية بين الصغور والمرتفعات ، أتى المارشال ينظره إلى هوة عميقة تحت أقدامه . واستجمع الضابط أنفاسه وتاهب لتسجيل كلمات المارشال العظيم ، فسمعه يقول :
« يالد من مكان مناسب ليلقي الرء فيه بحماته ! »

ولم تنسه شدته في الحرب عاطفته كإنسان . ولم تستطع شهوة الانتقام أن تنفذ إلى قلب القائد الرهيب الذي قيل عنه إنه كان أفاقا همجيا ، كما تحكمت في كثير من رجال السياسة وأقطاب الدول في أيامنا هذه !

وكان إبراهيم باشا شديدا في تصرفاته الحربية ، كثير التدقيق في سير الأمور حسب الخطة الموضوعة ، فكان لا يرحم المخطئ ولا يعفو عن المسيء ، وعزى إليه أنه كان يهوى بالسيف على من يتراجع من عساكره أو يسلم أثناء احتدام القتال ، وبذلك أقتذ النصر من الهاوية في أكثر من معركة .

وقد روى المؤرخ لين بول أن إبراهيم باشا كانا شجاعا وحييا بين العريكة . غير أنه كان مقاتلا ذا بأس شديد أثناء حصاره لمدينة سولونجي ببلاد اليونان ، حتى أطلقت عليه

السيد فرج

بين شروق الشمس وغروبها

[حياة فنان خلد بريشته جمال المرأة وأنوثتها ،
لحظته المرأة وسحقته بغدرها وخيانتها !]

وفي هذا الرسم تعلم جروز مبادئ الرسم ، وسرعان ما نبغ في فنه ، حتى استطاع أن يلت إلى الأنظار . وايتسم الحظ لكرولدن ، فعهد إليه بعض أغنياء الريف بتصوير لساتهم وبناتهم ، ولم يفت جروز أن يرافق أستاذه ، ويتنقل معه من ريف إلى ريف ، ومن قرية إلى قرية .
ولقد وجد الفتى في هذه الرحلات متعة

في عام ١٧٢٥ ولد أشهر فنان فرنسي عرقه القرن الثامن عشر . وكان هذا الفنان هو جين باتيست جروز Greuze الذي اشتهر فنه ، وذاع صيته ، وتميز من غيره بتصوير الأطفال ، وإظهار جمال الطفولة ، في الوجوه الناعمة ، والأجساد النضة . التحق جروز الفنان الصغير بمدرسة من الراسم البسيطة لرسام يدعى كرونلن .

المقدس لأطفاله « هذه الصورة التي تنافس لشراتها أغنياء باريس حتى ظفر بها أحدهم وهو من هواة جمع التحف النادرة .

وأقبل عام ١٧٥٥ فسكن جروز في إيطاليا ، وقد ذاع صيته ، واشتهر أمره بتلك الصور اللطيفة التي كان يرسمها للفتيات الايطاليات الناعمات .

ورمى القدر بين يديه الأميرة لوتيسيا الأيمنة الجميلة للدوقة دلتور العضوة في مجلس النبلاء الروماني ، وراح يعلمها الرسم ، وهو يعاني في حبها وصدودها . ولما صار لا يحتمل ضغط الحب المكتوم في قلبه أخذ يقلل من زيارتها لعله ينساها وينسى حبها . وخشى أن يندفع في حبه ، فيسوقه هذا الحب إلى ما لا يرغب فيه ، وايطاليا في القرن الثامن عشر لم تكن بالبلاد التي ترعى الحب والحسين . فترك إيطاليا ، وعاد إلى باريس عام ١٧٥٧ .

وعلى الضفة اليمنى من السين ، كانت تقوم مكتبة كبيرة ، يديرها رجل يدعى بابوق والظاهر أن هذه المكتبة كانت تتمتع بشهرة عريضة ؛ إذ أن المؤرخ الفرنسي الشهير ديدرو كان يتردد عليها بكثرة ، ويستعين بكتبها .

ولم تكن شهرة هذه المكتبة هي التي جذبت جروز إليها ، وإنما جذبت ابنة صاحب المكتبة ، فتاة لها في الجمال والأنوثة ، ما كان ينشد لها كبروز لوحيه وإلهامه .

وخلد جروز آن جابريل ألف مرة على الكتان الأبيض ؛ فقد صورها أكثر مما صور رومني الليدي هاملتون ، ولم تكن الليدي هاملتون بما تملك من شعر ذهبي وجمال ساحر لتفوق آن جابريل ، أو فتاة جروز كما سميت من بعد في الجمال والسحر والأنوثة .

وغابت الشمس ذات مساء فسمع جروز في شفتي معبودته السؤال الذي لم يكن

واره ، فضاعف جهده ، وأقبل على بمادجه بصورها بساد ودقة ، يبرز معالمها ، ويبرز بحسها ، ويجتهد في أداء عمله حسب أصول الفن ، حتى كسب ثقة أستاذه وإعجاب أصدقائه . وقد بلغ من إتقانه لرسومه أنه كان يبرز للعين نسيج الثياب ، كما كان يظهر جمال الحشاء التي ترسبها .

وانتقل إلى باريس وهو واثق من نفسه ومن فنه ، معنى بمظهره كل العناية .

لم تكن طريقته في باريس مبهدة مستوية يشقها من غير عناء وصعوبة . وسرعان ما استكشف أن باريس المرحمة ، العابثة ، اللاهية ، لم تكن على شيء من الرأفة به والعطف عليه ، وأنه لم يكن يعرف من أهل باريس من يكون عوناً له على هذه المدينة الظالمة . كما لم يكن يحمل في يده بطاقة من البطاقات التي تسهل الأمور . والتحق بالأكاديمية ، وراح يحضر دروس الرسم بانتظام . ولشد ما كان يكره النقد الباطل في خصوصه وحاسديه . وحدث ذات مرة ، أن انتقد رسومه أحد مدرسيه ، فرد عليه جروز بخشونة واعتداد : « سيدي ، أنك تمنى لو استطعت أن ترسم مثل هذا الرسم ! »

وخرج وهو ثائر كالبركان ، ودخل على مدير الأكاديمية يشكو إليه الأسناذ الفضولي . فلما قابله المدير ، أثنى على رسومه ، وأظهر إعجابه بفنه ، فبدت على شفتيه ابتسامة الارتياح وعلت وجهه أمارات النشوة ، فاتهز جروز الفرصة وسأل مديره أن يسمح له بتصويره ، فأجابه إلى طلبه مسروراً ، فأجاد جروز في رسمه وأبدع غاية الإبداع .

ونقطة التحول في حياة هذا الفنان ظهرت يوم رسم صورة « رب الأسرة يقرأ الكتاب

يتوقعه : « جروز ... أتزوجني إذا رضيت بك زوجا لي ؟ »

ولم يكن باستطاعة العاشق المتم أن يقول لمعبودته « لا » . وفي اليوم التالي اشترت لنفسها زوجين من الأقراط الماسية المزيفة ، وراحت تقول لمن يسألها عنهما إنها هدية الخطبة من جروز الذي ستنزوجه .

ودامت الخطبة سنتين ، راح جروز يعمل فيها ليل نهار ، ليوفر معدات الزفاف ، وشغل بعمله شغلا عظيما ، فلم يكن له في الوقت ما يتسع لعرفة أخلاق خطيبته التي بدأت تظهر عندها علامات السعة مما لم يستطع جروز أن يفهمه !

وجروز لم يعرف حقيقة حبيبته قط ، وما كان يعرف منها إلا جلال وجهها الطاغى ، وجسدها الذي يهوى بالفتنة . وكانا يتطلعان إلى يوم الزفاف بصبر نافذ ، وفتنة عظيمة ، وقبل موعد الزفاف بأشهر أعلنت أن أنها زوجة جروز !

وابتدأ الزوجان يدبران عشهما الصغير ، وليس لهما إلا دنانير معدودة .

كانا سعيدين بجهما . أحب جروز زوجته كل الحب ، وأحب أن يصورها في كل وضع ، وهي بدورها أخذت بحبه وإخلاصه وفنه . وكانت هذه الفترة في حياة هذا الفنان ، هي الفترة التي قدم فيها جروز للعالم الروس اللطيفة للفتيات الشابات الفاتنات . وذاعت شهرته في الأوساط الباريسية ، وشغل عن الناس بالكوف على التصوير ، فكان يعرض في صالونه أكثر من عشرة رسوم مرة واحدة .

كان جروز قليل الاهتمام بالمسائل المالية ، فآخذت زوجته على عاتقها الاهتمام بهذه

التاحية ، حتى إنها صارت تعين أثمان الصور التي كان يرسمها . وطمعت بما يتدفق بين يديها من مال ، فأسرفت في الاتفاق على نفسها . وكان الأثرياء يزورونها ويتملقونها ، فراحت تنفق بسخاء على زينتها وثيابها ، ونزلت ميدان المقامرة ، فكانت تزور في حسابات زوجها لتسد خسارتها الفادحة .

ومع ذلك فقد كان جروز يحبها ويعبدها . وذاعت فضائلها في المدينة ، وأخذ الناس يتناقلون قصصها المخزية . وكان جروز ذات مساء جالسا في داره ، يستعرض ذكريات الماضي ... ماضى حبه لزوجه ، وماضى جلالها الذي سحره ، فرأى شابا صغيرا على وشك أن يندلف إلى مخدع زوجته ، فأمره بالانسحاب ، ولكن الزائر المعجب بنفسه ويشابهه رفض أن ينسحب وهدد الزوج المسلم بوقاحة ، وانجبت المعركة عن انسحاب الزوج وانتصار العشيق !

وصمت وسكون طلب الطلاق ، فتم له . ولكنه لم ينس آلامه ، وعذابه النفسي ، فرسم صورة الابريق المكسور ، فكانت في هذه الصورة مأساة حياته مجسمة .

وعلى الرغم من خيانتها وغدرها ، فانه لم يحفظ لها في قلبه إلا براءتها وطيورها وحجها ، وقد وضع إبريقا مكسورا يحاطا بقيد متين للدلالة على سقوطها وسوء حظه .

وقضى أيامه الباقية مع ابنتيه ، يحلم بالماضى ، ويصور حيواته بما فيها من حب وغدر وعذاب . وفي عام ١٨٠٥ غابت الشمس فودع جروز العالم إلى الأبد .

ولما سمع نابليون بوفاته ، قال معلنا : لم لم يخبرني عن بؤسه وشقائه ! إذن لكنت أملا ! إبريقه المكسور ذهباً وفضة .

شهرية الفن

A PROPOS DE L'EXPOSITION SAAD EL KHADEM

HENRI EL KAYEM

على ذكر معرض سعد الخادم

فأثار ناجي لا تنهل البتة من معين الروح الشرق . إنها لوحات رجل مشفق ، تطغى عليها الذكريات الفكرية أكثر من العاطفية . وإن صور ناجي ليكن أن تحمل اسم أى مصور أوروبى ، وذلك هو أخطر ما يؤخذ على هذا العمل الفنى الذى يعتبر فيما عدا هذا ، من الآثار السادرة . أما سعد الخادم فمن تسبيح مختلف عن السابقين . رسمه يمتاز بما فيه من قصد بين (وهو تلميذ أوزنفان Ozenfant ولم ينس شيئا من دروس أستاذه) ، وقد بدأ عمله التصويرى بلوحته : حمام تركى . وفيها يستوحى محمود سعيد ، ولكنها تشمل فى بعض أجزائها - مثل الاريكة - شيئا مما سينشده المصور فيما بعد . فالشرق بكليته موجود فى هذه اللوحة الفنية الثقيلة التى تخاطب الحواس . ذلك لأنه إذا كان هناك شرق تسوده أضواء أغسطس ، شرق صحراوي الطرق ، صافى السماء ، فهناك أيضا إلى جانب ذلك ، الشرق الملى بالحداد ، والغرف المظلمة ، والطنافس الحمراء . وفى لوحته : حنين - وهى تمثل شاية

حين دعتنا جماعة الصداقة الفرنسية بالاسكندرية إلى ذاك المعرض ، رست بهذا إلى أن تدعونا إلى النظر فى الآثار الماضية ، لهذا المصور الشاب . فما أتمره من عمل ! إنه يبشرنا بمعارض لمصورين مصريين آخرين . وهكذا يستطيع الجمهور المهتم بالفن أن يكون لنفسه رأيا عن المهوم الفنية ، للمدرسة الحديثة . منذ عشرين عاما والتصوير المصرى يسير مع محمود سعيد متبعا فى حقول النهضة الشاسعة وبرزوا طابعه الأصيل فى عدة لوحات يبدو فيها الشعور البدائى فى قالب مأخوذ عن كبار أساتذة الفن . ولم يكن متاص من ذلك . وما لاشك فيه أن بين تلك الآثار الفنية لوحات رائعة : الدعوة إلى الرحيل ، صورة فوستا ترى ، بعض صور لناديه ، وهى لحظات هامة فى تاريخ النهضة التصويرية بمصر . وفى الوقت عينه كان ناجي يحاول الوصول إلى مرتبة جوجان ويحاول اتخاذ المذهب الانطباعى ، وبذلك انطوت صفحة أخرى فى الفن المصرى . وهذه المحاولة الثانية لادماج الفن المصرى فى الفن الأوروبى ، كانت أقل نجاحا .

يسير إلى نوع من الانسجام المعتدل كما ترى في لوحته : رصيف بحيرة الفيوم (وهي لوحة ما كان ماركيه يبد غضاضة في أن يذيلها باسمه) . وإذا كانت هذه اللوحة شديدة التلوين ، فلا عجب لأن الشمس تشرف على توزيع هذه الألوان الصارخة . وفي اللوحة : الفنان في الرسم ، يحمل الخادم رؤياه إلى عالم داخلي وينجح في هذه اللوحة نجاحا باهرا ، (وربما كانت هذه اللوحة خير ما أنتجه التصوير المصري في بضع السنوات الأخيرة) . وإذا كان الفنان يصل إلى تأدية الغموض بفضل حذقه في استخدام الانبساط والظلام ، فإن سعد الخادم يقدم هنا غموضا من نوع جديد ؛ ذلك لأن إشرافه لا يكشف قط عن سره . وربما أمكن تفسير روعة هذا الأثر الفني بالتقاء عنصرين متضادين : الضوء والغموض .

وفي الأيام الأخيرة ، أخذت عبقرية سعد الخادم تسير نحو ضروب من الانسجام أكثر رقة ودقة . وهكذا تلتقي مرة ثانية في الديوان الأصفر ، بشئ مما أثار متعتنا في حنين ، ولكننا نجد فيها فضلا عن ذلك ، حدة في علم الرسم ، وشيئا من النضج في الشعور . مضت أربع سنوات ، وزادت خبرة الفنان ، بيد أنه ما برح يذكر ماضيه ؛ فهو يتحدثنا الحديث نفسه ، ولكن في قوة أعظم وعاطفة أعنف . والديوان الأصفر آخر لوحاته تقع على السفح الشاسخ لآثاره .

ولقد أتى وقت أضل فيه الجمهور نوع من النقش اتخذ المبالغة الزائدة كما يتخذ البعض الكلمات اللاذعة الضخمة للتعبير عن آراء تافهة ، أتى على ذلك الجمهور وقت أراد فيه أن يخفي جهله الفني فاتهم المدرسة الحديثة في النقش بقصرها في فن الرسم .

زنجية تعلم ببلدها مثل ذلك الطائر الذي يقف فوق قفصه ويتكلم عن الحرية - يعزف سعد الخادم عن ركن الألوان ، ويتبدع لنفسه خطة ، ويهيئ لنا بذلك عملا فنيا مفعما شعرا وحلاوة ، عملا لا يشبه أي شئ مما ألفنا رؤيته . فما سر ذلك النجاح ؟ في رأي أن طبيعة بسيطة كطبيعة الخادم تؤتي أعظم الثمرات حين تتاح لها الصنعة الفنية .

ولم يعرض علينا سعد الخادم شيئا آخر من عمله في الفترة التي أنتج فيها : حنين ، وهام تركي (عام ١٩٤٣) . وحلت اللوحات التي بيعت في مختلف المعارض سرها معها . ولم يبق منها إلا منظر لمقابر العباسية ، تلك اللوحة التي تغمونا في شقوق أرض تولد فيها الأماسة - لا من الموضوع - وإنما من شقوق تلك المادة التي تسيل منها الدماء في عدة أماكن كأنها جسم ضخم ضحي به . وحين تؤدي شدة الانفعال باللون لحسب لا يعون رسم دقيق أو موضوع قوى فعدت لنستطيع القول إن الفنان قد نجح في لوحته ، وإن تعبيرها جديدا قد خلق .

ومنذ سنة ١٩٤٤ أخذ الخادم يسلك نهجا آخر . فهو يهتم إلى أقصى حد بالمنظر وضوئه ويقصده ذلك الضوء . فهو تارة ضوء يحاكى الفسفور يبدو وكأنه ينبعث من تلك المنازل (مدينة القاهرة) ، أو من تلك القوارب (فيضان في المعادي) ، وتارة أخرى يبرز ذلك التعارض بين الظل والضوء ويعمل جهد استطاعته لتأدية ذلك التعارض في وضوح كما يبدو في لوحاته : البيت الأحمر ، الأرجوحة ، البستان الصغير ، البستان ، سيدي بشر ؛ فهي كلها من ذلك النوع . كما أن نظرته تقتصر أحيانا على النقاط خطوط المنظر الطبيعي ، وهو عندئذ

وذلك مأخذ لا يستطيع أحد أن يأخذه على الخادم . فالامتلاء على عكا ، وصور الطبعة الميتة بالقلم الرصاص ، *natures mortes au crayon* هي بمثابة الأساس لعبقرية ما برحت تبهر عقولنا . وبفضل الخادم الذي استوحى مبتكراته من اتصاله اليومي برسم الأطفال (١) وهو الفن الشعبي الوحيد الذي بقي لمصر (ويجدر

أيضا أن تذكر هنا اسم الأستاذ عفيفى الذى كان أثره عظيما فى هذه المادة) ، أقول بفضل استطاع النقش المصرى أن يتصل بالنقش الفرنسى المعاصر . وإذا لم يكن بد من أن يكون المرء نبيا ليستأهل النقاش ، فإني أقول إن الجيل الحديث سيطرق السبيل التى رسمها لنفسه لا تلك التى اختارها أسلافه : « لقد اخترت النور » .

هنرى التميم

نقلها عن الفرنسية مصطفى كامل فوده

(١) كان فى مصر قديما معنى فن ما رتب ضادف بقاياه فى بعض المنسوجات . وما لنلمس حول المل الطبعي لشعب وادى امين امادى إلى حب الألوان وإلى سرد أقصيص ملونة . ولترجع إلى رسوم الأطفال .

والنمل إذن هو الخيط - دون وعى - على تقاليد الاسلاف . وما تستقطه عيناه هو الخياط عسرات الاجيال الذى انقطع فى دمه ، وليس من العسير الكشف عن ذلك . والمدهش أن ذلك الغوص فى نفس الطفل لم يكن بلا جدوى . فالطفل المصرى جهاز مسجل حساس إلى أقصى حد ، إنه مخلوق منح خيالا حلوا وهو يعد فى الرسم وفى اللون وسيلة للتعبير تفضل اللسان الذى تبقى أسمراره مستغلقة عليه وقتا طويلا . وما ينقصه ليصير فنانا حقيقيا هو دراسة الصنعة الفنية ، واقتضاه إلى بيئة تتقبله فى وسطها وتسمح له بتأليفه . لقد مات الفن فى مصر منذ ثلاثمائة عام لاعدام ضربه .

شهرية السياسة الدولية

تقاطع الكتلتين

يستند إلى أن معاهدة الصلح قد أقرت نصوبها مؤتمر ضم إحدى وعشرين دولة فلا يجوز تعديل حكم من أحكام هذه النصوص بإرادة تصدر عن الثلاث أو الأربع الدول العظمى وحدهن ، بل يجب الرجوع في شأنه إلى كل تلك الدول الاحدى والعشرين جميعا .

وفي لجنة المستعمرات الايطالية بينما يلوح الاتجاه عن بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا إلى توزيع هذه المستعمرات ولا سيما ليبيا بين إنجلترا عن طريق استقلال برقة وربطها بمعاهدة منوسية بيقينة ، وفرنسا عن طريق تعديل حدودها الغربية بحيث تضم فزان إلى تونس أو إلى الجزائر أو إلى أفريقيا الاستوائية ، وإيطاليا عن طريق انتقامها للوصاية على طرابلس ، إذا بالمشدوب السوفيتي في تلك اللجنة يفادها إلى موسكو ليتلقى تعليمات قد تتناقض مع ذلك الاتجاه اللائح .

وبالنسبة لفلسطين تميل تلك الدول الثلاث إلى عدم مسيطرة فكرة التقسيم وإلى الأخذ بفكرة الوصاية ، على أن تكون آيلة إليهن بالذات عن طريق الارث من عصبة الأمم في حين يلح الاتحاد السوفيتي في الاستمساك بمبدأ التقسيم ويكيل طن التهم مسندا إليهن التنبات الاستعمارية والاستغلالية .

يصح أن نسمى الشهر المنقضى في ميدان السياسة الدولية شهر تقاطع الكتلتين ، فقد تميز في الحن بمظاهر التنايد في جميع الملبسات التي اكتتفت الاتصالات أو المفاوضات أو الاجتماعات أو مجرد العلاقات بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، أو بين الكتلة الانجلومكسونية والكتلة السلافية في تعبير ، وبين الغرب والشرق في تعبير آخر .

ففي ألمانيا شاء البريتانيون والاميريكيون أن يكونوا من منطقتي احتلالهم ومنطقة الاحتلال الفرنسي وحدة إدارية في حين كان الاتحاد السوفيتي يرمى إلى تأليف حكومة ألمانية شاملة ، فقامت السلطات السوفيتية في برلين تعلن انسحابها من لجنة الاشراف الرباعية المستندة إلى أحد قرارات مؤتمر بوتسدام ، وراحت تعلن حل بعض الهيئات المتفرعة من هذه اللجنة ، بل لجأت إلى الحيلولة دون حرية انتقال البريتانيين والاميريكيين والفرنسيين من مناطق احتلالهم إلى منطقة الاحتلال السوفيتي وإلى برلين ذاتها وهي لا تتصل بتلك المناطق إلا بممرات في المنطقة السوفيتية .

وفي تريستا رغبت الدول الثلاث أن تعيد المنطقة التي قضت معاهدة الصلح بدوليتها إلى إيطاليا ، فأثار الاتحاد السوفيتي في وجه هذا الاقتراح نوعا من الدفع الفرعى

رد روسيا إلى حدودها

المناطق ، أو حين تسودها النظرية الشيوعية بفعل هذا النفوذ أو بمجرد ملاساته ، فانها يبطل فيها الأخذ بنظام الاقتصاد الفردى ويعمل بحله النظام الجماعى عن طريق التأميم والتعاون القومى ، فلا يكون هناك مجال لاستثمار أموال فردية ، ولا يكون هناك مجال لتوظيف مال أجنبى أو إقامة صناعات مستندة إلى مال أجنبى .
ولذلك فقد هال الولايات المتحدة أن رأت الاتحاد السوفيتى يضم إلى جمهورياته دول البلطيق ويربط بمعاهدات وثيقة معه دول أوروبا الوسطى والبلقان ، قامت تناهضه بشتى الوسائل الاقتصادية منها والسياسية أملا فى تحويلها عند الحاجة إلى وسائل حرية .

ورجع تلك المظاهر . لتقاطع الكتلتين إلى ما يبتته الولايات المتحدة من خطة ترمى إلى رد الاتحاد السوفيتى إلى حدوده التى كانت له قبل قيام الحرب العالمية الثانية ، وهى إلى الآن لم تعترف بضم دول البلطيق إليه ، وهى إلى الآن لم تعترف بقيام الحدود السوفيتية الغربية فيما بينها وبين بولونيا عند الخط الذى كان معروفا بخط كرزون ، وإنما يكمن وراء تلك الخطة المبيتة حرص أصحاب المصالح المسالية الأمريكية على استرداد المناطق التى كانت توظف فيها أموالهم فى أواسط أوروبا وفى البلقان ، أو على كسب مناطق جديدة لتوظيف هذه الأموال ، وهم يعرفون أنه حين يمتد النفوذ السوفيتى إلى منطقة من

مشروع مارشال

بمشروع مارشال لم تكن واقفة تمام الوقوف على طبيعة الأرض التى تستند إليها أقدامها . فعرضته على دول أوروبا كلها وبينها الاتحاد السوفيتى بالذات ، فلما رفضه الاتحاد السوفيتى ورفضته معه بولونيا ويوجوسلافيا ، وترددت تشيكوسلوفاكيا بين قبوله ورفضه أول الأمر ثم انتهت إلى رفضه ، ولم تكن الأمور — من وجهة نظر الولايات المتحدة — مستقرة فيمابقى من بلاد أوروبا ولا سيما فرنسا وإيطاليا اللتين لاح فى أفقهما النشاط الشيوعى بصفة جدية ، حسبت إذا هى مضت فى سبيل تحقيقه أن تروح أموالها إلى حكومات يشترك فيها الشيوعيون أو قد يتحكمون فيها تحكما ، فأخذت هى تتردد فى

وكان أول ما لجأت إليه الولايات المتحدة فى ذلك السبيل مشروع مارشال ، وقد قدمته فى قالب المعاونة على الخروج بالانتاج القومى فى البلاد الأوروبية من الأزمات العسيرة التى حلت به من جراء الحرب وتدميراتها ، ولكنها كانت تقصد به إلى هدفين اثنين : توظيف مالها الأمريكى فى مختلف ميادين تلك البلاد ، والخلولة بين هذه البلاد وتسرب النفوذ السوفيتى إليها وما يحمره وراءه من نظام التأميم الاقتصادى الذى يحول دون توظيف الأموال الفردية أو أموال الجماعات والشركات .
والحق أن الولايات المتحدة حين تقدمت

تنفيذه إلى أن وقعت الواقعة في تشيكوسلوفاكيا ، فخشيت أن يكون مصير فرنسا ومصر إيطاليا مصيرها إذا هي لم تمد إليهما يد المعونة العاجلة ، فبادرت إلى اتخاذ إجراءات ، وقررت أولوية تطبيقه على إنجلترا وفرنسا وإيطاليا ، وشاء بعض أعضاء مجلس

الشيوخ فيها أن يذهب إلى حد خص أسبانيا ذاتها بمنافعه . وقد شهد الشهر النقضى إقرار مشروع مارشال في الولايات المتحدة واجتماع مندوبي الست عشرة دولة التي قبلت تطبيقه عليها بباريس ، وأخذهم إجراءات تنفيذه .

الاتحاد الغربي

وكذلك شهد الشهر النقضى قيام الاتحاد الغربي بين إنجلترا وفرنسا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبرج ، لا على القواعد الاقتصادية وحدها بل على القواعد السياسية التي تحاول أن تتأخها قواعد عسكرية أيضاً . وتستند القواعد السياسية إلى مشاهضة الشيوعية والوقوف في وجه اتساع دائرة النفوذ السوفيتي ، كما تستند القواعد العسكرية إلى قيام محالفة بين أعضائه تنطوي على محاربة الاتحاد السوفيتي عند الاقتضاء ، وإن لم يذكر ذلك صراحة ، وإن لحيى إلى التعبير بالدفاع ورد الاعتماد بلل التعبير

بالمجموع الذي قد يكون مقصوداً في ذاته . وتود الولايات المتحدة أن تنضم إلى هذا الاتحاد الغربي وقد بدأت تلوح بأنها على استعداد لتشجيعه بجميع أنواع التشجيع ومنها وسائل المد بالسلح والذخيرة بخاصة . وكذلك تبذل المساعي في سبيل ضم أكبر عدد ممكن من البلاد التي لا تزال بين الكتلتين . والمعقول أن إيطاليا ستكون أولى الدول النضمة ، كما أنه معروف أن وزير الخارجية اليونانية يوجه جهوده نحو انضمام بلاده ومعها تركيا ومصر والبلاد العربية .

الانتخابات الايتالية

على أن حادث الشهر الدولي كان هو بلا مراء حادث الانتخابات الايتالية . وقد كان محدداً لما اليوم الثامن عشر من شهر ابريل النقضى . وقد انجهدت إليها أنظار العالم كله لما اكتشفها من ملايسات الواقعة التشيكوسلوفاكية من ناحية ، والتكتل الغربي من ناحية ثانية . لقد ألم الوضع الجديد الذي مكن الشيوعيين من أمور تشيكوسلوفاكيا الدوائر الأمريكية الايلام كله ، وهي إنما كانت تهيئ لنفسها النفوذ

في ذلك «الجسر» بين الشرق والغرب ، فإذا به ينهار لقع في قبضة الشرق . فخشيت الخشية كلها أن يكون هذا النصيب ذاته نصيب إيطاليا . وقد جرت المعركة الانتخابية الايتالية بين العناصر المكونة لحكومتها الراهنة ، وهي عناصر الديمقراطيةيين المسيحيين ، والاشتراكيين المعتدلين ، والجمهوريين من ناحية ، والشيوعيين والاشتراكيين المتطرفين من ناحية ثانية ، مع مساهمة عناصر الملكيين

دى جاسيرى ، لأنه زعيم الكثرة .
ويتى التساؤل عن موقف الشيوعيين من
الوضع الايتالى الجديد . وقد اذيع أخيراً
أنهم قد عرضوا الاشتراك فى الحكم مساهمة
منهم فى حركة النهوض القومى ، وقد قيل
إن الرئيس دى جاسيرى لا يمنع مساهمة
الشيوعيين فى وزارته ، ولكنه يشترط لهذه
المساهمة شروطاً يقلب على الظن أنها
ستكون ثقيلة فى نظر الشيوعيين .
والمقول كذلك ، أن الديمقراطيين
المسيحيين يودون الانضمام من الآن إلى
الاتحاد الغربى . وقد يكون فى هذا الانضمام
قطعاً لخطوط الاتصال بالشيوعيين الذين
يؤثرون البقاء على الحياد بين الكتلتين
المتنافرتين .
ترى هل ستترك الأمور تسير فى إيطاليا
سيرها الطبيعى بين أصحاب كثرة - غير
ساحقة ، وأصحاب قلة - غير ضئيلة - أو
ستطراً عليها مضاعفات التدخل الأجنبى ،
من جانب واحد أو من جانبيين ؟
ستبدى الأيام القريبة فى ذلك رأيها .

والفلاس ومن إليهم من المستقيين . وتميزت
نك الانتخابات باشتراك أكبر عدد من
الماخبيين وقد تارب فى ذاته التسعة والعشرين
ملوي ، وعذوب سسد المشتركين منهم
التسعين فى المئة . كما تميزت بمساهمة عنصر
النساء الألفى لا يزال ارجال الكسسه
الكتولكيه عنهم سلعان كبير .

والحق أن المعركة قد دارت بين الشيوعيين
وغير الشيوعيين فى عموم ؛ فقد كان للبابا
نفسه نشاط وكانت للملك السابق أمبرتو
هو الآخر تصريحاته . وانتهت الحملة
إلى فوز الديمقراطيين المسيحيين بكثرة
مطلقة تزيد على الثلاثة والخمسين فى المئة
فى مجلس النواب ، وبكثرة نسبية تزيد على
السبعة والأربعين فى المئة فى مجلس
الشيوخ .

والفهوم أن يجتمع البرلمان الجديد فى
إشامن من شهر مايو ، لانتخاب رئيس
الجمهورية الذى يرفع إليه رئيس الوزارة
الحالى استقالته ، ويحيى بعده رئيس الوزارة
الجديدة . والفروض أنه سيكون هو الرئيس

محمد حمزى

شهرة السينما

أحسن سنوات حياتنا إخراج وليم ويلر (ر. ك. و.) (١)

مأموراً بعد أن كان آمراً ، مطيعاً بعد أن كان مطاعاً ، وهذه النقود القليلة التي يكتسبها من هذا العمل المتضعب ، كل هذا قد نال من نفسه وأشقاه شقاءً مبرحاً .

وأخيراً هذا الشاب البحار الذي فقد يديه فعاد وقد استبدل بها يدين صناعيتين تتيجان له أن يقوم بما يريد من الأعمال ، فلم يجد من أسرته إلا إشفاقاً عليه . وهذا الإشفاق لا يساعده على أن ينسى عاهته بل يزيده يؤساً ويأساً ، فينتطوى على ما في نفسه من ألم ، وتنتطوى نفسه على ما فيها من عذاب . ولذلك يشقى من عطف أبويه وحب خطيبته إلى أن تجود الأقدار عليه فتبني له سعادة يسيرة هادئة .

كل هذه المشاكل الانسانية عرضها المؤلف ودرسها دراسة وافية ، وحلها تحيلاً دقيقاً ؛ ولكن تفاؤله قد أضاع من واقعية القصة ، فاصطنع لها خاتمة حسنة تدل على هذا التفاؤل الذي لا حد له ؛ فالأب يعود إلى واجبات أسرته ، والشاب يستأنف الكفاح ليحقق آماله ويصيب شيئاً من طموحه ، وذو العاهة يتزوج بمن أحب . كأن الحياة لا هم لها إلا أن تسعد الناس وترضيهم ... لقد نال هذا الفيلم جوائز عدة للتمثيل والاخراج والقصة ، وجعلت الدعاية منه إنتاجاً قنياً يثير الإعجاب . ولكنه في الحقيقة لا يزيد عن أنه إنتاج موفق عادي قد امتاز عن الأفلام الأمريكية الأخرى لأنها ذات

يعالج هذا الفيلم مشكلة اجتماعية نشأت حين عاد كل مجند إلى بلده وقد نال القتال شيئاً من نفسه أو شيئاً من جسمه ، فعانى كثيراً من المشقة واليأس في أن يجد لنفسه مكاناً في هذا المجتمع الجديد الذي صهرته ستو الحرب فبدلت منه وغيّرت نظامه وتفكيره . فهذا أب عاد من الميدان فوجد مصاعب جهة ليحتل مكانه بين أسرته وليقوم بأعماله في المصرف . وهذا شاب كان ضابطاً في الطيران يشق عليه أن يعود إلى مركزه المتواضع في بلدته حيث كان يعمل بائعاً في أحد المتاجر . وهذا بحار قد بترت يداه فلم يجد من أسرته أو أصدقائه عوناً يشجعه على أن يرتد مكانته إنساناً .

في الحالة الأولى يعود الأب إلى أسرته بعد أن قضى سنين بعيداً عنها ، فيشقى عليه أن يحيا معها حياة رب الأسرة فيجوب بها أنحاء المدينة منتقلاً من حانة إلى حانة كأنه جندي في إجازة قصيرة ، ويعود إلى عمله وقد نسي أن الأعمال المالية تستنكر كل الاستنكار شعور الشفقة والانسانية، فيترتب على ذلك مشاكل عدة بين هذا الموظف الانساني الشفيق وبين إدارة المصرف .

وفي الحالة الثانية نجد شاباً كان ضابطاً يتمتع بسلطة مطلقة يأمر فيطاع ، يعود إلى عمله بائعاً يتحكم فيه مديرو المتجر ويتحكم فيه عملاء المتجر وهو مدعّن لنزوات أولئك وهؤلاء . وهذه الحال التي تبدلت فجعلته

الدعاية تمهد له سبل النشر . كذلك كانت حال فيلم «أحسن سنوات حياتنا» . وهذا الحديث لا يتقص من قيمة الاخراج الذى ابتعد عن تصوير الحياة الانسانية تصويرا سطحيًا ولا من قيمة التمثيل الذى امتاز فيه فردريك مارش خاصة فى منظر كان تمثالا فيه ولا من قيمة قصته التى تجعله فى مقدمه أفلام الموسم .

قيمه فيه ضئيلة . فالأناج الأمريكى قد أخذ يهمل المسائل الانسانية والاجتماعية — ما عدا قليلا من الأفلام السينمائية — ويتجه إلى اللهاهة الخفيفة العابثة ، أو إلى قصص الغامرات الخريبة والبوليسية . فحين يفكر مخرج أمريكى فى تحقيق قصة إنسانية أو فى معالجة مشكلة اجتماعية يعد ذلك حادثا خطيرا فى تاريخ الصناعة السينمائية وتأخذ

المرحيل (مترو جلدوين ماير) (١)

هذه الإقامة خالية من إلحاح الشاب على الزوجة واعترافاته بما يمكنه لها من حب صادق . وأخيرا أمام هذا الإلحاح العنيد وهذه الاعترافات المحمومة لا يسع المرأة إلا أن تمثل له وتقبله زوجا . وهنا يقع ما لم يتوقعه قط : يعود الزوج وهو على يقين أن زوجته تنتظر عودته فى لفة شديدة ، وأنها ما زالت حريصة على حبها له وفية لما يكن لها من عاطفة . وكم كان مبلغ دهشته حين رآها قد قبلت أن يكون هذا الدخيل بديلا له . لم يثر بل هذا من روعه ، وأدرك أن زوجته لم تقبل صديقه زوجا لها إلا وفاء لذكراه . وينتهى هذا الموقف بقتل الدخيل وبعودة الزوج إلى زوجته . وما لا شك فيه أن الاخراج قد نجح فى تصوير هذه القصة وتحليل نفسياتها ، وقد اصطنع المخرج لذلك أساليب عدة : إلتجأ المخرج إلى عرض الحوادث بالتقهقر ، فعرض علينا الزوجة وقد فرت هاربة إلى باريس بعد أن قتل زوجها صديقه الدخيل وفى هذا المنظر أخذت تقص علينا مأساة حبها . وكانت قصتها منقطعة ، إذ أراد المخرج أن

هذا فيلم ثان يعالج مشكلة اجتماعية وليدة الحرب ولكنها أقل خطرا وعمقا من المشاكل التى يعالجها الفيلم الأول . «الدخيل» يتجه نحو مشكلة عاطفية خالصة يعرضها علينا عرضا دقيقا لا يهمل فيه أى تفصيل . فهذه امرأة قد ذهب زوجها إلى الحرب وتركها وحيدة فى قريته ، ثم تعلم أنه قد قتل وهو يحاول أن يهرب من معسكر الاعتقال . عاشت وحيدة فى منزلها وهى معتقدة أن زوجها لم يمت حقا وأنه عائد إليها ما فى ذلك ريب . وفى ذات يوم يصل إلى المنزل صديق من أصدقاء الزوج كان فى الأسر معه وسمعه يتحدث عن زوجه ومنزله مرارا فشغف بالزوج دون أن يراها . (ويبدو هنا أن المؤلف حين وضع قصته كان قد فرغ من قراءة مسرحية «الرسول» لبرنشتين .) يصل فيعلن للمرأة حبه بعد أن أكد لها كاذبا أنه رأى زوجها يموت برصاص الألمان . وأخذ يستعطفها ويلج عليها ويزيد فى إلحاحه حتى أشفقت عليه فسمعت له بالإقامة فى المنزل إلى أن يبي لنفسه سبل العيش . ولكن لم تكن

بدوره خير قيام في حين أن الآخرين يكتفون بأن يسردوا أدوارهم سرداً دون أن يحاولوا أن تعبر وجوههم عن شعورهم الدفين . فالممثلة جريو جارسون وهي انجليزية الأصل كانت الوحيدة التي تمثل دورها تمثيلاً صحيحاً حياً . أما الآخرون ومنهم روبرت ميتشوم وكان يمثل الزوج وريتشارد هارت وكان يقوم بدور الدخيل ، فانهم لم يمثلوا إطلاقاً . والسينما الأمريكية عامة لا تقدم ممثلين قادرين إلا نادراً ، فهي تؤثر أن يكون الممثل وسيم الطلعة ، وأن تكون الممثلة ذات جاذبية جنسية شديدة . فليس للفن هناك إلا مجال ضيق وقد استأثر به من المخرجين والممثلين من هاجسوا من أوروبا إلى مدينة هوليوود .

يكون للزوج نصيبه في عرض هذه المسألة قصوره لنا وهو في الاعتقال مع صديقه . ولم يقتصر عرض الحوادث على سرد أبطال القصة بل كانت للصورة النصيب الأكبر في تسجيل هذه الحوادث . وقد يبدو أن هذا الأسلوب في الإخراج قد يشوبه شيء من الاضطراب : فثمة عدة أشخاص يقصون حوادث الفيلم . غير أن المخرج قد نجح في أن يجعل كل شخص يتحدث حين تطلب الحوادث أن يقص هذا الشخص ما وقع له من مغامرات . وكذلك نجح المخرج في ألا يسود الاضطراب أسلوب الإخراج ، وأن ينتج نهجاً لا يعوزه الابتكار . إنه من الموثق أن تشهد فيلماً ولا تجد فيه إلا ممثلاً واحداً يدرك كيف يقوم

مركز البوليس إخراج هـ . ج . كلوزو (ماجستيك فيلم) (١)

وأنه لم يقبل الحضور إلى بلادنا إلا بعد أن ألح عليه من طلبوا منه الحضور واشتدوا في الإلحاح ، فتنزل وقبل أن يمثل أمام جمهور مصر . وهذه الشائعات التي راجت حول هذا الممثل الفرنسي ، قد تدفع المرء إلى أن يعتقد أن فناناً يعتز بمكانته وبفته لا يقبل أن يشترك في أية رواية ولا أن يعمل تحت إدارة أي مخرج . ولكن يبدو أن ما تخيلناه شيء وأن الحقيقة شيء آخر ؛ لأن لوى جوفيه نفسه قد اشترك في فيلم تافه أخرجه رجل يؤثر أحياناً المحاكاة على الابتكار . وقصة «مركز البوليس» تدور حول جريمة كان ضحيتها أحد مديري شركة سينمائية ، فيأخذ أجد مفتشى الأمن العام في البحث عن القاتل . ولم يكن ذلك

كان اسم الممثل لوى جوفيه ، السبب الوحيد الذي جعل النظارة تتهاقت على هذا الفيلم . فانه بلا ريب ضمان كاف لنجاح أى إنتاج فنى ، وذكره في الإعلان يجعل الجمهور يحد في السعي لشهود القصة التي يمثلها . ومن المعروف أن الجمهور ساذج جداً ، وأنه لا يفكر مطلقاً أن ثمة مخرجين يؤثرون التجارة على الفن ، وأن ثمة ممثلين لا يأبون أن يؤجروا أسماءهم وقتهم ليروج ما ينتج هؤلاء المخرجون . وبساذجة الجمهور هذه وعيب المخرجين هما اللذان يهيئان عادة لأفلام تافهة مثل «مركز البوليس» نجاحاً لا يلبث أن يزول .

لقد سمعنا عن لوى جوفيه قبل أن يصل إلى مصر أنه رجل دقيق في عمله وفي فنه

أنه أمام مشهد في الاستديو لم تصل آلة التصوير إلى أن تعطيه طابعاً واقعياً . غير أنه من العدل أن نعترف لهذا المخرج بعنايته في بعض المناظر بالتفاصيل الدقيقة مثلاً في منظر هروب الزوج بعد أن اكتشف قتل عشيق زوجته ، وفي منظر اللبن الذي يتسكب بينا الزوج يقبل زوجته ، وفي منظر عيد الميلاد الذي لا يوحيه إلا الثلج الذي يتساقط في الخارج .

ولم يكن الإخراج وحده الذي لم يصب حظاً من التوفيق ، بل كان أيضاً التصوير والصوت . فالأخطاء ضعيفة جعلت الصورة رديئة بيضاء ، وتسجيل الصوت رديء أيضاً حتى أن المتفرج لا يفهم المثل حين يتكلم مهما كان إلقاؤه .

وإن كان المشاهد قد أخذ يحظ يسير من المتعة فقد كان ذلك لتمثيل لوى جوفيه الذي قام بدور مفتش الأمن العام ، فأخرج لنا شخصية الشرطي العنيد الذي لا ييأس من البحث والجهد حتى تبدو الحقيقة ولكنه في الواقع طيب القلب إنساني الشعور ، وتمثيل شارل دولان في دور مدير الشركة السينمائية رغم قصر دوره ، ولاداء برنار بلييه في شخصية الزوج الذي تعذبه الفيرة . ولولا تمثيل هؤلاء الثلاثة ما كنت لتجد شيئاً تذكره من هذا الفيلم .

سعى اليسير . فهناك ثلاثة أشخاص يحوم حولهم الشبهة : هناك شاب تزوج من غيرة له بال من سوء سلوك زوجته . وذاك تلك الزوجة على موعد بالقتل يوم الجريمة ، فذهب زوجها لينتقم من الاثنين فلم يجد إلا العاشق وقد فارق الحياة . وأصبح الثالث هوفتاة تسكن بجوار الزوجين وتعلم ما بينهما من شقاق ، وقد أرادت ، حين رجعت الزوج من ميعادها الغرامي معتقدة أنها قتلت عشيقها ، أن تمحو آثار الجريمة فذهبت إلى منزل العشيق لتحضر منه الفراء التي تركتها هناك صديقها . وكذلك نشهد بعد حدوث القتل كل إجراءات التحقيق في مركز البوليس حتى ينتهى مفتش الأمن باكتشاف القاتل ، ولم يكن من هؤلاء الثلاثة الذين اتهموا في بداءة القصة .

وأخرج قد لجأ إلى أسلوب أمريكي في إخراجة . فقد حشد الحوادث المثيرة في فلمه ، فيجعلك دائماً في لحظة تزداد عنفاً على مصير كل من المتهمين وأنت تدرك تماماً أن ليس من مسئول عن هذا القتل غير الزوجة ! وقد جعل أيضاً من الصحفيين عنصر فكاهة للاضطراب الذي يحدثونه كلما خرج أحد الحقيقين من حجرته وأسرف في السخرية منهم . أما المناظر الخارجية فكانت مضطربة تحقيقاً وتصويراً ، فالشاهد يشعر

رئى لامل

من كتب الشرق والغرب

نشر النصوص

ولستطيع في كثير من اليسر أن نفهم سبيلهم ذلك ؛ فقد وصفه العلماء بعدم ، ووقفوا له الكتب ، وأنشئوا له المحاضرات والدروس ، وخصوه بشهادات معينة يقضى لها الغربي سنوات في مدرسة الآثار، والدراسات العليا ، وقراءة الكتابات القديمة La Paléographie (١).

فمنهم من يعنى بقراءة النصوص على الحجر ، ومنهم من يأخذ نفسه بقراءتها على الأقمشة ، ومنهم من ينظر إليها في الكتب والأوراق . وكلهم متفقون في أن النص جسم ذو روح يحيا ويموت ويبعث . فإذا بتر منه عضو أو قطع منه عضو استعاده العالم كما كان قبل البتر أو القطع . ونظرة واحدة إلى ما تنشر المعاهد الأجنبية بيننا من كتابات على القبور والمساجد والحاربي في مجلدات ضخمة متعددة ترشدنا إلى أن هذا العلم قد أخذ حظه من نفوسهم واستمكن من عقولهم (٥) .

منذ أربعة قرون أنشأ البابا غريغوريوس في رومة مدرسة لدراسة النصوص العربية ، يختلف إليها رجال الدين يقرءون في رقاع قديمة بالية ، وبين أيديهم مقاييس للمساحة يختلفون حيناً ويتفقون حيناً ، فينقاد إليهم الفهم صاغراً طوراً ، وينصرف عنهم غاضباً طوراً . وما هو إلا أن يعودوا إلى النصوص اللاتينية ينظرون كيف تنشر وكيف تقوم حتى يعملوا للعربية ما عملوا لأولهم لللاتينية سواء بسواء . ولم تنفرد رومة وحدها في هذا وإنما تتبعها باريس وبيشة وغيرها من عواصم الغرب ، فأخرجت كتبنا العربية في تحقيق علمي ونشر صحيح . وبين أيدينا « تاريخ ابن العميد (١) » و « كتاب تيمورلنك لابن عربشاه (٢) » و « أمثال لقمان (٣) » ... وغيرها من كتبنا نقرأ التعليقات فيها والخواشي والمقدمات والخواتم فنذكر دقة العمل وما عرض له العاملون .

(١) « تاريخ المسلمين لشيخ المكيين » طبع مع ترجمه إلى اللاتينية بعناية إريانيوس Erpenius في ليدن ١٦٢٥ .

(٢) « عجائب القصور في أخبار تيمور » لابن عرشاه ادمشقي ، تصحيح عولوس Jacob Gollius في ليدن ١٦٣٦ .

(٣) « أمثال لقمان » طبع في ليدن بعناية اريانيوس عام ١٦٥٦ .

(٤) للتوسع في هذه المادة اقرأ : Sylvestre, Paléographie Universelle, Paris 1839-1841 .

Chassinat, Paléographie des chartes et des manuscrits du XIe au XI^e siècle, Paris 1841 .

(٥) أحص بالذكر ما نشر في مصر عن الكتابات العربية في عدة أجزاء كبيره :

Van Berchem, Matériaux pour un Corpus inscriptionum arabicarum, Le Caire, IFAO, 1922...

Combe, Sauvaget et Wiet, Répertoire Chronologique d'épigraphie Arabe, Le Caire, IFAO, 1931, 13t.

من قرأه من النسخ وسبب يرسمون جدولاً يبينون به هذه القرابة وهذا النسب ، وذلك بأن تزيد طائفة منها كلمات في التشيع مثلاً لمذهب أو لحزب ، أو تحذف كلمات من هذا التشيع ، أو تشتد في التعصب للمؤلف أو تغلو في التعصب عليه بالحذف والإضافة . ودليل الباحثين في ذلك كله موطن النسخ وتاريخ عصره ومذهبه بالنسبة إلى المؤلف . فإذا غاب أكثر هذا فالورق جسم ذو روح - كما قدّمنا - يدل على حياته باللون أو الغلظ والكثافة ، ويدل المداد على قدمه ، وتدل الكتابة على موطنها من أقطار العربية . وهكذا يحيا الناشر عاماً أو عامين أو أعواماً يسائل عن أصل النص وأمه وعشيرته ، فإذا تبين له الأصل والفرع شرع في استقصاء التقارب بينها ، فيرد النص كما كان في حياة المؤلف على وجه التقريب وهو يرمع قاموساً لفردات العصر ، ومرجعاً لاختلاف المعاني ، فيحدد معلوماته عن القرن نفسه وبيئة المؤلف ذاتها ، فيعزل عن النص ما أضاف إليه النسخ المتأخر ، ويشك فيها لا يجد لآبائته نصاً واضحاً .

هذا هو النشر العلمي (٢) Edition critique درجت عليه مدارس الاستشراق منذ أربعة قرون فأخرج أصحابها كثيراً من كتبنا كما أخرج زسلاؤهم في اللاتينية واليونانية أو اللغات الأوربية القديمة . وأكبر الظن أن الناشرين في البلاد

وإني لأذكر في كثير من العجب هذه المحاضرات العملية التي استمعت إليها في باريس ، وبرلين ، وليفزيغ (١) وقد نشر المحاضر بين مستمعيه صوراً لقبر قديم أو لبساط أثري ، وراح الطلبة يقيسون المقدار المعروف والمقدار المتبقى في الكتابة وينشئون من جديد رسماً للأنقباء التي استعملها الكاتب في تصوير الواو أو الفاء أو الياء مثلاً ، ثم يطبقون ذلك على السطور التي بين أيديهم ، فإذا هم يقرءون النص بمقاييسهم العلمية ، وإذا غن نعمد إلى التخمين أو الظن فنرجع إلى محفوظاتنا في آية استشهد بها الكاتب أو حديث اعتمد عليه المؤلف ، فربما أصبنا وربما أخفقنا ؛ ونحن في كلا الحالين لا نعتمد على علم وإتقان على ما يشبه الإيمان بقوتنا وقدرة في العربية . وشأننا في نشر الكتب والمخطوطات معهم كشأننا في قراءة سطر أو سطور . فهم حين يهيمون بنشر كتاب من الكتب يبحثون أول ما يبحثون عن حياة المؤلف وعن الأوساط التي قرأت له وانتصرت لمذهبه في الأقطار العربية ، ويذهبون في البحث وراء المخطوطات التي انتقلت من هذه الربع إلى مكاتب أوربية فيرسمون سبيل تنقلها وشجرة نسبها حتى تظهر لأعينهم أم النسخ ويناتها وقربياتها كما بحث أجدادنا العرب في الأنساب والاسناد سواء بسواء . وهم إذ يتأكدون بعد الفحص الدقيق

(١) رأيت مسد أشهر خلال إقامتي بدير الآباء في «به برون» Beuron بألمانيا ، ما يقوم به العالم الأب آبن Pater Abel من قراءه نصين كتب أحدهم فوق الآخر ، فهو يرسل الكتابه المتأخره بوع من المداد في شخص ديبى وتحضير واسع بحيث لا يمس الكتابة الثانية ، ويقرأ كلا من الكتابتين بعد تصوريهما ، فيستفيد منهما معاً ، وخاصة في دراسة نسخ من الإنجيل أو أسورة وقد علق عليها تسامح أو ما يكون للنسخ .

(٢) في الفرنسية كتب جدير بالعريب في مصر وغير مصريتي ضوءاً على هذا العلم

هو : Louis Havet, *Manuel de Critique Verbale*, Paris (Hachette) 1911

من مجموع ما في المكتبة التيمورية ودار الكتب المصرية في أقل من ثلاثين جزءاً . وأن يقتصر هذا على نسخ مصر وحدها فيصيب الجزء من الأغاني نسخة وبعض النسخة ، وفي أوربة أجزاء كثيرة منه (١) . فقد رأيت منها في كوينهاغ ، وفي برلين وفي باريس وليدن ورومة . وهي قديمة في أكثرها ، تصحح النص المتزعزع ، وتكمل الناقص ، وتورد إلى الصواب (٢) . وما في الظن أن الفرصة بين الحريين الماضيتين لم تتح جمع هذه النسخ الثمينة ، فقد كان ورود النسخة آنذاك من كوينهاغ إلى مصر أقرب من وصول مخطوطات القلعة إلى مكتبة باب الخلق .

وثانيهما «أبو العلاء المعري» ؛ فقد حرم الرجل الجيد في حياته وحرمه بعد مماته ، فضاعت أكبر مؤلفاته ، وتفرق الباقي في خزائن العواصم ؛ ولم يبق الناشرين الأفاضل القراءة والتعليق لأن مخطوطات الشراح الثلاثة التبريزي والبطلبيوسي والخوارزمي ونسخ المتن لسقط الزند في مكتبات أوربة قديمة عتيقة أثرية على أكثرها شهادات وساعات حال جد أبي العلاء دون استقصائها واستجلائها ، وقد رأيتها كذلك في زيارتي الأخيرة لمكتبات أوربة منذ شهر ، فلم أصبر على تركها في مخابنها كما صبرت على «الأغاني»

العربية لن يحسنوا النشر العلمي حتى يقفوا على هذا العلم وقوفاً دقيقاً ؛ فالأدهاء العلماء والأساتذة المختصون أدركوا أن اللغة علم يهيم وأن الأدب علم يحضر ، وأن البحث في هذا وذاك ليس من السليقة في شيء وليس من الفطرة في أمر ، ولا يدرك بالمران لحسب وإهما يجب له الطرق العلمية السليمة . ومرد شقائنا في الشرق أننا في كل ظروف حياتنا وألوان عيشنا نخرج على الفطرة ونعتمد على السليقة سواء فينا الممثل والموسيقى والعلم والتأديب ، في كثير من الغرور الأعمى والاعتداد المسرف .

ولست أغلو حين أقول إننا لم نصنع كثيراً مما يعتمد على العلم في نشر نصوصنا . وسأقتصر على مثليين اثنين هما في كتابين لهما أثرهما وأهميتهما :

أولهما «كتاب الأغاني» ، يعاد طبعه منذ عام ١٩٢٧ ، ولم يخرج منه أبعد من الجزء الحادي عشر . وقد كان الظن أن ينتهي الجزء في عام كامل على كثرة العاملين في القسم الأدبي بدار الكتب المصرية . ولعل من الخير لأبي الفرج أن لا يفرج عن أجزائه الباقية قبل أن يجمع الناشرون مخطوطاته المنفرقة في أطراف المكتبات العالمية ؛ فليس من الجيد في شيء أن يطبع هذا الكتاب العظيم على اثني عشر مخطوطاً

(١) سأذكر أماكن هذه الأجزاء وعددها في العواصم من غير ذكر لأرقامها خوفاً من الانتقال ، فهي ستة أجزاء في باريس ، وخمسة في برلين ، وخمسة في لندن ، واثنيان في كبريدج ، وعدة أجزاء في مونيخ ، وجزء في كل من رومة ، وكوينهاغ ، وفيينا ، والاسكوريال ، والجزائر ، وغوطة . ذلك عدا نسخ استامبول فلم أرها حتى الآن . وهي كثيرة .

(٢) نشرت مجلة Z.D.M.G. للمستشرقين الألمان في الجلد الخمسين (ص ٤٥ ، إلى ١٥٠) مقالاً للمستشرق فلهاوزن يكمل فيه الجزء الرابع عشر من الأغاني ؛ من طبعه مصر القديمة عدة صفحات ؛ ونشرت غيرها مثل هذا . فالأمل أن يسعى الناشرون إلى استيعاب هذا كله ، وسد النقص ورأب الصدع .

مطابعتنا ، حتى ليخيل إلى أن الناشر يعمد إلى مكتوبة صفراء يريد لها مطبوعة بيضاء ليس غير ؛ يتصرف في تصحيح النص كما يريد عقله ولغته وأسلوبه وفهمه في القرن العشرين ضارباً بالأساليب العلمية عرض الحائط . وسبب ذلك في رأي أن أكثر النقد في صحفنا لا ينظر في الكتب المنشورة إلى أم النسخ وفروعها وشيبتها وعمر الناسخ وصلة صناعته بالعلم ، وإنما يعرض إلى فتحة سقطت قفدت كسرة ، وسكون انقلب فقدا ضماً ، ونقطة عبثت على الرسم وتقلت على الحروف فأصبح المعجم مهملاً والمهل معجاً ، فيخص الناشر بكثير من الكرم في اللوم وكثير من البسطة في التعنيف ، ويرى أن ظلمه للنشر أكثر من رحته في الجهد . وقديماً ألف علماء العربية في التصحيف والتحريف والأغاليط والاشكال كتباً كثيرة كالعسكري والأصبهاني والصدقي والبصري (٢)

وإنما استلبتها من المكتبات على أفلام وصور ، وهانذا أحلها إلى أصدقائي ناشري أبي العلاه فأرد إلى قيصر ما لقيصر . وأجياً أن يبسطوا في ذيل طبعتهم ما في النسخ الجملوية من زيادات هامة وتصويب وتصحيح ، فهي تسبق لسخهم ستة قرون في الوجود وتفضل عليها بالضبط ، وبذلك يقل الاشكال في طبعتهم ، ويموت الشك في صحة صنيعهم . فليس من العلم في شيء أن تقوم طبعة حديثة على إحدى عشرة نسخة لثلاثة شراح ومتن ، وفي العالم منها ما يقرب من السبعين نسخة خطية في المكتبات (١) .

وإذا كنت أبسط هذا للناشرين فاني إنما أقصد إلى أن النشر العلمي لا يتطلب الرجوع إلى القواميس لحسب أو إلى الراجع اللغوية ليس غير ، وإنما يتطلب الرجوع إلى التاريخ وعلم الخط والآثار وفن القراءة ، وذلك فيما أرى غريب على أكثر ما تخرجه

(١) عرض الناشرون في مقدمة الجزء الأول (ص ٢) إلى عدد النسخ التي بين أيديهم . وفي مقدمة الجزء الثاني وصفوا ما وصل إليهم من نسخ بعدها ، ولكنهم لم يعرضوا للاصول التي في العالم على عادة النشر العلمي ، فلم يوازنوا بينها وبين نسخهم التي طبعوا عليها ، مع أن الفهارس ميسرة . فتحن هنا نذكر في إيجاز عددها وأما كن وجودها عوناً لآخواننا ومشاركة في إحياء آثار أبي العلاه .

(أ) نسخ المتن ثلاثون : أربع في برلين ، واثنان في باريس ، واثنان في مدريد ، وأربع في أكسفورد ، وثلاث في لندن ، ومثلها في كوبرولي ، واثنان في الفاتيكان ، وأخرى في الموصل ، وكوبنهاغ ، وليدن ، وكبريدج ، وقينة .

(ب) ونسخ الترمذي أربع عشرة : في كوبنهاغ وليدن وأكسفورد وليبريغ وكبريدج وقينة والموصل ولندن وكوبرولي وقضى باستانبول .

(ج) ونسخ الخوارزمي عشر : في ليدن وبرلين ولنفرد وبيروت وأيا صوفيا ، وبكي جامع ، وقور عثمانية والموصل .

(د) ونسخ البطليوسي ست : في أكسفورد والاسكوريال وعاشر وحامد وفاتح وأيا صوفيا .

(هـ) وضوء السقط أربع نسخ : في لندن وباريس وليدن وكوبرولي .

فالأمل أن يرجع الناشرون إلى الفهارس فيصفوا هذه النسخ في خاتمة طبعتهم .

(٢) وعناوين هذه الكتب هي : « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف تأليف أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري » و « التنبيه على حدوث التصحيف تأليف —

وأكثر هذه الكتب مخطوطات في دار الكتب مصورة عن استانبول أو أصيلة في المكتبات المصرية ، يستطيع القارئ أن يرجع إليها ، وأن يقرأ فيها : « أن التصحيف والتحريف قلما سلم منهما كبير ، أو نجا منهما ذو إتيان ولو رسخ في العلم ... فقد صحف جماعة هم أئمة هذه الأمة ، وحرف كبار يدهم من هذه اللغة تصريف الأئمة (١) » ويقرأ نجياً كذلك في باب « تصحيقات العلماء في شعر القدماء (٢) » فسرى أن الخليل ، وأبا عمرو بن العلاء والسجستاني والأصمعي والأخفش والجاحظ والمفضل وابن سلام ، ومحمد الراوية والفراء وتعلب وابن السكيت والمبرد ، وأن غيرهم من أعلام النحو واللغة قد ضلوا وأخطأوا ، قصرّف المؤلفون حياتهم ستين عاماً أو سبعين في تسقط

أخطائهم وتلقط تصحيقهم واستيعاب تحريفهم ، فصرفوا العمر من غير جدوى ، وأنفقوا الحياة في أعظم البلوى . وما أرى كثرة الناقدين في الأقطار العربية إلا مقلدين تقليداً أعمى هؤلاء المؤلفين ، لا ينظرون إلا إلى الحروف كيف ضبطت وإلى الحركات كيف رسمت وإلى الكلمات كيف صورت . أفلم يعلموا أن هذا وحده مات مع الزمن ، وأن اللغة العربية تحتاج معه إلى هذا العلم الجديد لعلها تقف في نشر نصوصها لما نشر الغربيون من آدابهم أو تناقض طبعات الغربيين لتفاسدها . فليس قليلاً أن نجيا عيالا عليهم ، تسرق طبعاتهم ونشوه نظامها ، وتبر مقدمتها ، وتحذف فهارسها ، ثم تدعى أننا وحدنا نضبط الحركات ونقوم الكلمات ونخدم العربية . والله أعلم بما نصنع وبما ندع ...

سامي الرهانه

*

[هبة التحرير] : ليس لنا على هذا المقال القيم لئلا نثور الأدب ، إلا ملاحظة واحدة يسيرة ، وهي أن علماءنا لم يخطئوا ولم يضلوا في بذلوا من جهد لاثبات ما تورط فيه الرواة والشرح ، من التصحيف والتحريف وتقده والدلالة عليه . وكذا أن عمل هؤلاء العلماء لم يفض ، ولا يمكن أن يفض من قدر الأئمة والرواة ، فعمل الذين ينتهون ما في نشر النصوص حدث من تحريف أو تصحيف ، لا يفض ولا يمكن أن نعس من قدر العلماء ناشرين . واستشرقون أنفسهم يأخذ بعضهم بعضاً بما يتورطون فيه من تحريف أو تصحيف . وكفى أن يرجع الأساذ إلى ملاحظات الأستاذ وهم مارسه على نشر كتاب البخلاء اندي فام غيبه فان فلون .

والإنسان غشّي ، ويصعب ، والعصمه لله وحده . ولم يصح لك أحد كالدي بذلك على خطأ تحفته أو عتق تورط فيه . والمهم كل المهم هو أن ينسى العلماء أنفسهم ، ولا يدكروا إلا العلم وحده ، وما ينبغي لصلابه من انشاس الحق والصدق والصفاء .

== حره من احسن الاصبهانى و « تصحيح الصحيف وتحريف الحرف تأليف ابي اصف حديل ابن اسك الصندى » و « انبييات على اغاليه الرواد لآلى الحاسم على بن حره البصرى » .

(١) « تصحيح الصحيف لصفدى » الورقه الاولى من المخطوطه .

(٢) « السبيه على حدوث اسصحيف للاصبهانى » ص ٦٨ من المخطوطه .

من وراء البحار

الصين ومشاكلها

يهزيمته وينسحب دون إراقة الدماء . ولكن يظهر الآن أن الصين دخلت طور التطرف . فقد حدث في الأشهر الستة الأخيرة أن اصطدم جيشان كبيران ثلاث مرات اصطداما عنيفا ، ولم يحدث في أية مرة من هذه المرات أن انسحب الجيش الضعيف . ففي منشوريا تقدمت الجيوش الوطنية إلى الشمال على طول خط السكة الحديدية وانتصرت على الشيوعيين في معركة زينكاي نصرا كلفها كثيرا . وفي ولاية شانتونج تقدم جيش وطني في شبه جزيرة كياوتنج محاولا أن يمنع الشيوعيين من الوصول إلى البحر . وفي ولاية هونان وولاية شانتونج الغربية حاول الوطنيون أن يقتحموا المنطقة ويعبروا النهر الأصفر إلى أن يصلوا إلى مدينة شنجنشون التي هي مركز للاتصال بالسكك الحديدية . ولكن الحروب في الصين لا تنتهي إلى النهاية الثابتة التي تنتهي إليها المعارك في الغرب . فهذه الهجمات الثلاث من الوطنييين انقلبت إلى حالة توقف عن إتمام العمل الذي بدأت به . ففي منشوريا عاد الشيوعيون إلى استعمال الأساليب التي كانوا يقاومون بها اليابانيين ، فأحاطوا بكل مدينة من المدن التي استولى عليها الوطنيون . فصارت الجنود الوطنية محصورة على حين لا يسيطر الشيوعيون على الأراضي فيما حول المدن . وفي شانتونج تمكن الشيوعيون من اختراق الجيوش الوطنية وعبور النهر الأصفر وقاتلوا في معركة غير حاسمة

يظن بعض الساسة أن الشرارة الأولى لأى نضال ينشب بين الروس والأمريكان سوف يبدأ في الشرق الأقصى . ذلك ما يقوله هؤلاء الساسة وإن كان غيرهم يشير إلى مواقع أخرى قد يحدث فيها الاحتكاك . ومهما يكن من شيء فإن الأخبار عن الصين قليلة ، حتى ليس المرء أية معلومات يعثر عليها في المجلات تكون مكتوبة بقلم رجل خبير . ولقد نشرت مجلة «القرن التاسع عشر وما بعده» بحثا من هذا النوع بقلم مستر توني جيسون الذي قام وقتا طويلا بعمل إداري في شمال الصين ، وعهد إليه بمهمة المفاوضة مع الشيوعيين في الصين ؛ فهو إذن يكتب عن خبرة . وهو يقول إن الحياة في الصين قائمة على المساومة ثم الاتفاق . فإذا أراد التاجر الصيني أن يبيع أو يشتري فإن المعاملة تفقد كثيرا من جديتها إذا لم تتم على المساومة . وما يتفق عليه الطرفان ليس هو ما يؤملان فيه ولكنه نتيجة لجهودهما . ولذلك يجب الصينيون الاتفاق على الأسور ، وهذا ما يحدث حتى في الحروب ؛ فإن الحروب في الصين قد تكون مضيعة للوقت ولكنها لا تؤدي إلى نهك قوى الصينيين . وعند ما يتقابل جيشان متعاديان لرعيامين مختلفين في تلك البلاد ويكون أحدهما أضعف من الآخر ضعفا ظاهرا ، تقوم بينهما المفاوضة وتؤدي عادة إلى انسحاب الضعيف منهما من ميدان القتال . فترى الفريق الأقوى منها يترك للضعيف الفرصة كي يعترف

وحصله عن الأزمة التي تواجه الصين الوطنية . فقد ظلت الحكومة الوطنية عدة سنين نهيا للاستغلال السياسي والاقتصادي على يد رجال الحزب ، ويستعمل الوزراء سلطتهم للربح غير المشروع . وقد رأى الحلفاء في أثناء الحرب أن يفضوا عن هذه الأمور حفظا للوحدة . ومع ذلك رأى القائد الأمريكي جون ستول أخيرا أن الاستمرار على هذه السياسة يسيء إلى الأمور أكثر مما يفيدها .

ولم تعمل الحكومة الوطنية لاختفاء الحقيقة على العالم الخارجي وحده بل اتخذت من سلطتها وسيلة لكم أنفاس المعارضة داخل البلاد .

ولكن الأمور لا يمكن أن تستمر على هذه الحال ، إذ أخذت الحقيقة تظهر حتى لأشد أنصار القائد الصيني . ولقد أرسل الجنرال فيدمير الأمريكي في بعثة إلى الصين لبحث الموقف وكان تقريره خطيرا ، حتى عدل الرئيس ترومان عن إذاعته . ولكن الجنرال نفسه تكلم عند مغادرته للصين عن الموظفين الذين تنقصهم الكفاية أو تعوزهم الأسانة ممن يشغلون مراكز السلطة في الحكومة الصينية الآن . ولا يمكن لمثل دولة صديقة أن يدلى بمثل هذا القول دون أن تكون لديه براهين ساطعة .

ولقد سارت الأمور الاقتصادية بأسرع من الأمور السياسية خطى في طريق الخراب . فالتلاعب بالعملة على يد رجال المال في نانكين وشنجهاي أدى إلى فضيحة ظهرت أخيرا وقد اشترك فيها رجال وزارة المالية . ولقد اضطرت عدة مصانع صغيرة إلى إغلاق أبوابها بسبب التضخم في العملة . ففي نحو سنة ١٩٣٠ كان الدولار الصيني خمسة أضعاف قيمة الدولار الأمريكي ، وعند ما

في ميدان يبعد ثلاثين ميلا عن مدينة هانكاو . وقد أصاب الوطنيون نجاحا أكبر في الميدان الثالث حيث أبعدوا الوطنيين عن البحر .

ولقد طبل الوطنيون وزمروا باستيلائهم على مدينة ينان عاصمة الشيوعيين في السنة الماضية . ولكن الأمر انتهى إلى أن أحاط بهم الشيوعيون ، قصارت المدينة كأنها جزيرة في أيدي الوطنيين يحيط بها بحر من الجيوش الشيوعية .

ويعتقد الكثير من الرقباء أنه ليس لدى أي الفريقين المنازعين في الصين من القوة ما يستطيع به الوصول إلى انتصار حاسم في جميع الميادين . ولا ريب في أن الوطنيين مسلحون تسليحا جيدا بالأسلحة الأمريكية ، ولكن الشيوعيين يعتمدون على تمسك الشعب لهم في الجهات التي يسيطرون عليها وهو ما لا يحبه الوطنيون . ويأمل الشيوعيون في مساعدة روسيا إذا زادت مساعدة الأمريكيين للفريق الآخر . ويجعل هذا أن الفريقين عازمان على القتال إلى النهاية . ففي مساحة تبلغ مساحة أوروبا يأكملها لا تجد ضامنا للحياة ولا للمعيشة ، وكل فريق يعتمد الفلاحين في وحداته . وإذا كان الرأي العام يميل إلى الشيوعيين فإن الذين يميندون لا يقابلون هذا العمل بالحماسة . وتجهد كل فريق يرتكب فظائع ضد الفريق الآخر زاعما أنه إنما يفعل ذلك انتقاما .

وقد أخذت الصناعة في تلك البلاد تختنق تدريجيا . وقد حاول الشيوعيون في منطقتهم أن يمنعوا التجارة مع المنطقة الأخرى ولكن هذا غير مستطاع ما دامت الصناعة في تلك المنطقة غير متقدمة . وفي منطقة الوطنيين أدخل الخضم بالمواصلات حتى صار مرور البضائع صعبا جدا .

وليس هذا القتال القائم هو المشغول

الوطنية كثيرا من الأنظمة التي كانت متبعة في البلاد الألمانية تحت النظام النازي ، فألفت من الشباب الناصر لها جنودا تستخدمهم جواسيس ويكونون أداة لها في امتداد سطوة الحكومة . ويعد الأجني من أنواع الشرطة في الصين مالا يستطيع تمييزه ، ولكل من هذه الأنواع واجبه المدني والسياسي . وفي جهات كثيرة مثل شنجهاى التي هي بعيدة عن ساحات القتال قعد الأحكام العرفية قائمة منذ سنين ولا حد لسلطة القواد العسكريين .

ومنذ شهر أبريل الماضى خرج آلاف من طلبة الجامعات في كل مدينة من المدن الصينية إلى الشوارع وهم يتادون بالرغم من السياسيين بوقف الحرب الأهلية ، ولا يزالون يطالبون بذلك وإن كانت بعض الجامعات تحيط بها الأسلاك الشائكة ويقف حولها رجال الشرطة بأسلحتهم .

وعلى أثر أول صدام بين حركة الطلبة والحكومة الوطنية في مايو ويونيه الماضيين هدأت الأمور مؤقتا في حين أخذ كل من الفريقين يجمع جموعه . وقد أرسل القائد العام باقة من الزهر لتحمل في جنازة الطلبة الذين قتلوا بيد الشرطة ، وظهرت نداءات داعية إلى ضبط النفس والابتعاد عن العنف . وبما يلاحظ أن هذه النداءات كانت موجهة للمعتدى عليهم لرجال الشرطة والجيش . ولكن يظهر أن الزمن الذى تذرف فيه دموع التماسيح قد مضى وتجددت الأنباء الآن بعودة المشاغبات وعودة القبض على الطلبة . ولقد أظهر الطلبة شجاعة وإصرارا ، ولكن هاتين الصفتين ليستا كل ما يميزهم بل خير صفاتهم هو الاحتمال . فهم الآن واقفون بين الفريقين المتطرفين اللذين يمزقان الصين تمزيقا . فهؤلاء الطلبة يتادون بأن على الفريقين أن يسويا ما بينهما من خلاف

ثبتت الحرب الأهلية هبطت قيمة الدولار الصينى قبلت في سنة ١٩٣٧ خمس الدولار الأمريكى ، وفي سنة ١٩٤٥ صار سعر الدولار الأمريكى ألف دولار صينى ، وهو الآن ٩٣ ألفا ، ومع ذلك لا يزال التضخم مستمرا .

ولقد نشر أخيرا أحد الكتاب الصينيين مقالا عن سقوط دولة شنج التي حكمت بلاد الصين قبل أثنى سنة ، وفيه يقول : إن هذه الدولة جمعت السلطات في يدها ، وإن هذا الجمع للسلطة مع اتخاذ قوانين استثنائية قد أدى إلى التضال والثورات . وقد لفت هذا المقال الأنظار واعتبره الناس ميلا لوصف الحالة القائمة لا لوصف سقوط دولة تاريخية . ولكن من الملاحظ أن الصين كثيرا ما تتقلب على رجليها الحكمة حين تبدو الأمور في أشد الخطر ، فتعود الأمور إلى تسوية معقولة . وبما يلاحظ أيضا أن الطلبة في الصين مثل زعمائهم يتراوحون أحيانا بين التطرف في العمل والخضوع مع السكينة ، وكثيرا ما هبوا لانتقاد بلادهم . وفي سنة ١٩١١ أيدوا رسالة الدكتور سان يات سن ولصروه فأثروا بذلك في الملايين فكانت النتيجة طرد الأسرة المالكة وتولى الدكتور سان زعامة الصين الحديثة . وكان الطلبة هم الذين نشطوا في سنة ١٩٢٦ ونظموا الجماهير الجاهلة للقضاء على سلطة الحكام في الولايات الصينية .

والآن تقدم الطلبة مرة أخرى لانتقاد الصين ، فاحتجوا على استمرار الحرب الأهلية والرشوة التي انتشرت في مصالح الحكومة المختلفة ، وذلك بالرغم من تهديدات الحزب الحاكم وبالرغم من المسكرات التي حجزوا فيها والاعتداءات التي لاقوها من رجال الشرطة السياسية . ولقد استفادت الحكومة

على الاستغلال التجارى الأجنبى . وقد ظهرت أكبر النتائج لهذه الحركة فى المدن الكبرى التى بها جامعات فى الأشهر القلائل الأخيرة . فهم لم يكتفوا ببيع المصنوعات التى صنعوها بأنفسهم فى الشوارع ، بل قصدوا التجار الصينيين فى كل مدينة واتفقوا معهم على بيع مصنوعاتهم وتقسيم الربح بين التاجر وبين صندوق الأموال الذى يقضى حركتهم . وقد حدث فى المدن الساحلية مثل شنجهاى أن فقدت الحوانيت الأجنبية عملاءها بين يوم وليلة ؛ إذ صار الناس فى كل مكان يصفون إلى تداء الطلبة : « اشتروا البضائع الصينية ولو كانت من نوع أقل جودة فإن ذلك هو السبيل الوحيد لاستقلال التجارة الصينية » .

وكان أثر هذه الحملة عميقا ؛ فلم يمحض أسابيع حتى استطاع الطلبة بجهودهم أن يدبروا من الأموال ما يكتفيهم للاستمرار فى دراساتهم بالرغم من أن الحكومة قررت معاقبة الذين يعارضونها منهم بالخرمان من الحماية .

وفضلا عن ذلك فإن طبقة التجار البعيدة عن السياسة صارت تؤيد قضية قيام حكومة متألفة .

وإذا كانت حركة الطلبة متجهة فى أساسها نحو الاقتصاد الوطنى فإن لها تأثيراً آخر إذ اتجهت نحو الأحزاب الديمقراطية فى الصين . ولقد أخذ الأحرار يتبعون خطوات الطلبة فى شئ من التردد . فقد كانوا خائفين من بطش الحكومة ، ولكنهم أخذوا يرفعون الصوت تأييدا للطلبة ، وأبدى المعلمون والأساتذة بل موظفو الحكومة أنهم فى صف أولئك الذين يعملون لحياء الوطن .

هذه هى الحرب القائمة داخل الحرب

وهم لا يريدون الصلح بأى ثمن ، وإنما يريدون وقف تلك الحرب التى ستقضى على البلاد حتى تستأنف البلاد العمل لاعادة بنائها الاقتصادى وإحياء القيم الاخلاقية .

وبما يسترعى النظر فى حركة الطلاب ما حدث بها من تغير منذ شهر يوليه الماضى . فقد كانت هذه الحركة تجار بالشكوى من غلاء المعيشة وتدخل الحكومة فى الأمور الحربية والقضاء على التعليم إلى الأمور الحربية ولكن الطلبة الآن لا يهتمون بالشكوى بقدر اهتمامهم بوسائل العلاج . وأول علاج يرونه ضروريا هو وقف الحرب الأهلية وأن يبدل بالحكومة القائمة حكومة تتألف من المعتدلين من رجال اليمين واليسار . ولكن الطلبة يحاولون شيئا أكبر خطرا من ذلك ؛ فقد قرروا أن يقوموا بثلاث واجبات هامة : أولها أن يعملوا لضم الفلاحين إلى حركتهم وأن يحيا فكرة تربية الجماهير . وأخذ الطلبة يقصدون القرى ليتدثروا هذه الحركة من أولى درجات السلم ويعلموا الفلاحين مبادئ القراءة . وهم يحملون رسالة أساسية للاقتصاد القومى فى الصين اليوم ؛ فهم يريدون أن يقيموا فكرة الاعتماد على النفس كما نراها فى إحياء الصناعات الريفية بطريقة تعاونية . وهى حركة تعد فى مبدئها بالنسبة لجهودات الطلبة ، وإن كانت قد انتشرت منذ عشر سنوات لغرض آخر هو إيجاد مصنوعات يستغنى بها الجيش فى مقاومته لليابانيين . وقد أخذ الطلبة يصنعون بأنفسهم مصنوعات يستطيعون بيعها فى الشوارع لمساعدة حركة الطلاب . وهم يتوسعون أيضا فى رسالتهم ، فهم يريدون أن تكون الصين مستغنية بنفسها لا تعتمد

الاهلية الأخرى في الصين وإن كان الناس لا يعرفون عنها كثيرا . من اصحفت بوقت ، والصحيفيين قبحس عليهم ، واسياسس محطون أو يفرض عليهم احجر في سارهم . ولكن يارعم من ذلك

تسرب الأنباء بأن النضال مستمر . ولا يزال الفريقان المتطاحنان يمزقان أوصال الصين ، ولكن هذه القوى الحيوية تعمل لاجلاء البلاد وإتقاذها من الموت .

بريطانيا وحكومة المال

في مقال ساخر - بمجلة «بارتيزان» عدد ٥ - وصف الكاتب آرثر كيستلر حالة إنجلترا وصفا طريفا ، بدأه بلفظ يسترعى به الانظار سائل فيه ما السبب في أن الكاتب - أي كيستلر - يعد نفسه سعيداً في السنة الثالثة من حكم الاشتراكية البريطانية في إنجلترا لو أنه كان كاثوليكي العقيدة وكانت له جدة مريضة ؟ وهو يجيب على هذا اللغز بقوله : إنه لو كانت له جدة مريضة لسمحت له الحكومة البريطانية بما يكفيه من البنزين ليأخذها بسيارته مرة في الأسبوع للصلاة في أقرب كنيسة كاثوليكية وهي في مدينة بنجور على مسافة ٥٠ ميلا ، وبهذه الطريقة يستطيع أن يذهب إلى أماكن عدة ويرى العالم من حوله . ولا ريب في أن الجدة لو كانت تابعة للكنيسة الانجليكانية أو الويزلية لنفعت في مثل هذا الأمر ، ولو أن الكنائس تكون أقرب في المسافة وأن البنزين يكون أقل . وهو يقول إنه خال من مثل هذه القرابة ، وليس من الذين يرتادون الكنائس ؛ ولذلك فهو في موقف صعب ، وهو يعيش في تلال ويلز وسكنه يبعد عن موقف السيارات العامة في الريف بنحو ميل . وهذه السيارات لا تعمل بعد الساعة التاسعة مساء ولا تعمل مطلقا في يوم الأحد . وأقرب بلدة يوجد فيها حوانيت وسينما ومحطة للسكك الحديدية من القرية التي يعيش فيها تبعد ميلين . وهو يكون سعيدا لو منح ترخيصا خاصا بأن يذهب لشراء حاجاته مرتين في الأسبوع . على أنه لا يسمح له إلا بشراء حاجته والا يكون له الحق في أن يستعمل القطارات التي يعطاها من البنزين لهذا الغرض في زيارة صديق أو الذهاب إلى السينما أو تناول الطعام خارج الدار . وعلى كل رجل من رجال الشرطة أن يبلغ عنه لو رأى سيارته متحركة أو واقفة في أي مكان خارج عن أقصر خط يصل بين داره وأقرب الحوانيت إليه . ومعنى هذا أن يقضى الشتاء بأكمله هو وزوجته دون أن يستطيع زيارة الأصدقاء أو الذهاب إلى مطعم عام أو دار سينما أو مسرح أو محاضرة أو حفلة موسيقية . وتفكر في هذا الأمر قبل أن تستمر في القراءة .

وهو يدعونا إلى التفكير في أن هذه حال مئات الآلاف من الناس يعيشون في الريف ولا يجدون وسائل النقل ، فهم لا سيما في فصل الشتاء حين تظلم الدنيا مبكرة ، ينقطعون عن الحياة الاجتماعية والثقافية ، وكأنه فرض عليهم الحجز في بيوتهم ، على أنهم في يوم الأحد يستطيعون الذهاب بسياراتهم في موكب إلى الكنيسة . والعجيب في الأمر أن حكومة اشتراكية

نقص في الأيدي العاملة ، وبها فضلا عن ذلك نقص في المساكن للأسر الوافدة . هذه الكلفة ولا تشير إلى ما سيحدث في المستقبل إذا عاد الناس إلى استعمال السيارات ، وكيف يعود هؤلاء الناس إلى عملهم الأصلي وديارهم الأصلية . وعلى الجملة لكي تقتصد الحكومة من خمسة إلى عشرة في الألف من مجزها في الدولارات نراها تشل حركة النقل الخاصة وتضع عينا جديدا على وسائل النقل العامة ، وهي بعد مثقلة بما يكفيها ، وهي تنزل عن باب هام من إيراداتها تفكك أوصال صناعة هامة منتشرة في جوانب البلاد ، وهي تحول بين طبقة كبيرة من السكان وبين التمتع الاجتماعي والثقافي . وهي تغضب الطبقات الوسطى والتي هي أقل من الوسطى والعليا من طبقة العمال لدرجة رضى أثرها في الانتخابات البلدية حين حاققت بمرشحي العمال هزائم منكرة ، فهي تسير على سياسة إنفاق دينار لكي تقتصد درهما .

وانتقل الكاتب بعدئذ إلى الجانب السياسي من هذا التقييد ثم قال : هكذا تستمر الحكومة في قتل روح حب العمل . فإذا اختفت هذه الروح نرى ظهور أعراض نفسانية أخرى منها تلك الموجة من الاضرابات التي يصح أن نسميها الاضرابات النفسية ؛ فهي ليست إضرابات اقتصادية رغبة في زيادة الأجور ، ولا هي إضرابات سياسية ، بل هي مجرد انفجار في الغضب من تلقاء نفسه يكون أحيانا لأسخف الأسباب مثل إضراب عمال الفنادق الذي حدث أخيرا . وكثيرا ما يكون الاضراب موجها إلى الإدارة السيئة للصناعات التي أعت كاضراب عمال الناجم في يوركشير ، وهناك أغراض أخرى . ولكنها صادرة عن المصدر النفسي ذاته ، مثل ذلك العدد من الانجليز الذين

ترى أن الذهاب إلى الكنيسة أهم من المحاضرات والمسارح والاجتماعات . وليس لهذه الظاهرة ما يماثلها غير مقاطعة الحكومة البريطانية لانتاج الكتب . وليست هنالك كلمة أخرى تصف السياسة التي تجرى عليها تلك الحكومة حين تخفض من الورق الذي يعطى للتأشيرين . وينتقل الكاتب بعد ذلك إلى البحث فيما يعنيه منع الناس من استعمال سياراتهم من الجهة الاقتصادية ، وهو يقول إن الحكومة البريطانية تزعم أنها توفر بذلك ما قيمته ٤ مليون دولار من البنزين الذي تستورده من الخارج ، ولكن نقادها ومنهم أعضاء في حزب العمال يرون أنها لن تقتصد أكثر من عشرين مليونا . وقد ظهر حتى الآن أن تقاد الحكومة في الأمور الاقتصادية كانوا دائما على حق في حين كان المدافعون عنها خاطئين . ومع ذلك لو أننا قبلنا تقدير الحكومة فإن هذا الشلل الذي يصيب المواصلات في بريطانيا لن ينقص من العجز الناشئ عن قلة الصادرات غير ١٪ من مجموعها . وتعترف الحكومة فضلا عن ذلك أن خسارتها في ضرائب السيارات تزيد كثيرا على المبلغ الذي اقتصدته ، ولكنها تعتذر عن ذلك بأن الضرائب تدفع بالعملة الاسترلينية لا بالدولارات ؛ ولذلك كانت هذه الخسارة غير مكروهة . ثم تعترف الحكومة كذلك بأن عددا كبيرا من عمال الآلات الخاصة باصلاح السيارات وعمالات البنزين وغير ذلك لا يحدون عملا ، ويقول الحكومة مع ذلك إن هذا الأمر لا يهم ؛ فإن صناعات أكبر انتاجا سوف تتشربهم . وكلمة التشرب هذه كلمة موقفة نافعة ، وهي لا تشير إلى الكيفية التي بها تنتقل الأسر من الأماكن التي قل بها العمل إلى الأماكن التي بها

الالتجاء إلى الخوافز القديمة كاللدوة إلى الجامعة السلافية وعبادة الزعيم والعمل القهرى والقضاء على الاضطرابات وعلى الوراثة وعلى امتيازات الطبقات وغير ذلك. أما بالنسبة للاشتراكية البريطانية وهي اشتراكية اصلاحية وتدرجية ، فان مشكلة الخوافز تتخذ شكلا آخر . وليست بظاهرة الأهمية كما هي في حالة روسيا بعد الثورة البلشفية الاجتماعية ، ولكنها حاسمة بقدر ما هي في روسيا في غياح هذه الاشتراكية أو إخفاقها . ولما كانت سياسة حزب العمال في الصناعات التي أقيمت ووضعت تحت إشراف الحكومة هي سياسة أكثر عدلا وديمقراطية وأشد تحيقا لأراء اليساريين من الوجهة الاقتصادية عن سياسة نظام ستالين فهي لا تلتجئ إلى تلك التفرقة العجيبة بين الأجور وامتيازات نظام الساخونيفين والاستقلال والارهاب الذى هو محور استمرار الصناعة السوفيتية ، ولا هي تقدم تلك الخوافز المباشرة للنظام الرأسمالى ؛ إذ يؤدي العمل إلى التقدم المادى ويزيد هذه الخوافز قوة الخوف من العطلة وهذا ما نراه في الصناعة الأمريكية .

تلك هي المشكلة الأساسية للديمقراطية الاجتماعية البريطانية ، كما أنها مشكلة لكل نظام ديمقراطى ، وهى ميراث من النظام السابق الذى انتقل إلى يد الديمقراطية من يد الطبقة الحاكمة بعد الانفلاس التام . ولا يمكن حكومة العمال أن تحمل هذا المشكل إلا بقوة خيال كبيرة تبذل في سبيل ذلك ، ويجب أن تبعث الوعى الثورى الحقيقى في نفوس الجماهير ، وأن يزداد الشعور بالمسئولية لافى النقابات الوطنية ونظائرها البيروقراطى ، وإنما في رجال المصانع أنفسهم وفي أنظمة أندية العمال ومعسكرات النزهة وغيرها من

صاروا بين أولئك الذين لا يحاولون العمل وبين رجال العصابات . وتعلن لاحصاءات الرسمية أن هنالك نحو ربع مليون من هؤلاء يتهربون من تسجيل أسمائهم في سجلات نقابات العمل ويشغلون في السوق السوداء ويشغلون وقت الشرطة المخصصة للمجرمين ، ويزداد هذا العدد باطراد . ولقد كانت بريطانيا منذ سنة تفخر بحق بأنها الدولة المحاربة الوحيدة التى لا تسود فيها السوق السوداء ، ولكن الحالة اليوم قد تغيرت ؛ فقد أخذ الزراع يذبحون ماشيتهم بطريقة غير مشروعة كما يحدث في فرنسا . واعترفت وزارة اتومين أخيرا أنها غير قادرة على منع هذا العمل . وهذه الأغراض وكثير غيرها تدل على ضعف في القوة الأخلاقية في البلاد . وهذا ناشئ من أنه حيل بينها وبين فيتاسينات روح الابتداع والدوافع على العمل وقوة الآمال . ومن أعجب هذه المظاهر النفسانية ذلك الحيتون الذى استولى على العقول ودفع بها في تيار المراهانات بما لم يكن له مثيل . فقد كان الناس في بريطانيا يراهنون دائما على لعب الكرة والخيل والسكالب ، ولكنهم انتقلوا الآن إلى أسخف الأمور كاللراهنه على آخر رقم على تذكرة الترام أو الحرف الأول من عمود من أعمدة الصحف السائبة . وقد يكون الرهان تافها ولكن المسألة لا تتعلق بالنقود بل هي الرغبة في شئ من التسلية القليلة في بلد حرم التمتع .

ويقول الكاتب إنه يطيل الكلام على هذه العوامل لأنه يعتقد أن مشكلة إيجاد الخوافز على العمل هي أهم وأصعب مشكلة في الاقتصاد الاجتماعى . وهو يرى أن إخفاق الاشتراكية في روسيا ناشئ من انتهاء الخوافز الثورية وما تبع ذلك من ضرورة

أنواع وسائل الترفيه . وفي عبارة أخرى
تقوية الشعور السياسى والتمتع بالحياة .
ولكن الناس لا يحدون الآن في بريطانيا
غير الاعلانات القاتلة : إما العمل أو
الحاجة ، ولا يحدون غير المواعظ والحكم
على استعمال السيارات بالاعدام .
ولو استمر هذا الحال سنتين آخرين
لخسر حزب العمال الفرصة التاريخية خسارة
لاتعوض ، ويذهب في الطريق التى سلكتها
من قبل الأحزاب الديمقراطية فى ألمانيا
والنمسا وفرنسا .
ولقد بدت الظواهر الخطيرة التى حدثت
مثلها من قبل فى أحزاب القارة الأوروبية
فى معاملة حزب العمال البريطانى للطبقتين
الوسطى والعالية ، فقد أخافت جمهورية فيمار
الألمانية أصحاب المصانع فى الروهر
ورجال العسكرية فصاروا أعداء ألداء لها ؛
فقد ظلت تحزهم بالابر ، ولكنها نسيت أن
تكسر من شوكتهم فكانت النتيجة محتومة .
ومثل ذلك حدث فى النمسا ، ومثل ذلك
حدث فى فرنسا زمن الجبهة الشعبية ، وهو
مظهر يتكرر مع تعديل بسيط محلى .
وكان مصارع الثيران الشاب قد دخل
الساحة والمخني لجمهوره المتحمس وبدأ يرفع
رداءه الأحمر فى وجه الثور حتى جن الحيوان ،
ولكن فى اللحظة الحاسمة ظهر له أنه نسي

سلاحه فى المنزل ، وحينئذ لا بد أن يحمل
على الحفة صريعاً أمام جمهوره الذى يلتقى
عليه الوسائد والبيض إظهاراً لسخطه .
وفى عبارة أخرى لا تستطيع حكومة
اشتراكية إلا أن تختار بين أمرين : إما
القضاء على الطبقة الحاكمة القديمة ، وإما
إيجاد وسيلة للعيش معها . وقد حاولت
كل حركة اشتراكية ديمقراطية تولت
السلطة فى أوروبا منذ سنة ١٩١٨ أن
تتجنب هذا الاختيار . وفى كل مرة كانت
الحركة تخفق ضحية لمحاولة تجنب هذا
الاختيار . قد يقال إن تاريخ بريطانيا
الاجتماعى هو سلسلة من الاتفاقات وحيدة فى
بابها ، ولكن العوامل الجغرافية والسياسية
والنفسانية التى أدت إلى هذا ليست قائمة
الآن ، وإن الاعتقاد فى القوة السحرية لمعالجة
المسائل بالاتفاق فى مثل الخلاف بين عمال
المناجم ورجال حى المدينة وبين الدولية
ووزارة الخارجية البريطانية ، هو اعتقاد
لا أساس له كالاقتصاد الراسخ فى قيمة
السفن الحربية من طراز المدرعات الكبيرة ،
والاعتقاد فى قوة الأعشاب العلاجية بدلا
من السحب ذات النشاط الاشعاعى .
ثم أخذ الكاتب يسرد أمثلة على عدم
توفيق الحكومة البريطانية فى معالجة
الشؤون الداخلية والخارجية .

ظهر حديثا

مشروعات السنوات الخمس للدكتور راشد البراوى (مكتبه النهضة)

يبحث هذا الكتاب في الباب الأول منه عن حالة روسيا في عهد الحكم القيصري إلى أن وصلت للنظام السوفيتي . فهو يصف حالتها قبيل الحرب العظمى الأولى من الوجهة الاقتصادية ، ثم ما كان للحرب من أثر فيها كانت نتيجته انقلاب نظام الحكم في سنة ١٩١٧ .

وفي الباب الثاني تناول الكتاب عهد التجارب والأخطاء في النظام السوفيتي ، فكان الكلام على خواص الاقتصاد السوفيتي والتجارب التي جربها زعماء هذا النظام ، والأنظمة الاقتصادية والمالية العدة التي كانت تجرب ثم تعدل أو تطرح جانبا .

وانتقل الكتاب إلى عهد النظام الاقتصادى المرسوم ومشروعات السنوات الخمس ، فتكلم عن كنه هذا النظام ، وعن الثورة الزراعية الثانية ، وعن الانقلاب الصناعى الحديث ، ثم النقل والمواصلات ومسائل الأجور ، واتحادات العمال والتجارة الداخلية ، ونظام التوزيع بالبطاقات ، وتنظيم التجارة الخارجية والمالية العامة ونظام الائتمان ، ثم مشروع السنوات الخمس الرابع . وفي الساب الرابع عالج الكتاب المشروعات المرسومة في البلاد الرأسمالية ، وأقرء فصلين أحدهما لمشروع السنوات الخمس في الأرجنتين ، والآخر للسياسة المرسومة في مصر .

فأنت تجد من كل هذا كتابا مقيدا غاية الفائدة ومرجعا طريفا لا يمكن أن يستغنى عنه الذين يريدون أن يسيروا مع الزمن .

أهدى الدكتور راشد البراوى هذا الكتاب الجديد بين كتبه العديدة التي يخرجها متتابعة ، إلى الذين يؤمنون بقيمة النظام وأهمية التنظيم العلمى الدقيق . وهذا هو البرنامج الذى قصد إليه في وضع هذا الكتاب ؛ فهو يعالج موضوعا فريدا في بابه وفريدا بصفة خاصة في عالم الكتب العربية ، وما يزال هذا الموضوع غامضا في اللغات الأجنبية . عالجه بعض الكتب ولكنها لم تصل إلى نهايته ، ولها العذر في أنها لم تصل ؛ لأن التجارب الحديثة التي تجري الآن في روسيا يحجبها أمران : أولهما أن هذه التجارب لاتزال في طورها فلم تصل إلى غايتها بعد وإن ظهرت بعض نواحي الفائدة منها . والثانى أن حجب السياسة وغيومها المتكاثرة تلبى إلا أن تلقى ستارا بين الناس وحقائق الأشياء . فالكاتب الذى يتجرد إذن لهذا البحث يجد صعوبات تكاد تقف حائلا في وجهه دون الوصول إلى الحقيقة وهذا مما يبعث على اليأس . ولكن الدكتور راشد البراوى تعود في كتبه السابقة أن يهجم على الحقائق باسم غير مكترث مطرحا كل اعتبار إلا خدمة الحقيقة بقدر ما يستطيع . وهذا هو الغرض الذى يرى إليه من بحوثه الواسعة في موضوعات لم يطرقها الكثير من كتاب اللغة العربية ، وهم إذا طرعوها لم يوسعوها بحثا كما فعل الدكتور راشد البراوى في هذا الكتاب الطول وفي غيره من كتبه سابقة .

الشرق الأوسط للبكباشي عبد الرحمن زكي (مكتبه النصية)

في الاسلام ، وفي قوب الموقع ، فوضع هذا الكتاب ، وأطلق عليه التسمية التي عرف الأوربيون بها أخيراً هذه الدول .

فهذا الكتاب دراسة شاملة سريعة لمصر والسودان واليمن وإمارات الجزيرة وإمبراطورية إيران وملكة العراق وجمهورية تركيا وجمهورية سوريا وجمهورية لبنان والملكة الأردنية الهاشمية وفلسطين وأفريقيا الشمالية وهي بلاد ليبيا وتونس والجزائر ومراكش .

وقد ذكر المؤلف مساحة كل دولة من هذه الدول وسكانها وتقاسيمها وموارد ثروتها وأحوالها السياسية وجيشها وصحافتها وغير ذلك مما يهم كل باحث . فالكتاب مجموعة سهلة للوقوف على طائفة كبيرة من المعلومات عن هذه البلاد من أيسر سبيل .

ثم أفرد المؤلف فصلاً تكلم فيه عن ملوك العرب ، وقصلاً آخر ذكر فيه مشاهير الرجال في هذه البلاد ، ثم ختم الكتاب بفهرس الأعلام ومراجع الكتاب .

وقد طبع هذا الكتاب طبعا أنيقاً وحلى بالصور والخرائط التي توضح معالم هذه البلدان ، كما أتى بصور ملوكها ورؤسائها . ويعد هذا الكتاب غاية في حسن الترتيب الذي يمكن أن يصل إليه المؤلف المتمكن من موضوعه ، والذي جرى قلمه طويلاً ضارباً في فنون الكتابة والبحث .

هذا الكتاب هو أحدث الكتب التي أخرجها البكباشي عبد الرحمن بك زكي في مختلف البحوث التاريخية . فهو فضلاً عن دراسته الحربية قد تعمق دراسات الآثار الإسلامية . وهو رجل دعوب لا يكل عن البحث في تاريخ مصر والشرق بصفة خاصة . وكتبه العديدة التي أخرجها للناس تدل على مادة واسعة واهتمام بأن يفهم الشرقيون بلادهم .

وهذا الكتاب الأخير أراد به أن يعرفنا ما هو الشرق الأوسط الذي تردد ذكره في أيام الحرب ، وأى البلاد يصح أن يطلق عليها هذا الاسم . والحقيقة أننا كنا ألفنا إلى ما قبل الحرب أن نسمع كثيراً عن الشرق الأدنى ، ولم نكن نسمع عبارة الشرق الأوسط . حتى إذا أعلنت الحرب وتقسمت الجيوش المقاتلة رأينا عبارة الشرق الأوسط تطلق على تلك البلاد التي كانت تعرف بين الكتاب الأوربيين بالشرق الأدنى ، ورأينا هذه العبارة تنسج حتى تشمل بلاداً تعرف في اصطلاحنا العربي بالمغرب .

فلتكن هذه التسمية ما تكون ؛ فليس من شأننا أن نهتم بما يطلقه الأوربيون علينا من أسماء . ولكن البكباشي عبد الرحمن بك زكي أراد أن يتكلم عن دولنا للعربية ، وأراد أن يتكلم عن الدول البعيدة عن العربية ، ولكنها تشاركنا

مشكلة التحليل النفسى فى مصر للاستاذ محمد فتحى بك (طبع مطبعة مصر)

قضى الأستاذ محمد فتحى بك زهرة العمر فى القضاء ، وارتقى فى مناصبه حتى صار مستشاراً فى محكمة استئناف مصر . ولكنه كان من الذين لا يقنعون بالعمل القضائى ومتاعبه ، بل كان ينفق كل وقت يمْضيه غيره من زملائه فى الراحة فى البحث والدرس وعلم النفس . وقد عرف قدره فى هذه المباحث ، فانتدب لتدريس علم النفس الجنائى بكلية الحقوق بجامعة فؤاد الأول . وانهز هو أول فرصة أتاحت له فاعتزل مناصب القضاء وتفرغ للعلم الذى أغرم به ، وانقطع للتعليم بهذه الكلية ، وانقطع أيضاً للتأليف فى علمه المحبوب .

وهذا البحث الذى يضعه اليوم بين أيدي القراء هو خلاصة مجملة للمباحث النفسية والتحليل النفسى وتطور هذه الدراسة فى القرن العشرين وبجاء هذا العلم وحدوده وقوائمه . ومنه يستطيع التعلم أن يقف على قيمة التحليل النفسى وعلى وسائله ، ليقبل بعد ذلك على دراسة هذا العلم فى الموسوعات المختلفة وفى الكتب القيمة التى ظهرت فى اللغات الأجنبية واللغة العربية . ومن خير هذه الكتب الأخيرة الكتاب الذى وضعه فتحى بك من قبل .

ديودور الصقلى فى مصر للاستاذ وهيب كامل (دار المعارف)

أراد الأستاذ وهيب كامل أن يهدى إلى قراء العربية وإلى أبناء وطننا خاصة كتاباً قديماً يهم المصريين الوقوف عليه لأنه مصدر من مصادر تاريخهم ؛ فاستخلص من التاريخ العام الذى كتبه المؤرخ ديودور الصقلى ، وهو المؤرخ اليونانى الذى عاش فى القرن الأول قبل المسيح والذى كان مقياً فى مصر — على تحقيق الأستاذ وهيب كامل — بين سنتى ٥٩ و ٥٧ قبل الميلاد ، ما يخص تاريخ مصر ، ونقله إلى اللغة العربية نقلاً دقيقاً ، كي يستطيع المصريون الذين لا يعرفون اللغة اليونانية أن يقفوا على هذا المصدر من مصادر التاريخ المصرى .

وهذا عمل جليل يدل على أن تلك الفكرة الموفقة التى نادى بها قرضت تعليم اللغة اليونانية واللاتينية فى كلية الآداب بالجامعة المصرية كانت فكرة سديدة . وهذا نوع من ممارها ، وهو نوع نافع ، يزيده نفعا أن هذا النقل إلى العربية قد التزم فيه الناقل الأمانة . وبما يؤسف لما أن تمتدح ناقلاً على هذه الصفة التى يجب أن تكون أولى قواعد النقل .

وقد أظهر الأستاذ وهيب كامل اهتمامه الكبير بالبحث والدرس فى المقدمة التى كتبها عن ديودور الصقلى وحياته وتاريخه حيث عمل لاستجلاء كثير من المسائل الغامضة فى حياته .

نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين للدكتور عطيه مصطفى مشرقه (دار الفكر العربي)

فلم يترك أسرا من الأمور دون أن يذكره ويشير إلى مصدره .

وفي الباب الثاني تكلم عن السلطة التنفيذية ، فوصف الحكومة الفاطمية وتكلم عن الوزارة ورسومها وألقابها . وتكلم عن دواوين الحكومة الفاطمية وكبار الموظفين الإداريين والنظام الإداري ، ثم انتقل إلى النظام الحربي ودواوين الجيش ودواوين الجهاد ، ثم تكلم عن ديوان الاقطاع والنظام المالي وموارد الدولة وخارجها والاحباس والمكوس ، ثم نفقات الدولة والأرزاق والمراقب العامة وغير ذلك من البحوث الطريفة .

وعاد في الباب الثالث فتكلم عن السلطة القضائية ، فوصف أهم المناصب الدينية في عهد الفاطميين . وتكلم عن قاضي القضاة ثم بحث في آداب القاضي ورسومه وألقابه ، وتعيين القاضي وولايته واختصاصه النوعي والاقليمي وألقابه ، وقضاء ولاية المظالم والمحاسب . ثم ختم بحشمه بنظرة شاملة لعصر الفاطميين فتكلم عما نستطيع أن نسميه الحضارة الفاطمية . وأتى المؤلف في نهاية بحثه ببعض الوثائق والسجلات الفاطمية وثبت المصادر ، وأتى بخرائط للدولة الفاطمية وخريطة لمصر السفلى وخريطة لطرق البريد .

فهو كتاب جليل يدل على مجهود عظيم وبحث مستمر وتحقيق دقيق ؛ فان المؤلف لا يكاد يذكر عبارة دون أن يبين مصدرها ؛ وذلك يدل على ما في صدره من تقدير للمهمة التي قام بها ولما يقتضيه البحث من أمانة .

أخذ الباحثون في التاريخ المصري يتجهون في بحوثهم أخيرا إلى دراسة عصر من أزهر العصور التي مرت على مصر وهو عصر الفاطميين ؛ فاتجهت طائفة من المؤرخين إلى البحث في عقائد هؤلاء ، واتجهت طائفة إلى البحث في تاريخهم . وقد أراد الدكتور عطيه مصطفى مشرقه وهو الذي جمع دراسة القانون إلى التعمق في التاريخ ، أن يعطى صورة لنظم الحكم في أيام الفاطميين ، أى في الفترة ما بين سنتي ٣٥٨-٩٧ هجرية ، فوضع هذا الكتاب الذي كان إضافة قيمة للمكتبة العربية . وقد أراد المؤلف أن يكون كتابه واقيا ، فابتدأ يذكر المصادر التي اعتمد عليها في كتابه وهي أمهات الكتب التي نشرت في تاريخ مصر في تلك الفترة ككتب المقرئزي والسيوطي . ولكن ما يميزه بصفة خاصة هو الرجوع إلى العشرات من المخطوطات المختلفة في مكتبات مصر وأوربا . فهو لم يدع وسيلة للاستقصاء والبحث لاتمام العمل الجليل الذي اتخذه على عاتقه إلا قام بها . ومن هذه المقدمة يطلعنا على أسرار عمله ، وبذلك نستطيع أن نعرف مدى الجهد الذي بذله في هذا السبيل .

ثم أتى المؤلف على خلاصة تاريخية للدولة الفاطمية قبل أن يدخل في موضوع الكتاب . وبعد ذلك قسم المؤلف موضوعه إلى ثلاثة أقسام توافق الجوانب الثلاثة لنظام الحكم ؛ فتكلم في الباب الأول على السلطة التشريعية فوصف الخلافة وميزاتها ، وولاية العهد ، ولباس الخليفة ، ونظام البلاط ، وذكر مسكن الخليفة ومحتويات قصره وحاشيته ،

كتاب الكنى الى المعنم بالله تحقيق الدكتور أحمد فؤاد الأهواني (دار إحياء الكتب العربية)

وقد وضع الكندي هذه الرسالة للتليف المعنم بالله ، تكلم فيها عما أسماه صناعة الفلسفة ، وعرفها بأنها علم الأشياء بقدر طاقة الانسان ، ثم تكلم عن أقسامها ثم عن مباحثها والفرق بينها وبين العلم الرياضى والعلم الطبيعى ، وغير ذلك من المباحث المتصلة بها .

وقد كتب الدكتور أحمد فؤاد الأهواني مقدمة بين فيها تاريخ الكندي وما عرف عنه ، وهو قليل ، واستبطن بعض الحقائق عن حياته . وفى هذه المقدمة بحث طريف يدل على الغزارة فى العلم والدقة فى التحقيق .

يعمل الدكتور أحمد فؤاد الأهواني ، فى جهوداته لنشر الثقافة الفلسفية ، لأحياء الآثار القديمة للفلاسفة الأقدمين من العرب الذين حذوا حذو اليونان فى هذه المباحث واقتبسوا منهم ثم زادوا عليه .

ومن أوائل هؤلاء الفلاسفة ومن أشهرهم أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي ، وهو الفيلسوف المسلم الذى اتجه إلى دراسة العلوم الرياضية والفلكية ، والنقل عن اليونانية ، مع أن أكثر الذين عتوا بالنقل من اللغة اليونانية فى الدولة العباسية كانوا من المسيحيين .

مقدمة لتاريخ الفلسفة الحديث *An Historical Introduction to Modern Philosophy* تأليف هيو ميللر Hugh Miller (مكميلان بنيويورك)

ومن ميزاته أيضاً أنه عالج تاريخاً طويلاً للفلسفة وعلومها وبحوثها فى نظرات شاملة مجملية ، لا يقف فيها إلا عند الأمور الهامة ولا يسجل فيها إلا ما يستحق التسجيل ، فهو يرسم لك صورة بارزة حية لذلك التاريخ الطويل ، بحيث تقف على الحقائق الأساسية ، ولا يفوتك من هذه الصورة غير ما لا حاجة إليه إلا عند التوسع والتعمق .

وقد قسم كتابه إلى أربعة أقسام : أولاً الانتداء العظيم ، وهو يتكلم فيه عن المسفة اليونانية بوجه خاص ، فيذكر نشاء العلوم ، وكيف تطورت النظريات الفلسفية إلى عصر سقراط ، ثم يسهب فى الكلام عن سقراط وأفلاطون وأرسطو والفلسفة فى العصر اليونانى الأخير .

أصدر الأستاذ هيو ميللر أستاذ الفلسفة فى جامعة كاليفورنيا بولوس أنجلوس ، هذا الكتاب القيم باللغة الانجليزية . وهو كتاب يتميز بعدة ميزات لا نجدها عادة فى كتب الفلسفة . فقد كتب هذا الكتاب بلغة مهلة خالية من التعقيد ، وجزلة حتى لتكاد تكون لغة أديب ، وهذا غير ما تعودناه فى كتب الفلسفة أو على الأقل فى كتب الكثيرين ممن يعالجون الفلسفة . وكان الفلاسفة يباهون بنوع خاص ، بتعقيد لغتهم وملء صفحات كتبهم باصطلاحاتهم احاصه . وكانهم يأمون أن تدول غمهم أيدى العامة . أما مؤلف هذا الكتاب فقد سعى لأن يكون كتابه فى لذته لدى القارى ، أقرب إلى القصة ، ولقد نجح إلى حد بعيد .

وفي القسم الثالث يتكلم عن الفلسفة الحديثة ومدى هبها المختلفة .
وفي القسم الرابع عالج ما ينتظر للفلسفة في المستقبل .
وإنما لثري أن الاطلاع على هذا الكتاب الذي ظهر حديثاً ، من أفيد ما يكون لمن يريد أن يتعمق في البحوث الفلسفية ؛ إذ هو مقدمة ترغب في المزيد .

وفي القسم الثاني يتكلم عما بعد ذلك من تطور إلى عصر الفلسفة الحديثة . فيتكلم عن المسيحية وعن فلسفات العصور الوسطى وظهور العلم الحديث . وينتقل إلى الفلسفة العقلية للعلم الحديث ، والتطبيقات السياسية ، وفلسفة كانت ، وتطور لفكرة في العلوم ، والفلسفة فيما بعد القرن التاسع عشر .

في مجلات الشرق

من سورية

العدد ٧٨ : ٣ (سنة ١٩٤٨)

القراء الذين طالعتهم هذه الأنباء الجنية على غفلة ، لم يجدوا عندهم من مقدمات العلم عن تلك البلاد العربية ما يربطون به بين ماضي تلك البلاد وحاضرها ويعينهم على فهم التطورات السياسية والاجتماعية فيها ومداهها وما يمكن أن تؤدي إليه ؛ إذ كل ما يعرف القارئ العربي عن اليمن هو حدها الجغرافي على التقريب إلى طائفة من المعارف الأسطورية عن مملكة بلقيس ، وسد مأرب ، وسيف بن ذي يزن ، أو سيف الاسلام عبد الله ، وزنايل ابن اليمن والمندوب « المستمع » في جامعة الدول العربية فك الله أسرهم وأحسن عاقبته ... ذلك كل ما هنالك ، أما نظام تلك البلاد السياسي ، وقانونها الأساسي ، وحالة أهلها الاجتماعية ، وصلة حكائها بالحكومين ، وعلاقتها بمن يحاورها من الانجليز في عدن ، ومن السلاطين في الحج وحضرموت ، ومن السعوديين في المملكة العربية — فذلك مجاهل لا يكاد ينفذ إليها قارئ من كل ألف قارئ في هذه البلاد العربية ...

وماذا كان يعرف القارئ العربي عن فلسطين قبل أن يخرق صياح أذنيه دوى الانفجارات الصهيونية في العهد الأخير ؟ وأين كانت في خياله من مصر ومن شرق الأردن ومن سوريا ومن لبنان ومن مطامع الصيوتيين ؟ أكاد أقسم كذلك أن قارئاً

هذا عدد خاص بالعراق تصدره مجلة سورية لتتقل إلى قرائها طائفة من المعارف الحديثة عن العراق الحديث توثيقاً لما بين أبناء العروبة من أواصر الاخاء والمودة . والحق أن الأمة العربية في طور نهضتها الاتحادية الحديثة ، في أشد الحاجة إلى أن يتعرف أبنائها بعضهم إلى بعض وأن يعرف بعضهم عن بعض ما يحقق معنى الأخوة التي رسخت جذورها منذ أبعد الآماد واتحدت أهدافها على الآباد . وما أخرى مثل هذا العدد الخاص من مجلة « الدنيا » السورية — من حيث هو فكرة — أن يكون مثالا لأعداد أخرى من مجلات عدة في مختلف بلاد العربية ، تهدف إلى توثيق الأواصر بين أبناء العروبة في مختلف أقطارهم !

إن القارئ العربي في مصر أو في سورية أو في العراق . أو في غيرها من بلاد العرب ، لا يكاد يعرف من شؤون البلاد العربية الأخرى إلا أسماء جغرافية وأعلاما سياسية إلى طائفة من الذكريات التاريخية العريقة في القدم لا تكاد توظف فيه الوجدان الوطني الذي يدفعه إلى الأمل والعمل . ولقد وقعت واقعة اليمن منذ قريب ، فاستبدل فيه إمام يمام ونظام بنظام ، وحل البرق أنباء ذلك الانقلاب إلى بلاد العرب وبلاد العجم ، فأكاد أقسم غير حاش أن أكثرية

المعارف عن بلادهم وبلاد إخوتهم وأبناء عمومته في الشرق والغرب ؛ وليس يرجى هذا العلم — أول ما يرجى — إلا من الصحافة ؛ فهذا العدد الخاص الذي أصدرته مجلة «الدنيا» السورية للتعريف بالعراق هو اتجاه مستقيم نحو غاية موقفة تلائم الهدف الذي يجاهد له العرب اليوم متحدين قلباً وذكراً وعزيمة .

ويعتني بصفة خاصة في هذا العدد أن أنهو بالبحوث القيمة عن «الأدب والأدباء في العراق» لمعالي الأستاذ محمد رضا الشبيبي ، و « النهضة الأدبية في العراق » للأستاذ محمد بهجت الأثرى و « الصحافة العراقية اليوم » للأستاذ سلمان الصفواني .

واحداً من كل ألف قارئ — ولعل مبالغ في حسن الظن — هو الذي كان يعرف من أحوال ذلك القطر العربي ما يتيح له أن يتتبع أحداثه السياسية بشئ من الفهم . ولو كان جمهور قراء العرب في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ يعلمون عن فلسطين ما يعلم اليوم عنها كل صبي وصبية ، ما جرؤ بلفور على أن يلقى تصريحه ذاك الذي حكم به بالموت على عشرات الآلاف أو مئات الآلاف من أصحاب هذه البلاد ومن الواقدين عليها ، ولما تطورت الحوادث في تلك البلاد المقدسة هذا التطور الذي ينذر البلاد العربية كلها بشر مستطير ! إن قراء العرب في حاجة إلى كثير من

من العراق

البياض العددان ٤٣ ، ٤٣ : ٢ (مارس ١٩٤٨)

عصور الجهل المتطاولة من نتاج قرائع الذاهيين من علمائنا ... ثم يحصى من المكتبات الحاضرة — التي لم تزل في حوزة أصحابها — ثمان مكتبات عظيمة تضم مخطوطات ومطبوعات شتى . وما أشك أنها — بعد قليل أو كثير من الزمن — ستصير إلى ما صارت إليه مكتبات النوع الأول فتبيد وتنفرد بأيدي من يعرف قيمتها ومن لا يعرف ؛ وإن من الجناية على الثقافة العربية أن تتركها بأيدي هذا المصير جامدين لا يحاول جهداً للابقاء عليها . وما أظن مالكيها الفضلاء يكرهون أن يتعاونوا مع هيئة علمية محترمة على استنساخ النادر من مخطوطاتها أو تصويره أو نقله إلى مكتبة من المكتبات الرسمية العامة حيث يسهل حفظه ويعم النفع به .

يوالي الأستاذ أحمد مجيد عيسى سبحانه عن «الدراسة في النجف» . وفي هذا العدد ينشر الحلقة الخامسة من هذه المباحث ، فيتحدث فيها عن المكتبات العامة والخاصة في النجف ، وعن الجمعيات الثقافية . ويعيننا بصفة خاصة إحصاؤه عن المكتبات البائدة والمكتبات الحاضرة ، فهو يحصى من النوع الأول خمس عشر مكتبة ، كانت فيما يصف تضم اثنتان من الكتب العربية بين مطبوع ومخطوط ، بعضها نادر الوجود أو معدوم النظير ؛ ثم تفرقت أيدي سبا بعد وفاة أصحابها أو جاسعها ، على أن العهد لم يطل بأكثرها بعد هذا التفرق ؛ فمن الممكن إنقاذ كثير منها بأيدي مشتريه أو حائزيه قبل أن تأتي عليه الأيام فنفق جزءا مهما من تراثنا العلمي يضاف إلى ما فقدنا في

أو المجمع العلمي بدمشق ، أو المجمع الملكي الحديث في بغداد — أن ينتدب أحدها أو جميعها لهذا الغرض ، أو لعل جامعتي فؤاد الأول وفاروق الأول ...

إن من ألزم الواجبات الراهنة على المثقفين في البلاد العربية أن يوجهوا همهم فرادى أو متعاونين إلى إنقاذ أمتهم من تراثنا العلمي الذي يوشك أن يأتى عليه الزمن . وإن في المكتبات الخاصة في العراق وسورية ومصر ، وفي بلاد المغرب العربي بصفة خاصة ، مقداراً غير قليل من المخطوطات العربية النادرة لا يكاد حائزوها يعرفون ما هي ويوشكون بفقدانهم أو بإهمالهم أن يفقدوها أو يعرضوها للتلف والضباب . وقد حدثني صديق مغربي منذ قريب عن واحد من مواطنيه كان يملك طائفة من هذه المخطوطات آلت إليه بالميراث ، فعشى أن تتحول إلى الفرنسيين لشدة رغبة علمائهم في الحصول على ما نضم من النوادر ، فأحرقها ضناً بها وتزويرها !

لقد طالما غفلنا عن واجب الاحتفاظ بتراثنا العلمي حتى خرج من أيدينا كثير منه إلى أيدي الأجانب من علماء المشرقيات أو عدت عليه الأيام فلم يبق منه في أيدينا ولا في أيدي غيرنا شئ . وإني لأخشى أن نضل في هذه الغفلة حتى تضيع البقية الضئيلة من هذا التراث فتتقطع صلتنا بمصادر علمنا وتاريخنا ونتاج أدياننا الداهيين !

وإنه لما يسى إلى قوميئنا العلمية أن نبحث عن كتاب مما ألف السابقون من علمائنا فلا نجد منه إلا نسخة فريدة في ليدن أو دير الأسكوريال أو أكسفورد ، أو ألا نجد البتة . وإذا كان القائمون على شؤون الحكومات العربية في هذه السنين ليسوا من الإيمان بالعلم بحيث نأمل أن نجد منهم معونة في هذا الشأن فإن في استطاعة المثقفين من أبناء الشعوب العربية أن يتعاونوا على عمل ما لسد هذه الحلة . ولعل جمع فؤاد الأول للغة العربية ،

من لبنان

المعهد العدد ٣ : ٤ (أبريل ١٩٤٨)

الغة هو الضرورة ، وأن أهم عواملها الباعثة هو الفكر ، «فوجودها وجود الرمز وفيها طبيعة العدد ، وبشكل آخر : التهج إذا طال أجله ينقلب إلى احتياج ، وهو في هذه الدرجة من الاستحالة منيع اللغة ؛ ولذا غنى الإنسان قليل أن لغا ...» أما منبع الأسلوب — فيأراه — فهو عضوية الحس ، وأهم عوامله الباعثة هو الانفعال ، فوجوده وجود الحقيقة الشعورية وفيه طبيعة الحياة . وعلى ذلك فهو يقرر « أن التهج في حالة

في هذا العدد يعالج الأستاذ عبد الله العلايلي بعض مسائل النقد، فيحاول التفريق بين الأسلوب والتركيب» وتحديد النسبة بينهما ؛ فيرى أن النقد يخطئون حين يفهمون «الأسلوب» على أنه طبيعة لغوية فيبتنون تقديم على هذه القاعدة الخاطئة ، على حين يبدو التباين واضحاً — بفضل بارس — بين اللغة والأسلوب . ولكي يحسن هذا التباين بينهما يتحدث عن منبع اللند في النفس ومنبع الأسلوب ؛ فيرى أن منبع

والنقد ، فلا يعتبرون شيئاً من ذلك إلا من حيث الموضوع أو من حيث اللغة دون نظر إلى الأسلوب من حيث هو إرادة تصوير تستلزم صدق التعبير عن الشعور وحقيقة لانفعال .

وخلاصة الرأي — فيما بدا لنا — أن الأستاذ العلايلي يرى أن الأسلوب غير التركيب اللغوي ؛ فهو في النقد وفي موازين الأدب ، غير اللغة وغير الموضوع ، ولكنه قسم ثالث يتصل بالانفعال والشعور والإرادة التصويرية — لا التعبيرية — وهو بذلك عنصر ذو شأن لا بد من اعتباره بعيداً عن الموضوعية واللغوية ، لقياس الحقيقة الأدبية كما هي في الواقع النفسي .

كونه تهيّجاً يشير إلى أسلوب ، أما إذا استحال إلى احتياج فانه يشير إلى لغة ؛ فالإنسان حيناً غنى كان أسلوبياً ، أي عبر بأسلوب يتفق والانبغام في أداة التعبير . ثم يعضى على هذه القاعدة في تعداد ما بين اللغة والأسلوب من خصائص ترجع إلى طبيعتين مختلفتين ، ثم يجمل القول بأن « اللغة مثل التصوير الشمسي ، بينما الأسلوب مثل الرسوم الفنية الموحية ؛ ففي الأول طبيعة الرمز والعدد ، بينما في الثاني الطبيعة الحية ؛ ولذا كان فناً جليلاً دون الأول ... »

ويخلص من تقريره هذا بتخطيطه النقاد حين يأخذون الأسلوب مأخذ التركيب ويبنون على هذا الأساس نظرية الأدب

الأدب العدد ٤ : ٧ (أبريل ١٩٤٨)

التاس عليه في كل زمان ومكان ؛ ولكن ثمة قواعد ثابتة جاء بها الدين واتفق عليها الناس وأقرتها الشرائع البشرية ؛ فالتزامها حق وواجب في الحياة وفي الفن جميعاً ؛ وليس يتنافى التزامها مع حق الحرية ؛ فان الطبيعة نفسها — وهي المنبع الأصل للفن — تلتزم — مع الحرص على الحرية — قواعد ثابتة ستصبح أن نسميها « أخلاق الطبيعة » .

والحرية نفسها لون من الخلق يضيق ويتسع على اختلاف البيئات والأزمنة والناس ؛ وقد تكون الحرية غير المقيدة في أحوال كثيرة لونا من العبودية للشهوات البشرية ونوازع الأثرة التي تسيطر على النفس ؛ فليس في الطبيعة إذن ولا في الحياة حرية مطلقة ، ونهر حين لا يمسكه شاطئان ليس نهراً ؛ وعبودية من صور الطبيعة يمسكها

يتحدث الأديب فؤاد الوندأوى — من بغداد — عن الأدب بين الحرية والالتزام ، فيرى أن الأدب — وهو فن جميل — يجب أن يحاكي الطبيعة كما تبدو بلا تمييز بين ما هو طيب وما هو خبيث . وعلى هذا الأساس ينكر على الأديب أن « يلتزم » قواعد الأخلاق ؛ إذ كان هذا الالتزام فيما يرى يتنافى مع حرية الأدب .

ولكي يؤيد رأيه ذاك في حرية الأدب دون التزام المقاييس الخلقية ، يقرر أن قواعد الأخلاق أمور نسبية تختلف باختلاف الزمان وتباين وتتصادم باختلاف الأجناس والمكان ؛ فليس يضير الأديب في شيء أن يتجرد من الالتزام بهذه القواعد المتباينة التي لا يجتمع عليها الرأي ...

ولعل الكاتب على حق في بعض ما برع ؛ فليست قواعد الأخلاق جميعاً مما اتفق

أدبه حر الشعور والتصوير والعسارة في حدود شخصيته هذه المستزمة ، كما يسكنه المنكسر ويملي المعلى في حدود شخصيته اللغوية فلا يحتاج في وسط الكلام أو وسط الاملاء أن يتوقف ليسأل قواعد اللغة أرفع أم ينصب ؛ وإنما يقول ويملي ملتزماً قواعد اللغة من غير قصد إلى الالتزام ، إذ صارت قواعد النعم في لسانه جزءاً من طبيعته فلا يخطئ القول ؛ وكذلك طبيعة الأديب حين ينشئ أدبا فيه صورة نفسه بالتزاماتها الخفية والاجتماعية ...

إن قضية الحرية والالتزام في الأدب ليست من السهولة بحيث نحاول أن نرسي لها قاعدة ، مادامنا حتى اليوم لم نستطع أن نحدد على وجه قاطع معنى الحرية !

إطار تحمل موقف في اسم من مرآها في التسعة ، بعض النقد إذن مجال للحرية ؛ وبعض الالتزام حمل في الأدب الحر !

وقد برغم بعض المستعص من نازحي الأدب أن لا التزام في أي صورة مسده للآداب ، فقويون ؛ عن يعطل الأديب حمه لسأل قواعد الأخلاق أولاً عن ترصى منه . فمؤلاء المستعص من . عاجلوا لأدب الانساقى نقول إن الأدب الحر بضعة من نفس صاحبه ، فهو حين ينشئ أدبا لايسأل ولا يصاح إلى جواب ، إذ كات نفسه من وراء مادته حملى عليه ما يقول وما يكتب ، ولكل نفس التزامات خلقية واجتماعية تكيف شخصيتها التي تعيش بها في الجماعة ؛ فمن هذه الشخصية بالتزاماتها ينشئ كل أديب

في مجلات الغرب

من لندن

نائبونال ريفيو *The National Review* (عدد أبريل ١٩٤٨)

شهيرة الكتب عنوانات مشوقة: منها كتاب قيم للورد بيفردج^(١) يعرض فيه حياة أبويه في الهند، يستقيها من رسائلهما. ويظهر أن ما امتاز به هذان الأبوان من قوة النفس ورق العقل ورقة القلب، يجعل من هذا الكتاب دراسة ممتعة، ولا سيما وقد كان أبو المؤلف فيما يقول الناقد، من السابقين إلى الحث على أن تنظر الهند باستقلالها الذاتي في أسرع وقت. ولم يكن يحاول إخفاء هذا الرأي الذي كان الرسميون يضيّقون به ضيقاً شديداً، ولا سيما حين يصدر عن موظف بريطاني. وكتاب آخر سيجد من غير شك جمهوراً ضخماً من القراء، وهو الذي يجمع وثائق السياسة الخارجية البريطانية من ١٩١٩ إلى ١٩٣٩^(٢).

وهذه الوثائق التي استقيت من وزارة الخارجية قد قسمت إلى قسمين، يكون هذا المجلد السفر الأول من أولهما. ويظهر من هذا الجزء أن عمل المجلس الأعلى للحلفاء إنما كان ما ساء اللورد بالفور، ممثل بريطانيا العظمى في باريس حينئذ، العملية الضخمة لتصنيفه الامبراطورية النمساوية. كما يظهر منه مقدار الخطورة التي اكتسبتها في ذلك الوقت شؤون البلقان.

في أسطر من الدعاية الصادقة، يقول كاتب أمضى كلمته بحرف «ب» معلقاً على محاضرة أقيمت عن العهد الفكتوري، موجهاً في هذا التعليق نقداً لا ذعاً إلى الصحافة الحديثة: يكفي أن نوازن بين المقالة الأساسية لصحيفة في عصر فيكتوريا، ومثيلة لها في صحيفة حديثة متوسطة، فسنرى أن المقال الأول قد أنشأه كاتب مثقف، لقراء مثقفين يحسنون الحكم، على حين أن المقالات الأساسية الآن إنما هي طائفة من الدعاة والنصح، يوجهها صبية في الثانية عشرة من أعمارهم، إلى صبية في التاسعة. ولو وجدت الآن صحف تشبه صحف العصر الفكتوري في قيمتها، قلن يكون لها قارئون. ولتعد إلى الموضوع الأساسي للمقال الذي عنوانه: المهن الحرة في ظل النظام الاشتراكي. فهذا المقال لقد لذهب الاشتراكيين الذين يفقدون عطف أصحاب المهن عليهم حين يؤمّنون المهن كلها. يقول الكاتب إن المهن الحرة تهاجم الآن، بأنها السياج الوحيد الباقى لحماية الحرية الفردية من الدولة. وينقل عن بابوف قوله: لا بأس من التضحية بالحضارة كلها، في سبيل المساواة الصحيحة. وتقدم إلينا المجلة نفسها في

(١) *India Called Them*, by Lord Beveridge

(٢) *Documents on British Foreign Policy, 1919-1939*. Edited by E. L. Woodward and Rohan Butler.

القرن التاسع عشر وما بعده *The Nineteenth Century and After*

(عدد مارس ١٩٤٨)

الذي يقول إن اكتساب الحرية (٢) عسير شاق عمل ، ولكن قددها رحلة يسيرة تشبه الاعذار من أعلى التل إلى السفح . فإ هذه الحرية ؟ يقول الناقد إنها شيء ليس له صلة بالمساواة ، ولكنه شديد الاتصال بانتهاز القرض . ويصور الكاتب في خاتمة مقاله مذهب الأحرار الفيكتوريين ، وقد اتخذ تولوب لهم عنوانا فيقول : إذا أردنا الصراحة قلنا إن الأحرار الفيكتوريين الذين اتخذنا تولوب لهم مثلا ، كانوا يرون أنفسهم كأنما بدأوا رحلة إلى غاية لا يريدون أن يبلغوها ، واتخذوا لرحلتهم قطارا مبطنا شديد الابطاء ، يقف فيطيل الوقوف في محطات كثيرة مارا ببلاد جميلة شائقة ، حتى أنساهم ذلك الغاية التي قصدوا إليها ، ولكنهم نظروا فإذا هم في قطار سريع لا يقف . هذا هو مصدر الضعف العقلي الذي أصاب الحرية الفكتورية فهدمها .

تقرأ في هذا العدد مقالا تدرس فيه ناحية من أجل نواحي العهد الفيكتوري خطرا ، وهي ناحية القصص السياسي ، قد كتبه الأستاذ و. ل. بورن W. L. Burn . أستاذ التاريخ الحديث بجامعة دورهام ، وحلل فيه الآراء السياسية للكاتب القصصي العظيم في عصر فيكتوريا Anthony Trollope أنطوني تولوب (١) ولاحظ أن المسرح السياسي الذي تناوله تولوب ، كان يسوده تهالك مظلم على المنافع وراء ظل ظاهر من الارستقراطية . ويظهر كذلك أن تولوب قد جهل أو كاد يجهل الإصلاح الاجتماعي جهلا تاما ، كما كاد يجهل السياسة الخارجية على رغم العهد الذي عاش فيه ، والذي ثارت فيه حرب القرم والحروب القومية المختلفة . أما السياسة الداخلية فقد أعطانا الكاتب خصائص فكرة تولوب مستقاة من كتبه . فقد كان من غير شك من الأحرار بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة . وهو

من باريس

عدد من كراسات الجنوب *Cahiers du Sud* (نوم ٢٨٤)

على نحو ما برز فيه جيرودو وكوكتو . وفي هذه الصحف منشوعات من قصة موضوعها « السب (٣) » ، كتبها محرري بورسونار

يقدم لنا صحفا قيمة بما بذل فيها من مجهود تردنا إلى العصر اليوناني القديم ، وهي محاولة لتجديد التمثيل اليوناني القديم ،

Anthony Trollope's Politics, by W. L. Burn (١)

In North America (1862) (٢)

Marguerite Yourcenar, *Le mystère d'Alceste* (٣)

— استخفيت قريباً من القبر، ثم وثبت فقهرته .

هذا هو كل النبأ .

أما في القصة الحديثة فنشهد الواقعة في منظرين ، تشهد صراعاً عقلياً وخلقياً . وهي صفحات قيمة تظهر لنا هرقل وقد منحه الآلهة إلى قوة العضل ففاذ العقل ورقة القلب . فالبطل لا يجهاد الموت وحده، وإنما يجهاد الميتة التي استسلمت لسلطان القضاء . وانظر إلى قول هرقل وهو يحاول أن يوقظ السمست في هذه الكلمات التي يجري فيها جمل مؤثر: «توبى معتمدة على مرقتك أي السمست ! انفضي شعرك هذا الثقيل الذي انغمس في الموت . ثوبى إلى نفسك أي السمست ! أي السمست !» وبعد حين .

السمست — من أنت ؟

هرقل — رجل هائم . رجل عامل . إنما أنا العابر الذي ليق في الطريق وحلة في الموت ، ويحاول أن يستنقذك وأن يردك إلى زوجك أدمت .

فانت ترى أن الذي أهم الكاتبة الحديثة من القصة اليونانية ليس هو الحركة ونظامها، وليس هو المظهر الواضح لجرى القضاء، وإنما هو الصراع الأليم الملح بين عقل الإنسان وما يكتنفه من الظلام . أيها أجهل : قلق المحدثين أو روعة للنساء عند القدماء ؟ أما نحن فنجد عظمة رائعة عند أوريبيد فنتعنى أمام الشاعر اليوناني، وندرس في حب للاستطلاع أثر الكاتبة المعاصرة .

Marguerite Yourcenar . والأسطورة معروفة كما خلدها أوريبيد ، لم تخرج عنها الكاتبة المعاصرة ، فقد نسي أدمت Admète حينما كان يضحي للآلهة في يوم عرسه الآلهة ارتيميس ، فقضت عليه بالموت . ولكن أبولون الذي غضب عليه أبوه ذوس فنزل إلى الأرض وعمل خادماً عند بعض الناس ، كان عند أدمت فظفر بأن ينجيه من الموت إذا قبل بعض أهله أن يفديه بنفسه . ولم يقبل هذا الفداء إلا امرأته السمست فتموت ، ولكن هرقل ينتزعها من إله الموت ويردها إلى زوجها مكافأة له على حسن ضيافته . فاذا وازنا بين الصفحات المنشورة في «الكايه دى سود» وبين القصة التي أنشأها الشاعر اليوناني الخالد ، راعنا ما في الحديثة من تعقد فلسفى ، وما في القصة القديمة من روعة الفن المسرحي . فالكاتبة الحديثة تحاول أن تعرض وتفسر موضوعاً فلسفياً هو الصراع بين هرقل والموت ، تتخذ لذلك شروحات وتفسيرات مختلفة ، على حين تروى في قصة أوريبيد هرقل وقد عاد إلى المسرح ومعه السمست قد ردت إلى الحياة ، لا تشهد الصراع وإنما يقص علينا نباه في أبيات قليلة جداً .

يقول أدمت متحدثاً إلى هرقل :

— كيف صعدت بها من دار الموتى ، إلى

حيث ترى النور ؟

— صارت الآلهة الذي استأثر بها .

— أين صارت الموت ؟

الحياة العقلية La Vie Intellectuelle (عدد مارس ١٩٤٨)

يفتح هذا العدد من هذه المجلة الكاثوليكية بملاحظات عن غاندى (١) أهمه

أن غاندى قبل كل شئ أخ للمسيحية
توشك عقيدته أن تكون كلها مستقاة من
كتبها المقدسة . وليس لنا أن ندخل في
دقن هذه المأزنة . وفي شهريات هذا العدد
يجد القارى نقداً للقصة التمثيلية الأخيرة التي
كتبها مونترلان (١) « سيد سانتياجو » ، وفي
هذا النقد يذكر الكاتب هذه الكلمة
المأثورة من كلمات جان ماريان Jean
Maritain : يجب أن يكون الانسان قاسي
العقل رقيق القلب ، وهي حقيقة يحسن تأملها .

أمين طه حسين

(١) Montherlant, *Les maitres de Santiago*

فهرس المجلد الثامن

فراير — مايو ١٩٤٨

دراسات أدبية

أوين ا. هولواى	طه حسين
٤٢٣ "وليم فولكنر" (١)	٣٣٣ ... فى الأدب الفرنسى - الوباء
بشر فارس	٥٠٧ حول رسائل سيسرون
الطلال فى الأدب	٧٩ عقيل هاشم
٦٢٨ جولة مستطلع فى المسرح	٥٧٦ مكسيم غوركى
حسن حيان	محمد رشاد رشدى
٣٨٨ دانتى اليجيرى	٢٥٣ ... النقد الجديد فى رأى سينجارن
سلامه موسى	محمد عبد الله عيان
٥٥٦ السيمائية المنطق اللغوى الجديد	٣٦٩ مرأتى الأندلس
همزه طاهر	محمد عبدل عزام
٦١٠ شاعر فليسوف	٥٩٤ مسودات الشعراء
شوق صيب	محمد كاسل حسين
٢٤٠ ظافر الخداد	٣٧٨ ... كتاب ميرة الأماذ جودر
٤٣٤ المهذب بن الزبير	
نجيب العتيقى	١١٠ الحبيبة فى الغزل العربى

• كل مقال أمامه هذه العلامة كتب خاصة للمجلة بقلم كاتب أوربيين أو أمريكىين .

(١) William Faulkner, by Owen. E. Holloway

دراسات اجتماعية واقتصادية

- برنار جويون
 "رحلة في اليونان ١٩٤٧ (١) ... ٦٢ التعاون الدولي في الميدان
 سلامه موسى الاقتصادي ١٨٤
 نحن خمسة في هذا العالم ١٠٣ محمود محمود
 محمود تيمور
 الحج ... إلى شلالات نياجارا . ٣٥ الآراء التي تسببنا ٥٩٩
 هنري برلين "الدائم ترك أثناء الاحتلال الألماني وبعده (٢) ٦١٨

دراسات تاريخية

- زكي يوسف سعد
 سليمان حزين
 الحفائر الملكية بملوان ٤١٤ قبل أن يبدأ التاريخ في مصر .. ٥٢
 حسن محمود بين الدلتا والصعيد ٢٢٠
 مرحلتان في تاريخ مصر العام . ٥٢٩
 سافونارولا ٥٦٤ على أدهم
 سلامه موسى تاسيتوس المؤرخ الروماني ورأى
 حياة غاندى وموته ٢٣٢ نابليون فيه ٩١
 فؤاد طرزي غاندى البطل الروحي ٢٤٧

دراسات سياسية

- محمد رفعت
 محمد عبدالله عنان
 بين هولندا وأندونيسيا ٢٧ الصبغة المذهبية للصراع العالمي
 اتحاد الأراضي المنخفضة ١٩٢ الحاضر ٢١٢
 سياسة الدول في الشرق الأوسط ٣٤٧ محمود عزى
 مشكلة تريستا والبحر الأدرياتي ٥٢ الدستور الايتالى الجديد ١٧٧
 سليمان حزين في بلاد اليمن ٣٥٧

Bernard Guyon, *Voyage en Grèce 1947* (١)The Spirit of Denmark During the Occupation and the years of Recovery, by (٢)
 Henry Baerlein.

دراسات فنية

حسين فوزى	جان بول سارتر
على قبر يتهوفن ٤٤	" البحث عن المطلق (١) ٥٤٣
هيلدييه زالوشير	" البناء الاجتماعى والتعبير الفنى (٢) ... ٣٣٩
	" فن الكتابه (٣) ٥٨٦

قصص

طه حسين	حسن محمود
المعذبون فى الأرض - صفاء ... ٩	حلم ٧٤
كلود أفلين " السيوسومى (٤) ٢٠٠	

شعر

ابراهيم عويديا	عبد الرحمن صدقي
بين السياسة والأدب - هجس .. ٣٨٦	وداع ايطاليا ٢٢٩
ابراهيم محمد نجبا	خاتمة المطاب ٧٣٢
على الشاطيء ٥٥٤	حلم بالموت ٤٣٣
بشر فارس	على الخطيب
وراء المنظور ٣٨٦	الشعر الذى أريد ١٠٠
حسن كامل الصيرفى	عبد الكريم بن ثابت
تقاؤل ٦١٦	ليل وصباح ٥٣٩
محمد عبده عزام	رحلة ٤١٦

Jean-Paul Sartre, *La recherche de l'absolu* (١)Hilde Zaloscer, *La structure sociale et l'expression artistique* (٢)Hilde Zaloscer, *L'art de l'écriture* (٣)Claude Aveline, *Monsieur Sommeil* (٤)

من هنا وهناك

- احمد محمد عيسى
الرسائل في الأدب العربي ٢٦٩
السيد أبو النصر احمد الحسيني
وفاة العالم الهندي الدكتور
انندكار سوامى ٢٦٨
السيد فرج
الجنرال الرهيب ٦٣٨
ح . . .
روسيا السوفيتية والدراسات
الشرقية ٢٦٦
بين شروق الشمس وغروبها .. ٦٤٠
حسين محمد الطيب
دوافع السير في المجتمع ٤٤٣
على حافظ
ملك الله - المصباح ٤٤١
مير بصري
معالم النهضة العربية في العراق ٦٣٦

شهرية الفن

هنري القيم على ذكر معرض سعد الخادم ... ٦٤٣

شهرية العلم

- حسين محمد حسين .
قدرى حافظ طوقان .
كوكبتا الصغير ٤٥٤
الجو والمزاج ٢٧٤

شهرية السياسة الدولية

محمود عزى مارس ... ٢٧٨ - أبريل ... ٤٥٠ - مايو ... ٦٤٦

شهرية الفلاحة

أحمد فؤاد الأهواني النحلة الأورقية ٢٨٢

شهرية المسرح

- الموسم الأوربي في دار الأوبرا ١٢٣
الموسم الايطالى في دار الأوبرا الملكية ... ٢٨٦

شهرية السفى

أفلام الرعب ١٢٧ ، فيلم ساذج ١٢٨ ، مأساة موسيقية ١٢٩ ، مسيو فردو ٢٨٩ ،
الفتى ٢٩٠ ، أمريكى فى إجازة ٢٩١ ، الحياة فى سلام ٤٥٦ ، المظارد ٤٥٧ ، سجا اللين
٤٥٨ ، أحسن سنوات حياتنا ٦٥٠ ، الدخيل ٦٥١ ، مركز البوليس ٦٥٢

من كتب الشرق والغرب

اتيامبل	سامى الدهان
لا بد أن تأخذ من كل شىء	نشر النصوص ٦٥٤
جانبا لنشئء عالما (١) ٤٦١	عبد الرحيم محمود
الآلة والدراسة البشرية (٢) .. ١٣١	ديوان أبى فراس ٢٩٢
برنار جويون	شوق ضيف
"موريس برديش يقدم ستندال (٣) ٢٩٨	شاعر مصرى ١٣٥

من وراء البحار

تأثير العامل الجغرافى فى روسيا ١٤٠ ، فرنسا وسياستها بعد الحرب ١٤٣ ، بولونيا
وحكومتها الحاضرة ٣٠٦ ، القوضى السياسية الأوربية ٣٠٩ ، دولت الهند وباكستان ٤٦٣ ،
الحالة الاقتصادية فى بلاد الجزائر ٤٦٦ ، اللغات واتصالاتها ٤٦٨ ، الصين ومشاكلها
٦٥٩ ، بريطانيا وحكومة العمال ٦٦٣

ظهر حديثاً

ابراهيم مصرى	احمد محمد شاكر
كاس الحياة ٣١٤	مستند أحمد ١٥٣
احمد فؤاد الأهوانى	برجسون (هنرى)
معانى انفسافة ١٥١	تعريب سامى الدروبي وعبدالله عبدالدايم
كتاب الكندى إلى المعتصم بالله ٦٧١	الضحك ٣١٣

Etiemble, *Il faut de tout pour faire un monde* (١)

Etiemble, *Machins et Humanisme* (٢)

Bernard Guyon, *Stendhal présenté par Maurice Bardèche* (٣)

بنوا (س)	٤٧٣	محمد فتحي
ترجمه زندى كاس	٣٦٩	مشكلة التحليل النفسى فى مصر
ثانيه أصنط	٤٧٣	محمد رفعت
راشد البراوى	١٤٩	يقظه مصر الحداثه
مسروحات السنوات الخمس	٦٦٧	محمد على الطاهر
جمال بن السيل	٣١٧	ذكرى الأمير شكيمب أرسلان
مصر والشام بين دولتى	٣١٩	محمد فؤاد شكرى
سامى ارعدن	٤٧٣	الحكم المصرى فى السودان
ديوان أبى فراس	٣١٥	محمد مفيد الشوباسى
سلامه موسى	٣١٥	ألع ساعات الخرج فى تاريخ
تربية سلامه موسى	٣١١	الانسانية
سيديو (١)	٣١٥	محمود تيمور
ترجمة عادل زعير	٣١٣	عطر ودخان
تاريخ العرب العام	٣١٧	محمود رزق سليم
طه الحاجرى	١٤٦	عصر الماليك ونتاجه العلمى
كتاب البخلاء للجاحظ	١٤٦	والأدبى
عبد الرحمن زكى	١٥٣	مصطفى عبداته بعبو
الشرق الأوسط	٦٦٨	المجلد فى تاريخ لوبيا
عبد الوهاب عزام وشوقى ضيف	٣١٨	مصطفى على
رسائل الصاحب بن عباد	١٤٨	أدب الرصاصى نقد ودراسة
عطية مصطفى مشرفة	٣٢٠	ملتون (فرانك)
نظام الحكم بمصر فى عصر	٦٧٠	ترجمة أمين سلامه
الفاطمين	٣١٦	اللغة اللاتينية المبسطة
على الجندى	٣١٦	هيو ميلار
أغاريد الشعر	٣١٦	مقدمة لتاريخ الفلسفة الحديث
لينين	٦٧١	واصف كنعان
ترجمة دكتور راشد البراوى	٣١٩	السل عدو الانسانية
الاستعمار أعلى مراحل الرأسمالية	١٥٢	وهيب كامل
محمد الصادق حسين	٤٧٠	ديودور الصقل فى مصر
البيت السبكى	٤٧٠	٦٦٩

في مجلات الشرق

من مراکش ١٥٧ ، من لبنان ١٥٨ ، ٣٢١ ، ٤٧٨ ، ٦٧٥ من سورية ١٦١ ،
٣٢٣ ، ٤٨١ ، ٦٧٣ من العراق ١٦١ ، ٣٢٤ ، ٤٨٣ ، ٦٧٤

في مجلات الغرب

من فرنسا ١٣٣ ، ٦٧٩ من الجزائر ٤٨٤ ، من لندن ٦٧٨

[مايو ١٩٤٨]

قائمة الكتب التي أصدرتها دار الكاتب المصري بإشراف الدكتور طه حسين بك

الآداب والقصص الحديث

على باب زويلة ، قصة تاريخية ، تأليف محمد
سعيد العريان ، الجائزة الأولى للقصة
من مجمع فؤاد الأول للغة العربية لسنة

١٩٤٧ .

كتاب رائع بأدق معاني هذه الكلمة
وأوسعها وأصدقها في وقت واحد ، كتاب
من هذه الكتب النادرة التي تظهر بين
حين وحين .



قلوب الناس ، قصص تحليلية ، تأليف
إبراهيم المصري .

قصص جديدة للكاتب المعروف إبراهيم
المصري يصور فيها بيئتنا المصرية الحديثة
في أسلوبه السهل الجذاب : ساميه وإنعام ،
القامر ، قصة امرأة ، أطوار النساء ، مأساة
ضمير ، بعد سبع سنوات ، نداء البحر ،
روايح الجنة ، الحياة الثانية ، هو القدر ،
سلطان المثل الأعلى .

٨ + ١٣٦ صفحة ، الثمن ١٥ قرشا .

*

لقبيلة ، تأليف محمد عبد الحليم عبد الله ،
جائزة فاروق الأول للقصة .

القصة التي نالت جائزة فاروق الأول من
مجمع فؤاد الأول للغة العربية لما فيها من
وصف دقيق لنفس معذبة في أسلوب عربي
متين رصين .

٨ + ٢٥٢ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشا .

*

طبعة مزينة بالصور ، ١٢ + ٣٥٢ صفحة ،
الثمن ٣٠ قرشا .

■

حكايات فارسية ، بقلم يحيى الخشاب .

كتاب يحمل إلى قراء العربية عييراً رقيقاً
حسن الوقع في النفس من هذه الحياة
الفارسية المتنازة بما فيها من رقة وقطنة
وفكاهة .

١٠ + ١٩٨ صفحة ، الثمن ٢٠ قرشا .

من حولنا ، قصص مصرية ، تأليف محمد
سعيد العريان .

جيل من الناس في أفراحه وآلامه ، يرى
كل قارئ في مرآته صورة من نفسه ، أو
صورة من حوله ، في إسطار قصصى رائع
في بيانه وفي قننه .

١٠ + ٢٦٢ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشا .

الرجل الذى طلب أن يدفن واقفاً فى القبر
... زعيم فى السياسة بقلم زعيم فى الأدب .
طبعة مزينة بالصور وصفحة ملونة تبين
كيف كان هذا الزعيم يعد خطبه ،
١٦ + ٢٧٢ صفحة ، الثمن ٣٥ قرشا .

*

André Gide, LA PORTE ÉTROITE.
الباب الضيق ، تأليف أندريه جيد ،
تعريب نزيه الحكيم ، مع رسالة من
أندريه جيد إلى المترجم ورد طه حسين
على أندريه جيد .

« ... ترجمة كتبي إلى لغتكم ؟ ... إلى أى
قارى يمكن أن تساق ؟ وأى الرغبات
يمكن أن تلبي ؟ ذلك أن واحدة من
الخصائص الجوهرية فى العالم المسلم فيما
بدا لي ، أنه وهو الانساني الروح يحمل
من الأجوبة أكثر مما يثير من أسئلة .
أنظي . أنا ؟ » أندريه جيد

« لم تخطئ أنت ، وإنما دفعت إلى الخطأ
لقد خالطت كثيراً من المسلمين ولكنك لم
تخالط الاسلام ... فلو قد تعمقوا الدين
تعمقاً دقيقاً لأظهروك على ما يثير القرآن
من مسائل وما يعرض لها من جواب . »
طه حسين

[من مقدمة كتاب « الباب الضيق »]
١٦ + ١٤٨ صفحة ، الثمن ١٨ قرشا .

*

André Gide, ŒDIPE — THÉSÉE.
أوديب — ثيسوس ، تأليف أندريه
جيد ، ترجمة طه حسين .

« صديقى أندريه جيد ، سمعتك تقرأ لنا قصتي
« أوديب » و « ثيسوس » فعرفت الحنان

من الأدب الفرنسى

Maurice Barrès, UN JARDIN SUR
L'ORONTE.

جنة على نهر العاصى ، تأليف موريس
بارس عضو المجمع اللغوى الفرنسى ،
تعريب محمد عبد الحميد عنبر وعبد الحميد
عابدين .

غرام أقرب إلى العبادة ومغامرات أقرب
إلى الأحلام على ضفاف نهر العاصى حيث
تملأ السواقي بأنينها أجواز الفضاء .
١٦٨ صفحة ، الثمن ١٨ قرشا .

*

Léon Daudet, LA VIE ORAGEUSE DE
CLÉMENTINEAU.

كليمنصو وحياته العاصفة ، تأليف
ليون دوديه ، تعريب حسن محمود .



كليمنصو ... مسقط الوزارات ... النمر...
الرجل الذى عاش حراً فأصبح مغلولاً ...

الموت روحان كانتا مؤلفتين أثناء الحياة ؟
٢٠٤ صفحة ، الثمن ٢٠ قرشا .

*

Prosper Mérimée, COLOMBA.

كولومبا ، تأليف بروسير ميريميه ،
تعريب محمد غلاب .

قصة فتاة من أهل جزيرة كورسيكا تلك
الجزيرة التي لا زالت تعترف بالعواطف
الفطرية الأولى وتدين بقانون الحب
والانتقام .

٢٢٠ + ٨ صفحة ، الثمن ٢٠ قرشا .

*

A. de Saint-Exupéry, TERRE DES
HOMMES.

أرض البشر ، للكاتب الطيار أنطوان
دى سانت أكسوپرى ، تعريب مصطفى
كامل فوده .

« أرض البشر » تلك الهبة من الثرى التائهة
بين الأجرام السماوية ، تلك الأرض الجديرة
باعتجابنا لأنها وحدها تكون الرجال .
طبعة مزينة بالصور ، ٢٤٤ صفحة ، الثمن
٢٥ قرشا .

*

Stendhal, LA CHARTREUSE DE
PARME.

دير پارم ، تأليف ستندال ، تعريب
عبد الحميد الدواخلى .

قصة من عيون الأدب الفرنسى يصف كاتبها
الكبير دولة إيطالية صغيرة ومغامرات
بطل القصة ودسائس وزيرها العجيب .
طبعة فى جزأين ، الجزء الأول ٨ + ٢٧٦
صفحة ، الجزء الثانى ٨ + ٣٢٠ صفحة ،
ثمن الجزء ٣٠ قرشا .

الخاص الذى تؤثرهما به . ومن أجل هذا
علمتهما العربية ليبلغا إلى قراء الشرق
رسالتك التى هى ثقة وشجاعة واستبشار .
وسيشهدان كذلك بما أضمر من أعجاب بك
قد أصبح منذ التقينا وداً كريماً .

طه حسين

٨ + ٣١٢ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشا .

■

André Gide, L'ÉCOLE DES FEMMES
— ROBERT — GENEVIÈVE.

مدرسة الزوجات يليها روبر و جنيفيف
تأليف أندريه جيد ، تعريب صبرى فهمى .

فتاة فى نشوة الحب ، ثم زوج فى نقطة
العقل تنهم زوجها ، دفاع الزوج عن
نفسه ، رأى الابنة فى والدها .
٣١٢ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشا .

■

François Mauriac, GÉNITRIX.

والدة ، تأليف فرنسوا مورياك عضو المجمع
اللغوى الفرنسى ، تعريب محمد عبد الحميد
عنبر وعبد الحميد عابدين .

وصف دقيق لنفسية الأم حين تشعر أن
امراً غير ما قد استأثرت بابنها ومصرته عنها .
٨ + ١٧٦ صفحة ، الثمن ٢٠ قرشا .

■

André Maurois, LE PESEUR D'ÂMES.

وازن الأرواح ، تأليف أندريه موروا
عضو المجمع اللغوى الفرنسى ، تعريب
عبد الحليم محمود .

هل توجد الروح ؟ وكم تزن ؟ هل يمكن
الاحتفاظ بها ؟ وهل يمكن أن تمتزج بعد

Oscar Wilde, THE PICTURE OF DORIAN GRAY.

صورة دوريان جراى ، تأليف أوسكار وايلد ، تعريب لويس عوض .

قصة شاب جميل الطلعة يحتفظ بشبابه بينما تهرم صورة له وتظهر عليها كل العلل التي تفتاب القبلين على اللهو والملذات .



طبعة مزينة بصور مختارة من فيلم م. ج. م. ٢٠
٨ + ٣.٤ صفحة ، الثمن ٣. قرشا .

*

Oscar Wilde, THE CANTERVILLE GHOST.

شبح كاترفيل ، تأليف أوسكار وايلد ، تعريب لويس عوض .

وهي سهل طريف للمجن التي ألفت بشبح قصر آل كاترفيل حين انتقل هذا القصر التاريخي إلى وزير أمريكا المفوض في بلاط سان جيمس . فيها فكاهة متصلة مع براعة في الوصف وفي الخيال .

طبعة مزينة بصور مختارة من فيلم م. ج. م. ٢٠
٨ + ٣.٤ صفحة ، الثمن ١.٨ قرشا .

Voltaire, ZADIG ou la Destinée.

زديج أو القضاء ، قصة شرقية ، تأليف فولتير ، ترجمة طه حسين .

مشكلة القضاء والقدر يعرضها الفيلسوف الفرنسي فولتير في إطار قصصى جذاب . عدد خاص من مجلة الكاتب المصري ، الثمن ١.٠ قروش .

من الأدب الانجليزي

Aldous Huxley, BRAVE NEW WORLD.

العالم الطريف ، تأليف أولدس هكسلى ، تعريب محمود محمود .

العالم في المستقبل ... بعد أن يتحكم العلم ... وتتولد الأبطال في العامل !
١٦ + ٢٧٦ صفحة ، الثمن ٢.٥ قرشا .

*

H. G. Wells, THE FOOD OF THE GODS.

طعام الآلهة وكيف جاء إلى الأرض ، تأليف ه. ج. ولز ، تعريب محمد بدران .

قصة طريفة لذلك الكاتب الانجليزي الخصب الخيال الذي عرف بنبؤاته الغريبة عن الحروب ومخترعات العقل البشرية وتحققت أكثر هذه النبؤات في حياته .
١٦ + ٣٢٠ صفحة ، الثمن ٣. قرشا .

*

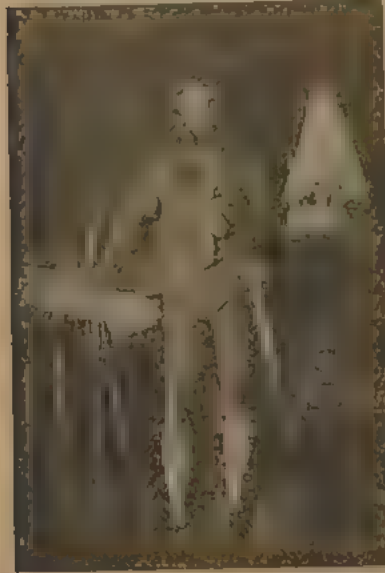
وما يصيبه من يأس حينما يعلم أنه كان
يحب عشيقه إليه .
٨ + ١٠٨ صفحة ، الثمن ١٥ قرشا .

من الأدب الألماني

Emil Ludwig, NAPOLEON.

نابليون ، تأليف إميل لودفيج ، ترجمه
عن الألمانية محمود إبراهيم الدسوقي .

البطل الذى اكتشف لودفيج وراء قناع
بطولته محيا الانسان ، فتجلت بطولته في
إنسانيته ، وفاقت كل ما عرف إلى الآن .



طبعة مزينة بالصور في جزأين ، الجزء الأول
٢٠ + ٣٥٦ صفحة ، الجزء الثانى ١٢ +
٣٥٦ صفحة ، ثمن الجزء ٤٥ قرشا .

من الأدب الأمريكى

John Hersey, HIROSHIMA.

هيروشيما ، تأليف جون هرسي ، تعريب
حسن محمود .

قصة تدمير مدينة هيروشيما بفعل قنبلة
ذرية واحدة وما حدث لسكان هذه المدينة ،
شاهدات ستة أشخاص كانوا في المدينة
حين قذفت القنبلة ونجوا بأعجوبة من هذه
الكارثة . وهي قصة جذابة قراها ملايين
في أمريكا وأوروبا .

عدد خاص من مجلة الكاتب المصري ،
طبعة مزينة بصور مهداة من مكتب
الولايات المتحدة للاستعلامات بالسفارة
الأمريكية بمصر ، الثمن ١٠ قروش .

من الأدب الروسى

Fedor Dostoievski, THE GAMBLER.

المقامر ، تأليف فيدور دوستويفسكى ،
تعريب شكرى محمد عياد .

قصة شاب مصاب بداء القمار لقي من هذا
الداء في حياته شراً عظيماً . وهي قصة
عنيقة تستأثر بقلب القارئ وعقله .
٨ + ١٧٢ صفحة ، الثمن ١٨ قرشا .

*

Ivan Tourguéniev, FIRST LOVE.

الحب الأول ، تأليف ايفان تورجنييف ،
تعريب محمود عيد المنعم مراد .

قصة ساذجة تصور قلب شاب ناشئ يندفع
إلى الحب في غير احتياط ولا تحفظ

في القانون والفلسفة

تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر
الوسيطة ، تأليف الأستاذ يوسف كرم
مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة
فاروق الأول .

وهو كتاب قيم فيه تفصيل واف عن المذاهب
الفلسفية في تلك القرون في دقة تعبير مع
طلاوة في الأسلوب .
٨ + ٢٦٦ صفحة من القطع الكبير ،
الثمن ٥٠ قرشا .

❖

عقلي وعقلك ، تأليف سلامة موسى .

أوفى كتاب في علم النفس الحديث يبسط
آخر المعارف عن هذا العلم بلغة واضحة
ليس فيه جملة معقدة أو فكرة مبهمة تقرأ
فتقف منه على أسرار النفس البشرية
وحركة التفكير .
٨ + ١٩٢ صفحة من القطع الكبير ،
الثمن ٤٠ قرشا .

الكتب التي صدرت أخيراً

قطوف ، بقلم عبد العزيز البشري ، مقدمة
لطف حسين .

آخر آثار الأديب العظيم عبد العزيز
البشري جمعت في مجلدين يحتويان أكثر من
٤٠٠ صفحة . اقرأ « قطوف » هذه تسترى
في كل فصل من قصوها مرآة مصقولة صافية
صادقة أدق الصدق للحياة المصرية في عصر
الانتقال .

طبعة في جزأين ، الجزء الأول ٢٠ + ١٩٦
صفحة ، الجزء الثاني ٨ + ١٩٦ صفحة ،
ممن الجزء ٢٠ قرشا .

INSTITUTES DE JUSTINIEN

مدونة جوستنيان في الفقه الروماني ،
ألفه فقيه القياصرة في قسطنطينية
الإمبراطور جوستنيان ونقله إلى العربية
إمام القضاة في مصر معالي عبد العزيز
فهمي باشا ، أخرجه دار الكاتب المصرى
في طبعة ممتازة وتجليد أنيق .

٢٨ + ٤٠٩ صفحة من القطع الكبير ،
الثمن ١٥٠ قرشا .

❖

Ignaz Goldziher, LE DOGME ET LA LOI DE L'ISLAM.

العقيدة والشريعة في الاسلام ،
للمستشرق العظيم إيجناس جولدتسيهر ،
نقله إلى اللغة العربية وعلق عليه محمد
يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين
بالجامع الأزهر ، عبد العزيز عبد الحق
المدرس بكلية الشريعة بالجامع الأزهر ،
على حسن عبد القادر دكتور في العلوم
الاسلامية ومدير المركز الثقافي الاسلامى
بلندن .

أبواب الكتاب : محمد صلى الله عليه وسلم
والاسلام — تطور الفقه — نمو العقيدة
وتطورها — الزهد والتصوف — الفرق —
الحركات الدينية الأخيرة .

١٦ + ٣٨٨ صفحة من القطع الكبير ،
الثمن ٨٥ قرشا .

❖

كتاب البغلاء للجاحظ ، حقق نصه
وعلق عليه طه الحاجري مدرس الأدب
العربي بكلية الآداب بجامعة فاروق الأول .
أثر من أعظم آثار الأدب العربي يبعث من
جديد في طبعة متفحة بالدقة التي يتبعها
علماء هذا العصر . قام بنشره طه الحاجري
الذي تخصص في أدب الجاحظ وعلق عليه
وشرح غامضه فأصبحت هذه الطبعة أكبر
أداة للباحثين .

سافو نارولا ، الراهب الثائر ، بقلم حسن
عثمان .

صفحة من أروع صفحات عصر النهضة
الأوربية كتبها مؤرخ توفّر على دراسة
ذلك العصر ، وهي حياة شخصية غريبة
قلما يعود بمثلها الزمان .
طبعة مزينة بالصور ، ٢٦٠ صفحة ، الثمن
٢٥ قرشا .

Henri Bergson, LE RIRE.

الضحك ، بحث في دلالة المضحك ، تأليف
هنري برجسون ، تعريب سامي الدروبي
وعبد الله عبد الدايم .

الكتاب الشهير الذي وضعه الفيلسوف
الفرنسي هنري برجسون ليدرس فيه
الضحك كظاهرة نفسية والمضحك وأنواعه
المتعددة .
١٣٦ صفحة ، الثمن ١٥ قرشا .

Anton Tchekov, HISTOIRE D'UN
INCONNU.

قصة رجل مجهول ، تأليف أنطون
تشيكوف ، تعريب محمود الشنيطي .

من أبدع قصص أمير القصة القصيرة
وهي مثال كامل لفنّه في بناء القصة وفي
معالجتها .

٤ + ١٢٢ صفحة ، الثمن ١٠ قروش .

٥٢ + ٤٦٨ صفحة من القطع الكبير ،
الثنى ١٠٠ قرش .

تأريخ قضاة الأندلس ، ألفه الشيخ
أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي
المالقي الأندلسي وسماه كتاب الرقبة العليا
فيمن يستحق القضاء والفتيا ، نشره
إ. ليفي بروفسال أستاذ اللغة والحضارة
العربية بالسربون ومدير معهد الدراسات
الإسلامية بجامعة باريس .

وثيقة عظيمة الخطر عن تاريخ القضاء
بالغرب الإسلامي في العصر الوسيط .
٢٤ + ٢٤٨ صفحة من القطع الكبير ،
الثنى ٧٥ قرشا .

البيت السبكي ، بيت علم في دولتي
الماليك ، تأليف محمد الصادق حسين .

تأريخ عصر يمثل في تاريخ أسرة بقلم
عالم من أكبر العلماء .
٩٩ صفحة من القطع الكبير ، الثمن ٢٥ قرشا .

François Mauriac, LE NEUD DE VIPÈRES.

عقدة الأفاعى ، تأليف فرانسوا مورياك
عضو المجمع اللغوى الفرنسى ، تعريب
نزيه الحكيم .

« لا لم يكن المال ما يعبه هذا البخيل ولا
الشار ما يطلبه هذا المجنون . أما هواه
الحق فستعرفه إذا ملكت القوة والجرأة
على أن تصبى إلى هذا الرجل حتى اعترافه
الأخير الذى يقطعه الموت . »
٨ + ٢٢٠ صفحة ، الثمن ٢٠ قرشا .

Pierre Benoit, L'ATLANTIDE.

فانية أطلنطا ، تأليف بيير بنوا عضو
المجمع اللغوى الفرنسى ، تعريب رشدى
كامل .

لم تكن تبحث عن نشوة الحب لحسب
بل كانت ترى كذلك إلى أن تنتقم من
الرجال ، فتقتلهم بحبها .
٢٩٦ صفحة ، الثمن ٢٥ قرشا .

*



اتفاقية



سوپر سٹیل

Superstyl

بار

القلم الذي
لا يبارى

مسلح في البلاستيك الكبير
المنفذ : الكاتب المصري ش.م.م

أصدرت دار الأتاب المصرية بأشراف الدكتور طه حسين بك

مدونة جوستنيان في الفقه الروماني

INSTITUTES DE JUSTINIEN

نقله إلى اللغة العربية معالي عبد العزيز فهمي باشا

٢٨ + ٤٠٩ صفحة

ثمان النسخة المجلدة ١٥٠

العقيدة والشرعية في الاسلام

للمستشرق الكبير اجناس جولدتسيهر

نقله إلى اللغة العربية وعلق عليه محمد يوسف موسى المدرس بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر، عبد العزيز عبد الحق المدرس بكلية الشريعة بالجامع الأزهر، علي حسن عبد القادر دكتور في العلوم الإسلامية، مدير المركز الثقافي الاسلامي بلندن

١٦ + ٣٨٨ صفحة

الثنى ٨٥

كتاب البغلاء للجاحظ

حقق نصه وعلق عليه طه الحاجري مدرس الأدب العربي بكلية الآداب بجامعة قاروق الأول

٥١ + ٤٦٨ صفحة

الثنى ١٠٠

تأريخ قضاة الأندلس

ألفه الشيخ أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي وسماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، نشره إ. ليثي بروقنسال أستاذ اللغة والحضارة العربية بالسربون ومدير معهد الدراسات الإسلامية بجامعة باريس

٢٤ + ٢٨٤ صفحة

الثنى ٧٥

قطوف لعبد العزيز البشري

مع مقدمة لطف حسين

الجزء الأول ١٦ + ١٩٦ صفحة، الجزء الثاني ٨ + ١٩٦ صفحة

الجزء ٢٠

تأريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط

تأليف الأستاذ يوسف كرم مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة قاروق الأول

٨ + ٢٦٦ صفحة

الثنى ٥٠